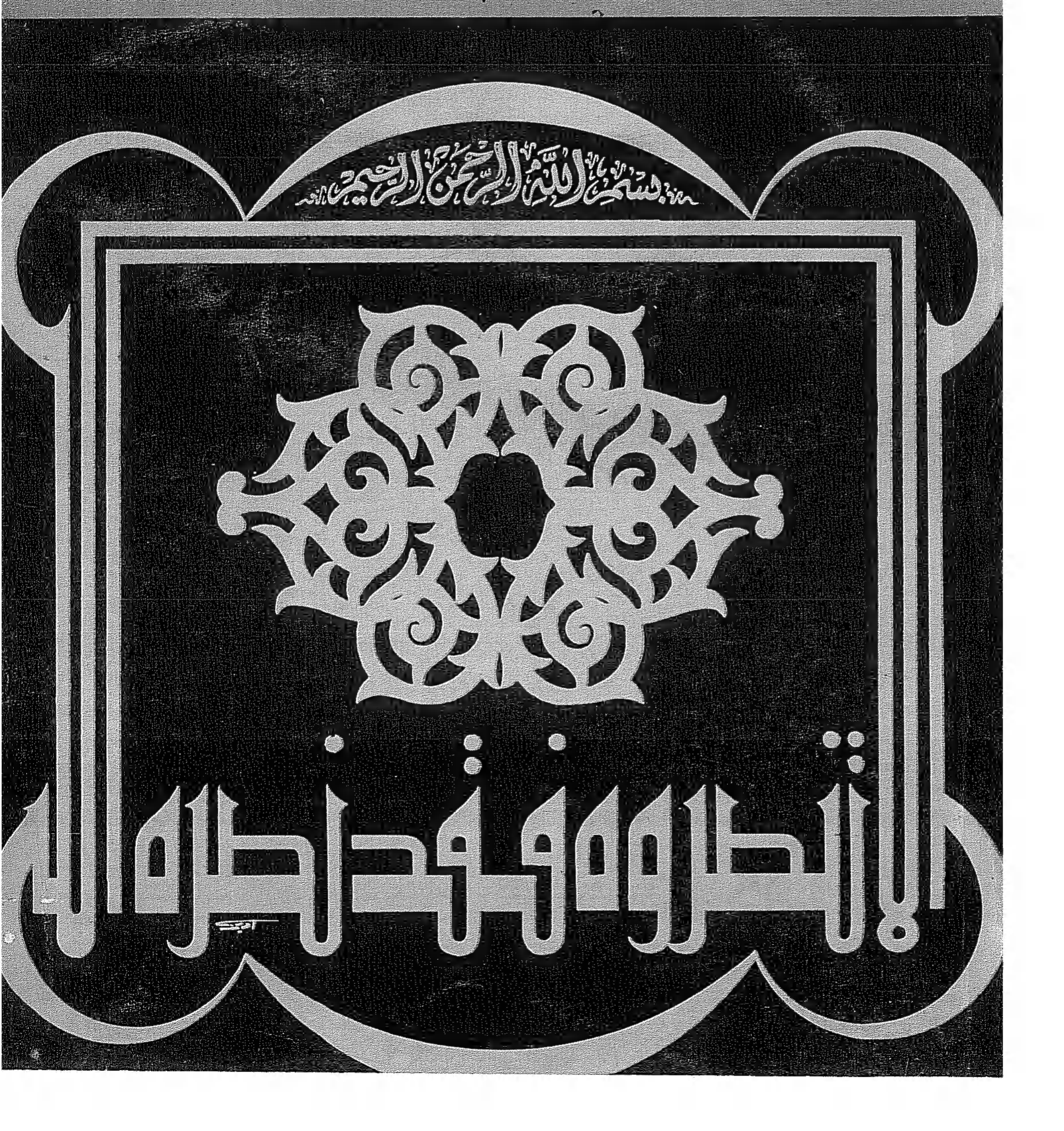
عدد الهجرة الم
ومعه التقوي
الهجري
هـدية القاري

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٦١ ـ محرم ١٣٩٠ ـ ٩ مارس (آذار) ١٩٧٠ م



اقرأ في هذا العدد

« الا تنصروه فقد نصره اللـه اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . »

« قرآن كريم »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسـة

العـدد الحادى والستون

محرم ١٣٩٠ هـ

٩ مارس (آذار) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقـاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـن

الكويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليمـا
الجزائر	فرنـك وربـع
المغرب	درهم وربـع
الخليج العربى	١ روبيـة
اليمن وعدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسـترلينى)

أما الافراد فيشتركون رأسـا

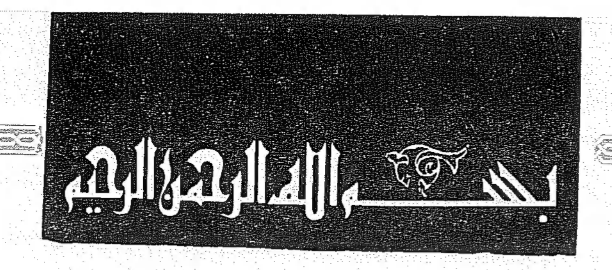
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

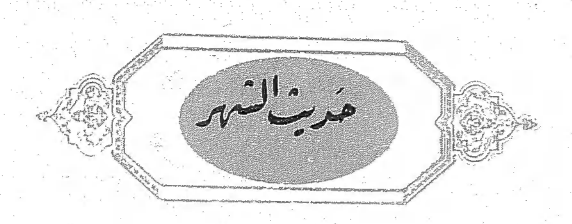
عنـوان المراسلات

مديـر ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقـاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت





عام جديد

نقف اليوم على بداية عام جديد فى تاريخ أمتنا الاسلامية العظيمة ، وهو عام تدل كل الأحداث والشواهد على أنه يقربنا من معركتنا المصيرية مع العصابات الصهيونية أن لم يكن موعدا لها ، وقد تكون المعركة أسرع من ذلك ، فتدور رحاها ، وتندلع نارها أقرب من رد الطرف أو ومض البرق ، ولا يستطيع أحد من المراقبين والمطلعين أن يتنبأ أو يتكهن بمن يكون البادىء بها — العرب أو اسرائيل ، غير أن التجارب الثلاث التى مرت بنا فى سنة ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ تشير ، بل ترجح أن العدو لن يغير من خطته التى نفذها فينا ، والتى كسب بها نصره الرخيص فى المعارك الثلاث الخاطفة التى شنها علينا .. لقد لدغتنا العقرب مرة ومرتين وثلاثا ، فهل نعطيها الفرصة حتى تكون اللدغة الرابعة المجهزة — لا قدر الله ..

ان الأسلحة الهجومية الحديثة التى تتدفق على العدو ، والتى يحصل عليها بأساليبه الصريحة والملتوية ، والثقة التى يشعر بها نتيجة الوعود الممنوحة له من أصدقائه بتأييده ومساندته ، والأطماع التوسعية التى تراوده ، والحقد الدينى الذى يتحرك فى صدره ، والأضغان التى تغلى فى دمه على الانسانية .. كل هذا جعله يعمل لانهاء المعركة والحصول على النصر بواحد من اثنين :

الأول : الضغط على الشعوب العربية ، وتشديد الوطأة عليها حتى تفقد الثقة بنفسها ، وتفقد القدرة على مقاومته والوقوف فى وجهه ، فتركع على قدميه ، وتستسلم .. وحينئذ يأمر وينهى ، ويأخذ ما يشاء ، ويدع ما يشاء ويفرض شروطه التى تضرب علنا الذلة الى الأبد ، وهذا هو ما يمارسه الآن بالأساليب

البربرية التى يعامل بها العرب فى الأراضى المحتلة ، وملاحقة المقاومة الفلسطينية ، والغارات التى تجاوزت خطوط المواجهة فى الدول العربية الثلاث الى العمق داخل أراضى هذه الدول ، وقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل والخيبة ، بل انها زادت النار اشتعالا والصدور حقدا وكراهية والعزائم ثباتا ومضاء ، وحيث فشلت محاولات الضغط لحمل العرب على الاستسلام ، فلم يبق أمام العدو الا الأمر الثانى ..

والأمر الثانى هو الأخذ بزمام المبادرة وشن الحرب الخاطفة علينا على طريقته ، وهذا ما يبيته ويعد له العدة وهذا هو أسلوبه فى حروبه مع المسلمين فى عهد النبوة ، غير أن المسلمين الأولين لم يؤخذوا على غرة ، بل كانوا أعرف بنفسية العدو ، وأعلم بطويته ، فلم يمهلوه لحظة ، وفاجأوه قبل أن يفاجئهم .

ان الدراسات النفسية للأمم والشعوب عامل كبير من عوامل الانتصار فى الحروب قديما وحديثا ، ولها فى الدول المتقدمة فى العصر الحديث هيئات علمية كبيرة تعتمد فى دراستها على جوانب عقائدية وتاريخية واجتماعية تؤدى الى نتائج يقينية تساند وتوجه الخطط الحربية ، وعلى هذا الأساس يجب أن نعرف أعداءنا .. نعرفهم من واقع طبيعتهم التى تختلف كثيرا عن طبائع البشر ، وأن يكون نظرنا لهم وتصرفنا معهم من واقع هذا الفهم والمعرفة ، والقرآن الكريم عنى بتسجيل أكثر الوقائع التى جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود أعداء الله وأعداء الانسانية ، وفى خلال هذا التسجيل ألقى القرآن الكثير من الأضواء على ما فى حنايا ضلوعهم المظلمة ، وما يتحرك فى قلوبهم من غل وضغينة .. القرآن الكريم وضع فى يد المسلمين مفاتيح الدراسات النفسية لهؤلاء المجرمين ، وعرى الطبيعة اليهودية من زيفها ، وكشف عن حقيقتها ودخائلها .. فاليهود يغلب عليهم الصلف والغرور وهذا قولهم : ((نحن أبناء الله وأحباؤه)) وليس فى ضمائرهم مكان للقيم والمبادىء ، وهذا منطقهم : ((ليس علينا فى الأميين سبيل)) ولا يؤثر فيهم المنطق ولا تجدى معهم المسالمة والمفاوضة ، ولا يثنيهم عن أحقادهم وعنادهم الا القوة القاهرة : ((واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة)) ، وعلى الرغم من حصونهم المانعة ، وخطوط دفاعهم الحصينة ، فهم أجبن من أن يلقوا عدوهم وجها لوجه : ((لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر)) .

والوحى الالهى الصادق لم يكشف للمسلمين عن هذه الجوانب من طبيعة اليهود ونفسيتهم لمجرد الاخبار ، أو المعرفة النظرية البحتة ، أو مجرد البحث التاريخى ، أو الترف العقلى ، بل جلاها لنا لتكون ركائز ثابتة نحدد على أساسها موقفنا معهم فى جميع الظروف والعصور .

وعلى أساس الادراك الواعى لنفسية اليهود الغادرة الخائنة كان تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم معهم، فلم يعطهم الفرصة للانقضاض على المسلمين ، بل أخذ زمام المبادرة بيده وفاجأهم فى عقر دارهم ، ولو لم يتخذ هذه الخطة الحاسمة . خطة

المباغتة والمفاجأة لأوقعوا بالمسلمين فى الصـــدر الأول ما أوقعوه بهم اليوم ، ولكان لهم بالأمس مع المسجد النبوى ـ حفظه الله ـ ما كان لهم اليوم مع المسجد الأقصى من التدمير والاحراق .

وهذه واقعة حية ، لخطة المسلمين السابقين معهم يجب أن نضعها نصب أعيننا ، وأن نتخذها منطلقا لتحركاتنا معهم .

فى غزوة الأحزاب انضـم اليهود الى الحلفاء ، وتوقع المســـلمون هجوما كاسحا عليهم ، ولولا العناية الالهية التى أنقذتهم لكان فناؤهم أمرا محققا ، والقضـــاء على الدعوة الاســـلامية لا شك فيه ولكن الله سبحانه رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وتشتت شمل الحلفاء ، وفشلوا فى غزوة الخندق ، ووضع المسلمون السلاح ، وباتوا يستريحون .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وســـلم لم ينم بعد ما تبين له غدر اليهـــود ، ولم يمهلهم ، بل بادر بالتحرك نحوهم ومحاصرتهم فى اليوم التالى مباشرة لجلاء الأحزاب ، ورأى أن يفـــاجئهم قبل أن يســـتكملوا عدتهم ، ويقووا حصونهم ، فما كاد يصلى الظهر من يومه ذاك حتى بعث بلالا ينادى فى النـــاس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، فأخذ المســـلمون يلبسون ســـلاحهم ويتوافدون سراعا على حصون بنى قريظة ، فمنهم من أدركته صلاة العصر بعد وصوله ، ومن أدركته فى الطريق فصلاها حيث أدركته ، ومنهم من أعجله الأمر ففوت الفريضـــة عن وقتها ، وأبى الا أن يصليها حيث أمر رســـول الله أن تصلى .. وهذا يصـــور لنا مقدار السرعة والمباغتة التى أرادها رسول الله للقضـــاء على هؤلاء الاوغاد الغادرين ، ولم تأت العشاء الآخرة حتى كان المسلمون جميعا معسكرين عنـــد بئر (أبى) بـكامل عددهم وعدتهم : ثلاثة آلاف راجل ، وستة وثلاثون فارسا ، فحاصروا اليهود ، وأجبروهم على الاســـتسلام بعد خمســـة عشر يوما من الحصـــار المفاجىء العاجل ، وحكم الله فيهم من فوق سبع سموات : ((وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الـــكتاب من صـــياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقـــا . وأورثكم أرضـــهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا)) .

وواضح أننا حين نتحدث عن أهمية المفاجأة والمباغتة كعامل من عوامل النصر ، ونستشهد على ذلك بوقائع حية من تاريخنا ـ أعتقد أننا لا نبعد كثيرا عن منطق الحذر والحيطة ، ولا نتجـــاهل ضرورة الاعداد للخطـــة والتدبير لها .. انما الذى نخشـــاه ونحاذره أن يصـــل العدو بتهديداته ودعاياته الى أن ييئسنا من التفوق عليه والقدرة على دحره حتى يسبقنا الى المفاجأة .. وكما أن الاغراق فى التفاؤل حمق وتهلكة ، كذلك الغلو فى التشاؤم والتخوف مصيدة محكمة وهزيمة منكرة ..

ولا يغيب عنا أننا أصحاب الحق ، أصحاب الأرض ، أصحاب المقدسات .. والحق يمنح صاحبه قوة خارقة يجب أن يعتد بها ، ويحسب حسابها كسلاح فعال ، من أسلحة النصر ، ومن هنا كان حديث القرآن الكريم عن

قوة المؤمن ، ومقابلته مرة بعشرة من الكافرين ، ومرة باثنين منهم .

ومع هذه البداية القلقة للعام الهجرى الجديد الذى لا يعلم الا الله وحده ما تتمخض عنه أيامه ولياليه ، بل لحظاته وثوانيه — يجيء الاحتفال التقليدى بذكرى الهجرة النبوية ، وهو منذ وعينا احتفال يستطيع المسلم أن يحدد مسبقا مكانه وزمانه فى البلد الذى يقيم فيه ، وأن يعرف المتحدثين ، والخطوط العريضة والطويلة لأحاديثهم ، بل يستطيع ذوو الحيثية أن يعرفوا من الرجوع الى قوائم الولائم فى الأعوام الماضية الدعوات التى توجه اليهم فى هذا العام والأعوام التالية ان كان فى العمر بقية — (ابتهاجا بذكرى الهجرة النبوية الشريفة وجريا على المعتاد سنويا ، وكل عام وأنتم بخير) .

ولئن كان الاحتفال بهذا الاسلوب مستساغا لدى بعض الناس فى أيام الأمن والطمأنينة ، فما أتخيل أن فردا واحدا من المسلمين يستسيغ أن يجرى الاحتفال — بالمراسيم المعتادة — فى هذه الأيام الحالكة السواد ..

يجب أن تتحول جموع الوافدين على الاحتفال الى كتائب تأخذ طريقها الى الأغوار والمرتفعات وخطوط المواجهة ..

يجب أن تطل الأموال الفائضة بأعناقها ، وتخرج الى النور والنار طائرات وزوارق ومدافع وصواريخ وقنابل يسلح بها المجاهدون ..

ان تاريخ وجودنا كأمة بدأ بالهجرة .. بتجاوز الضغط على الاسلام والمسلمين مداه .. ببلوغ الحقد على صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم حد الاغتيال والتآمر على حياته ..

وقد اعتبر القرآن الكريم الهجرة معركة ، وسمى نهايتها نصرا : ((ألا تنصروه فقد نصره الله

فليكن احتفالنا بالهجرة النبوية متسقا مع منطقها الايمانى فى تعبئة القوى من أجل الدفاع عن العقيدة والحق والكرامة .. القوى العسكرية ، والقوى المالية ، والقوى الاعلامية ، ونقصد بالقوى الاعلامية قوة الكلمة المؤمنة التى أمر الله بها رسوله القائد المجاهد : ((يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال)) .

ومع أول عدد من أعداد السنة السادسة لمجلة ((الوعى الاسلامى)) نتطلب — شاكرين — من الأساتذة الذين يسهمون فى تحريرها ، وكلهم من أعلام الفكر والبيان فى الجامعات والمعاهد والتأليف ، وعددهم قارب المائة والعشرين ، فى العام الماضى — نتطلب منهم المزيد من التركيز على خطر الصهيونية العالمية على العقائد والأخلاق والحضارة الانسانية عامة والاسلامية خاصة .

أما القراء الذين تصدر هذه المجلة لهم ومن أجلهم فقد كان اقبالهم على المجلة ، وحرصهم على اقتنائها ، ومطالبتهم بالمزيد من اعدادها — يفوق كل ما كنا نتوقعه ، وسيجدون فى الأعداد التالية ان شاء الله تجديدا فى الموضوعات والتبويب والتنسيق والاخراج ، ونرجو أن نكون عند حسن ظنهم بعون الله وتوفيقه .

ضوان النبلى

مدير ادارة الدعوة والارشاد

تخرصات بعض سفهاء المبشرين في مدى إعجاز القرآن الكريم

للاستاذ : محمد عزة دروزة

— ١ —

كتب الخورى يوسف الحداد الذى سمي نفسه (الاستاذ الحداد) كتبا عديدة بعنوان مشترك (دروس قرآنية) محشوة بكثير من التخرص والتمحل والافتراء وسوء الفهم والتأويل والادب ، ولقد تطرق فيما تطرق اليه فيها الى مسألة (اعجاز القرآن) فقال : (ان المسلمين يلتمسون للقرآن الشمول من كل وجه ، ويحاولون أن يجدوا فيه اعجازا الهيا فى العقيدة ، واعجازا الهيا فى الشريعة ، واعجازا الهيا فى الفلسفة ، واعجازا الهيا فى العلم الحديث ، وفاتهم جميعا أن تاريخ الاسلام يجهل مثل هذا التفكير ومثل هذه المحاولات ، وان القدماء انما اجمعوا على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه) .

وقد لمحنا حين قراءة سائر فصوله فى كتابه المرقم برقم (٣) انه قد اختط خطة خبيثة ولكنها غبية ، فقد أراد أن يركز على أن المسلمين القدماء ، وهم أول المتلقين للقرآن لم يروا الاعجاز الا فى نظمه ، فيكون ما يقوله المحدثون خلاف ذلك شذوذا عن أمر أجمع عليه الاعرف والاعلم والاقدم من المسلمين ، فلا يكون له اعتبار وأساس يصح الاركان اليهما ، والتعويل عليهما ، ثم ترسم فى مباحثه التالية الطعن فى نظم القرآن ، ونقض رأى القدماء فى اعجازه أو التشكيك فيه أو توهينه ،

ظنا منه أنه يكون بذلك قد نقض دعوى اعجاز النظم القرآنى التى يدعيها القدماء بزعمه بعد أن يكون قد نقض دعوى اعجازه من النواحى الشاملة الاخرى التى يقول ان المحدثين يدعونها له .

والخورى كاذب من حيث الاصل فى قوله : ان القدماء مجمعون على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه وحسب ، فهناك آثار واقوال قديمة كثيرة ينطوى فيها تقرير كون اعجاز القرآن هو فى نظمه وفى محتواه على السواء .

— ٢ —

وقبل أن نورد النصوص الدالة على ذلك يحسن أن ننبه على أمر جوهرى فى الموضوع ، وهو أن القرآن نفسه حينما يقرر انه هدى ورحمة وشفاء للناس ويهدى للتى هى أقوم ، وتبيانا لكل شىء مما جاء فى آيات عديدة منها الامثلة التالية :

١ — (ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) . (البقرة ١ و ٢)

٢ — (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) . (المائدة : ١٥ ، ١٦) .

٣ — (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .) (ابراهيم ١) .

٤ (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (النحل ٦٤) .

٥ — (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (النحل ٨٩) .

٦ — (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) (الاسراء ٩) .

٧ — (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين [1]) . (الاسراء ٨٢) .

وواضح بكل قوة من هذه الآيات وما من بابها ، ان القرآن حينما يقرر التقريرات التى فيها انما يقرر كون اعجازه هو فى المحتوى فى الدرجة الاولى ، وهو ما يتمثل ما فى القرآن المكى والمدنى معا من اعجاز الهى فى التشريع ، واعجاز الهى فى العقيدة ، واعجاز الهى فى الحكمة ، واعجاز الهى فى الارشاد ، الى خير سبل السعادة والنجاة فى الدنيا والآخرة ، واعجاز الهى فى التبشير والانذار ، والترغيب والترهيب ، واعجاز الهى فى عرض بدائع الكون ومشاهد عظمته وروعته ، ونواميسه الماثلة فى كل شىء ، والبرهنة بها على وجوب وجود الله وقدرته واحاطته ، واعجاز الهى فى ما احتواه من فصول الجدل والحجاج والافحام والالزام ، واعجاز الهى فى ما احتواه من الغيبيات السالفة ، والغيبيات الآتية ، واعجاز الهى فى صلاح ما أتى به من كل ذلك لكل زمان ومكان وجنس ولون وعقل وثقافة .

وكل هذا بارز ملموح بكل قوة وبكل روعة ، وبكل نفوذ ، وبكل قطعية فى مختلف سور القرآن المكية والمدنية ، ولا يمكن أن يكابر فيه ويتعامى عنه الا أحمق غبى أو حقود مغرض .

---

(١) فى القرآن آيات عديدة اخرى من باب هذه الآيات ، فاكتفينا بما نقلناه تفاديا من التطويل .

والقرآن فى متناول جميع الناس فى كل زمان ومكان .

ومن هذا المنطق قرر القرآن انه المعجزة الكافية لصدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على ما تضمنته آيات سورة العنكبوت هذه (٥٠ ، ٥١) : « وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) .

— ٣ —

ونقطة اخرى ايضا يحسن أن ننبه اليها قبل ايراد نصوص القدماء ، وهى أن لكون اعجاز القرآن هو فى محتواه بالدرجة الاولى ، لم يفت نبهاء قريش الذين ناوأوا رسالة النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى على ما تدل عليه محاولتهم تخفيف مدى هذا المحتوى التى تستفاد مما حكاه القرآن عنهم فى قولهم : (لو نشاء لقلنا مثل هذا أن هذا إلا أساطير الاولين) (سورة الانفال ٣١) حينما كانت تتلى عليهم آيات القرآن البينات ، كما جاء قبل هذه الآية (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء .. الخ) وقد حكت آية سورة الفرقان هذه (٥) : « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .. » ذلك القول مرة اخرى عنهم .

وواضح أن هذا لا يفيد انهم كانوا يعنون نظم القرآن ، وانما يفيد انهم كانوا يعنون محتواه ، ويعنون انه مقتبس عن كتب الاولين وقصصهم ، ولم يكن تحدى القرآن لهم حين تحداهم بالاتيان بمثله أو بعشر سور ، أو بسورة أو بحديث ، كما جاء فى هذه الآيات :

١ — (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) (البقرة ٢٣) .

٢ — (ام يقولون أفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (يونس ٣٨) .

٣ — (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (هود ١٣) .

٤ — (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) (القصص ٤٩) .

٥ — (ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (الطور ٣٣ ، ٣٤) .

فان هذا التحدى لم يكن تحديا لهم بنظم القرآن وانما بمحتواه حتما ولان نظمه مشابه لنظمهم . وكلماته وقواعده هى كلماتهم وقواعدهم . وفى جملة (اساطير الاولين) التى حكيت عنهم الدليل الحاسم على ذلك .

— ٤ —

وهناك حديث نبوى ذو مغزى عظيم فى هذا الباب . رواه الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن أبى طالب قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الا انها ستكون فتنة . فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال : (كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو

الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قاله صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

وهذا الوصف الشائق السامى الشامل للقرآن المروى عن من أنزل عليه القرآن ، والذى هو ادرى الناس بمدى اعجازه ، ليس كما هو واضح بقوة وصفا لاعجاز نظمه ، وانما هو وصف لاعجاز محتواه فى الدرجة الاولى .

ولقد توقف بعضهم فى الحديث كحديث مروى عن النبى ، وقالوا : انه من كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولو صح هذا القول فمعناه أن هذا المفهوم لمدى اعجاز القرآن صادر عن أناس من الرعيل الاول ، ومن الذين كانوا أقرب الناس للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأفهمهم لمدى القرآن ، ومع ذلك فهناك نصوص اخرى مروية عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيها تماثل لنص هذا الحديث وهى : (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد) . ونصوص الاحاديث بعد متساوقة مع الاوصاف الواردة فى القرآن للقرآن مما تضمنته الآيات التى أوردناها قبل .

ولقد كان معظم اهل الكتاب الذين يسميهم القرآن احيانا باسم أهل العلم ، وأولى العلم ايضا ، والذين سجل القرآن خشوعهم وسجودهم وبكاءهم وفرحهم وايمانهم ، حينما سمعوا القرآن كما جاء فى هذه الآيات :

١ — (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) (المائدة ٨٣ ، ٨٤) .

٢ — (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) (الرعد ٣٦) .

٣ — (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يَخِرّون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويَخِرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .) (الاسراء ١٠٧ — ١٠٩) .

من الجاليات الاجنبية ، وبعضهم كان وفدا من الخارج من الحبشة أو الشام ، وبعضهم لم يكن يحسن العربية بل كان اعجمى اللسان على ما تلهمه آية سورة النحل هذه « ١٠٣ » (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) حيث يعنى هذا بصورة حاسمة أن تأثرهم بالقرآن ، وفرحهم به ، وخشوعهم وسجودهم وبكاءهم وايمانهم حينما كان يتلى عليهم ، انما كان من تأثير ما احتواه من صدق وحق وروحانية نافذة ، وليس من تأثير اعجاز نظمه .

— ٥ —

والان نورد الدليل على كذب الخورى ، فالخورى يجعل كتاب الاتقان فى علوم القرآن للامام السيوطى مصدرا رئيسيا من مصادره ، وينقل عنه كثيرا ، ومع أن السيوطى أورد حقا أقوالا لبعض العلماء بأن اعجاز القرآن هو فى

نظمه وبلاغته فانه قال : ان جمهور العلماء يقررون ان اعجازه هو فى نظمه ومعانيه على اختلاف نواحيها) وقد تعامى الخورى عن هذا القول الذى فيه تكذيب صريح لـــه ، ولقد أورد السيوطى مقتطفات عديدة من اقوال عدد منهم ، ومن جملة ذلـك فصل للخطابى احد علماء القــرآن ونورده كمثال عــلى اقوال العلماء القدماء : (وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها : ان علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ، ولا تـــدرك افهامهم جميع معـــانى الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ، ولا تكمل معرفتهم باستيفـــاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضهـــا ببعض فيتواصلوا باختيار الافضل مـــن الاحسن مـــن وجوهها الى أن يأتوا بكـــلام مثله ، وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، واذا تأملت القرآن وجـــدت هذه الامور منه فى غـــاية الشرف والفضيلـــة حتى لا ترى شيئـــا من الالفـــاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاوة وتشاكلا من نظمه ، وأما معانيه فكل ذى لب يشهد لـــه بالتقدم فى أبوابه ، والترقى الى أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى انواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه ، فلم توجد الا فى كـــلام العليم القدير ، فخرج من هـــذا ان القرآن انما صار معجزا لانـــه جاء بأفصح الالفـــاظ فـــى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله وتنزيهه فـــى صفاته ودعـــائه الى طاعته ، وبيان لطـــريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهى عـــن منكر وارشاد الـــى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها ، واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ، ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم ، منبئا عن الكوائـــن المستقبلة فى الاعصار الاتية من الزمان ، جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج لـــه ، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا اليه وأنبأ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ، ومعلـــوم أن الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنـــه قـــوى البشر ، ولا تبلغـــه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عـــن معارضته بمثلـــه ، أو مناقضته فى شكله ، ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما رأوه منظوما ، ومرة انه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس ، يرهبهم ويحيرهم فلـــم يتمالكوا ان يعترفوا به نوعـــا من الاعتراف ، ولذلك قالـــوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الاولـــين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، مـــع علمهم أن صاحبهم امى ، وليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الامور التى أوجبها العناد والجهل والعجز ، وانك لا تسمـــع كـــلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحـــلاوة فى حـــال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر ما يخلص منه اليه ، قال تعالى : (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعـــا متصدعـــا من خشية اللـــه) ، وقال (اللـــه نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى

تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) .

ونورد مثالا آخر من بابه لمفسر قديم مشهور هو الامام ابن كثير من رجال القرن السابع الهجرى قال : (ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية ، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قال تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه ، وكل من لفظه ومعانيه لا يجارى ولا يدانى ، فقد اخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما اخبر سواء بسواء . وأمر بكل خير . ونهى عن كل شر . كما قال تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » اى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ، ليس فيه مجازفة ولا كذب ، ولا افتراء كما يوجد فى أسفار العرب وغيرهم من الاكاذيب والمجازفات التى لا يحسن شعرهم الا بها ، كما قيل فى الشعر : (ان أعذبه أكذبه) وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها فى وصف النساء أو الخيل أو الخمر ، أو فى مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو مخافة سبع أو شىء من المشاهد المتعينة التى لا تفيد شيئا الا قدرة المتكلم المتعين على الشىء الخفى أو الدقيق ، أو ابرازه الى الشىء الواضح ، ثم تجد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هى بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته .

وأما القرآن فجميعه فصيح فى غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا واجمالا بمن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، وان تأملت اخباره وجدتها فى غاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة أم وجيزة ، وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وان أخذ فى الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وان وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق الى دار السلام ، ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال فى الترغيب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال : (وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون) وقال فى الترهيب : (ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور . أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقال فى الزجر : (فكلا اخذنا بذنبه) وقال فى الوعظ (أفرأيت ان متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الى آخر ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والجلاوة ، وان جاءت الآيات فى الاحكام والاوامر والنواهى، اشتملت على الامر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهى عن كل قبيح رذيل دنىء ، وان جاءت الآيات فى وصف المعاد وما فيه من الاهوال ، وفى وصف الجنة وما وعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت الى فعل الخير واجتناب المنكرات ، وزهدت فى الدنيا ، ورغبت فى الاخرى وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت الى صراط الله المستقيم ، وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم) .

ولو كان الخورى يخضع للحق والحقيقة أو يتحراهما ، لكان راعى ما قاله جمهور العلماء القدماء ، ولما قال ما قاله عنهم ، وغاب عنه ان كتب القدماء والكتب التى ينقل عنها ليست عنده وحده .

— ٦ —

ومع ذلك وبعد كل ذلك فليس

مستنكرا كما يريد الخورى أن يوهمه أن يتصدى المسلمون المعاصرون لهذه المسألة ويلتمسون الشمول فى اعجاز القرآن لكل جيل وقبيل ، وفى أيدى كل جيل وقبيل ، وقد وصل الى الناس كما بلغه رسول الله عن وحى الله ، وكما دون حين بلغه ، فصار بذلك الكتاب الالهى الفريد فى هذا الباب ، وكل مسلم بل كل انسان مدعو الى تدبر آياته ، وكل ذى لب مدعو الى التذكر به ، كما جاء فى آيات عديدة منه كما ترى فى الامثلة التالية :

١ — (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون . .) (النحل ٤٤) .

٢ — (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب . . (ص ٢٩) .

٣ — كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . .) (فصلت ٣)

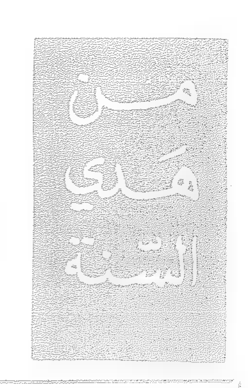
وقرر انه هدى ورحمة وذكرى وشفاء لكل مؤمن ، ولمن حسنت نيته ورغب فى الحق والحقيقة ، كما جاء فى آيات عديدة أوردناها قبل :

فليس ما يمنع المسلم فى اى ظرف أن يلتمس فى القرآن اعجازا الهيا فى العقيدة ، واعجازا الهيا فى التشريع ، واعجازا الهيا فى الحكمة ، واعجازا الهيا فى التلقين السياسى والاجتماعى والاخلاقى والشخصى والانسانى العام ، واعجازا الهيا فى العلم الحديث ، بالاضافة الى الاعجاز الالهى فى الاسلوب والبيان ، ونفوذ الخطاب الى أعماق النفوس والقلوب والضمائر ، بل ان التماس ذلك واجب على كل مسلم ، وعلى كل انسان فى كل وقت ، وعلى المعاصرين أن يفعلوا ذلك كما فعل القدماء ، وتقدم العلوم والفنون والحضارة يجعل هذا الواجب أشد بالنسبة للمعاصرين حتى يثبتوا لابناء أجيالهم الذين اشتد انحرافهم عن الاديان مصداق قول الله : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) . ويثبتوا كون القرآن الذى يمثله هذا الدين الذى رشحه الله ليكون دين الانسانية عامة — وليظهره على الدين كله — قد احتوى كل مظاهر الاعجاز الالهى ، وكل ما يحتاج اليه البشر لسعادتهم ونجاتهم وسلامتهم وكرامتهم وطمأنينتهم ، واحتوى حلا لكل مطلب ومشكلة فى كل ظرف ومكان وبيئة ، وانهم لواجدون فيه ذلك من الدلائل القطعية والبراهين الحاسمة والشواهد الناصعة والحجة البالغة ما يثبت أن القرآن فريد فى كل ذلك ، وانه وحى الله حقا وصدقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولقد كتب كثير من علماء المسلمين المعاصرين وكتابهم خلال الحقبة الممتدة من مطلع هذا القرن ، وما يزالون يكتبون كتبا كثيرة فى اثبات الاعجاز الالهى فى القرآن من كل ناحية فيها المقنع لمن اراد الحق والحقيقة ، وتغلب على الحقد والغرض والهوى ، وساهمنا نحن بتوفيق الله والحمد له فى ذلك فى كتبنا .

واذا نحن ركزنا الكلام على ناحية الاعجاز الالهى فى المحتوى القرآنى ، فليس ذلك منا اغفالا عن الاعجاز الالهى فى النظم القرآنى .

فهذا من المسلمات التى لا تتحمل أطنابا جديدا ، وقد وفاها العلماء قديما وحديثا حقها ، بما لا محل للمزيد عليه ، وانما كان ذلك منا لانه مقتضى الكلام والحافز عليه من جهة ، ولاننا نعتقد أن الاعجاز القرآنى هو فى محتواه فى الدرجة الاولى من جهة اخرى ، وهو ما اهتم القرآن للتنويه به أكثر ، والله تعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .



الى أين نحن مسوقون ؟

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض : الله ، الله)) .

رواه البخارى ومسلم وأحمد

ا – عرفته منذ أمد بعيد رجلا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، صادق الايمان ، لا يصده عن دينه صاد ، ولا يدفعه عن القيام بواجباته نحو ربه دافع ، ولا تعوقه دنيا أفاءها الله عليه عن غدوه ورواحه الى بيوت الله ، طبق على سلوكه أحكام الله أكمل تطبيق ، وجاهد ويجاهد فى الله حق جهاده بكل ما استطاع وما يستطيع من قول وعمل وبذل ، وهو سائر فى نفس الخط المستقيم دون حيدة أو التواء ، حتى ليخاله من يخالطه عن كثب أنه لا يعايش عصره ، ولا يحس بما يدور فيه من مجون وزيف سلوك ، وانما هو رجل عصر النبوة الصافى الذى لم تدنسه أفكار فجة وقحة ، ولم تستطع أن تنمو فيه تلك الفسائل الحقيرة ذات الريح العفن الكريه ، هو سليل من بكى يوم ألمت بماله الملمات فافتقده فى عرض البحار وابتلعه اليم ، وما كان جوابه حين سئل عن دواعى حزنه ومصادر ألمه الا أن قال : انى جزع أسيف لا على عرض زال وقد يعود ، وانما أسفى ومثار غمى أنى لم أعمل عملا يحتسب لى عند الله ، عملا يكون فى ميزانى يوم القيامة ، وانى أعاهد الله لو أقبلت أم دفر ثانية ، أن يكون أول ما أقوم به عمارة بيوت الله والبر بعياله ، وقد وفى ما عاهد الله عليه ، فشاد لله بيتا لا يزال يحمل اسمه الى اليوم وغدا ، وحكى عنه معاصروه أنه كان يحمل مواد البناء بنفسه ليعلى لله منارا فى زمن ما كان أحوج البلاد فيه الى تلك المنارات . .

التقيت بصاحبى ذات صباح بعيدا عن صخب الحياة ومفاتنها فى هدأة عمل وسكون ليل ، وجرى الحديث متناولا وقائع العصر بعد جولة قمنا بها فى أحياء مدينة أوربية اشتهرت بالعلوم والمعارف منذ عصور ، والجمال جمال التنسيق والابداع الذى لا يزيده مرور الايام الا فتنة وروعة وقوة ، وقال صاحبى : حبذا لو كان هذا مصروفا فيما خلق لأجله ، ووجه للانتاج النافع والبناء الداعم للحضارة الانسانية ، المساير لتعاليم رب كل شىء التى أوحاها الى رسله ، اذن لكان لها سياج عظيم يحمى من الفتنة والضياع ، فالعقل مهما كشف وفقه فهو عن ادراك سر الحياة الدفين محجوب ، فذلك غيب مكنون ، استأثر به فاطره ، والشهوات عامل معوق معاكس لاستقامة الحقيقة ، وها نحن أولاء نرى الى جانب المظهر الحضارى البادى ، بقعا سوداء تشوه انسجامه ، وتذهب بروائه ، وتكاد تأتى على الاثر الخير فيه ، مع أنه ما من ممنوع يبدو مغريا جذابا الا والى جانبه مباح أكثر اغراء وأشد جاذبية لو أحسن التوجيه اليه والاخذ بأسبابه ، ولكن الامر كما قلت : هو شيطان الغرور ، وحب المخالفة ، ومحاولة الوصول الى كل شىء دون رقابة أو محاسبة ، بل وافراغ

كل العنـــاية فى جانب المـــادة وحدها ، مادة تشيد المصنع ولا تبنى الروح ، تؤمن بالانسانية بمقدار ما تدر مواردها ما يكفل للمصنع الاستمرار فى طريقه ، وما يديم صخب الآلة ، حتى ولو كان ما ينتج سما ومدفعا وقنابل ، فرأيى أن التقدم العلمى فرس جموح ، ولا يكبح جماحه الا شكيمة ولجام ، وما هى الا ايقاظ الروح لتعمل الى جانب المادة ، فتحول منتجاتها الى بلسم وعافية وبناء ، والا فالى أين نحن مسوقون ؟!

٢ ـــ سؤال وارد ولا شك ! ويحتاج الى جواب ، وجوابه لا يستقى الا من الشريعة ، من الدين ، من المصدر الصافى ، من الـــكتاب والسنة ، ومن المعلوم بداهة أن السنة شارحة وموضحة ومؤسسة أحيانا ، يقول سيد الخلق : « أوتيت الكتاب ومثله معه » والكتاب قد أشار وأكد أن للعالم نهاية ، وأن للدنيا فناء سيلحقها قريبا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولـــكن متى وكيف ؟! أما المتى فالله أعلم به (لا يجليها لوقتها الا هو) ، وأما الكيف فقد فصلته بعض آى القرآن الكريم وأفاضت فيه السنة الشريفة ، فالقرآن يقول : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » ٦٨ سورة الزمر . وفى أوائل كثير من ســـور القرآن ما يزيد المسألة تفصيلا والأمر وضوحا ، كسورة الانبياء والحج والحاقة والمعراج والقيامة .. الخ ، وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم تفاصيل وافية عن أحوال الساعة وما يسبقها من أحداث وامارات تشير الى دنوها وتؤذن بقرب وقوعهـــا ، وقد مررنا بطرف منها فى أحاديث ســـلفت ، ويعنينى هنا جواب صاحبى على سؤاله : الى أين نحن مســـــوقون ؟! رأى صاحبى وشاهد ، ورأيت معه وشاهدت ، وعرف الكثيرون الذين جابوا آفاق الدنيا المعاصرة طولا وعرضا ، أن العمل بما أوحى الله الى رسله بات منزويا فى دور العبادة لا يتعداها ، بل انه فارقها فى بعض بلاد العالم المتمدين ـــ كما يســـــمونه ـــ فكثير من الشـــباب اذا أراد زيارة معبد ما لا يراعى اللياقة والاحترام ، وانما يدخل باستهتار واستهزاء ، والواقع أن تلك المعابد صارت قاصرة ـــ تقريبا ـــ على العجائز الذين يودعون الحياة ويشعرون بأن دورهم على المسرح قد ألغى نهـــائيا ولن يعود ، وهناك ـــ والحق يقال ـــ لا تتدخل الحـــكومات فى شئون الناس وخاصـــة فى معتقداتهم ، بل انها تعينهم على التدين أحيانا ، ففى كل أسبوع يعرض فيلم دينى على شـــاشة « التلفاز » فضلا عن محاولة اثارة النخوة والنعرة الدينية ضد الآخرين لســـبب أو لآخر بأســـاليب متعددة يعلمها من عاش هناك ، فالعائق ليس رسميا ، وانما هو نابع من قادة الفكر ، وأكثر ما بدا من مذاهب وفلسفات بعد الحرب العـــالمية الثانية يكاد يكون منشؤه عوامل شخصية تفاعلت بها نفس صـــاحبها لمؤثرات بيئية خاصة ، ثم بدىء بتطبيقها على السلوك ، ولما كانت الى المادة أقرب منها الى الروح اعتنقها شباب من الجنسين وزادها رسوخا ، ومكن لها أن بعض مثيريها والذين تبنوها أساتذة فى جامعات مرموقة ، ومنبت البعض من صميم الطبقة التى تحمل المال والترف الى القصـــور وتكدح فى جمعه وتنميته دون أن يكون لها حظ فيه ، وتلك الفئة تمثل الكثرة الكاثرة من كل الشـــعوب ، ولم تنصـــفها أديان هناك ولا أحكام ، ونتج عن تلك الفلســـفات ما تتخبط فيه تلك المجتمعات بعيدا عن القيم الانســـانية الفاضلة التى يقررها ويقرها وحى الســـماء ، كما يؤيدها العقلاء ، فما العقل فى أصـــالته ببعيد عن الوحى الالهى ، وأشير دائما الى الوحى والى السماء لا هروبا من مقـــاييس عقلية خاصة ، وانما لأنى أجد تلك المقاييس ان صدقت وصدرت عن اخلاص

للعلم والانسانية بعيدا عن الانانية والنوازع الفردية البحتة متلاقية مع الوحى أيما تلاق ، ومتجاوبة كل التجاوب .

وبعد .. فقد سرت عدوى تلك المبادىء والآراء الينا لأنها متعانقة مع منتجات المصنع التى لا نملك أن نبتعد عنها ، والا تعرت منا الاجساد ، ودكت البيوت ، ولطالت علينا المسافات وفقدنا كل مقومات الحضارة المادية ، فلو أمسكت بأى من شرقنا فى أى بقعة من أرضنا لألفيته من قمة رأسه الى اخمص قدمه لا يملك الا لحمه ودمه حين يريد أن ينتسب الى ترابه ، والمصنع لا يقدم لنا وسائل الحياة الا مع تمهيد لها يحطم المثل الموروثة والقيم الاصيلة ، والامر لا يحتاج الى مزيد بيان ، فالحديث الى أولى الالباب .

٣ — وندلف الى أوطاننا — أوطان العرب والمسلمين — باحثين متسائلين : لماذا ننسلخ بهذه السرعة من أصالتنا ، ولأى داع نتبع كل ناعق ، ونغفل سريعا مقومات وجودنا ، فمن المعلوم أن لكل شعب مميزاته ، ولكل أمة مقوماتها التى لا تعرف الا بها ؟! أيعود ذلك الى ضعف فى الاصول ؟ أم الى تخلخل الايمان بها ؟ أم الى عجز حراسها ؟ أم أن ما نحن فيه وهو تمهيد لتنفيذ قضاء مبرم سابق لا يد لنا فى رده ؟! فسيحدث رضينا أو كرهنا ، أردنا أو لم نرد ! والاجابة على هذه الاسئلة مجتمعة ، تمثل الاجابة الكاملة على السؤال الرئيسى ، الى أين نحن مسوقون ؟! فلنتعرض للاجابة عليها الواحد تلو الآخر ، ولو طال البحث وتشعب !

أ) قامت على أصول التوجيه الاسلامى دراسات ، وأنشئت باسمه كراس فى جامعات غربية أكثر منها شرقية ، وتناولتها أقلام صديقة وأخرى محايدة وثالثة سافرة العداء ، ووضعت لتوضيح نضوجها أو فجتها كتب ومؤلفات ، ولم يعد فيها سر خاف نخشى أن يتعرض للهواء فيفسد ، أو لضوء الشمس فيتبدد !!

فأما الصديق — لا المعتقد (٢) — فرأى بعد استقصاء وتعمق دراسة ، أن كل أمر الاسلام خير ، لأن ما ينشده الباحث عن السعادة قد وفرته تلك الاصول تماما ، فالمجتمع الذى تطبق فيه تعاليم الاسلام نصا وروحا يبيد فيه كل أعداء الانسانية وتنمو على أرضه مقومات الحياة الحرة الكريمة فى ظل حراسة ساهرة واعية !! وأعداء الانسانية : الجهل والمرض والفقر ، ومقومات الوجود الفاضل : اخاء وحرية ومساواة ، وموقف الاسلام من الاعداء والمقومات معلوم واضح ، فما أكثر ما تحدث عنها كتابه الكريم ، وما أوضح بيانا فسرته سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ولنعرج على مواقفه من كل منها !!

١ — فالاسلام الحق نور يبدد ظلام الجهل ، وما يزال به حتى يمحوه نهائيا من بيئة يعيش فيها ، وقول القرآن هو الفيصل ، والسنة مؤكدة ، والتاريخ شاهد عدل .

ففى القرآن : نجد أول خطاب الهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجه الى العلم الماحى للجهل ، فالدعوة الى القراءة توجيه الى مفتاح العلوم ، اذ هى النافذة التى يطل منها العقل على نتاج صفوة العلماء فى الماضى والحاضر ، وفى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت على تعلم العبرية كما رواه ابن الاثير فى تاريخه توجيه آخر لكل عاقل أن يلم بلغة ذات قيمة فى عصره لينفذ منها الى علوم لم تسجلها لغته ولم يعها تراث آبائه أو معاصروه من بنى قومه ، وفى قوله تعالى : « ... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين

---

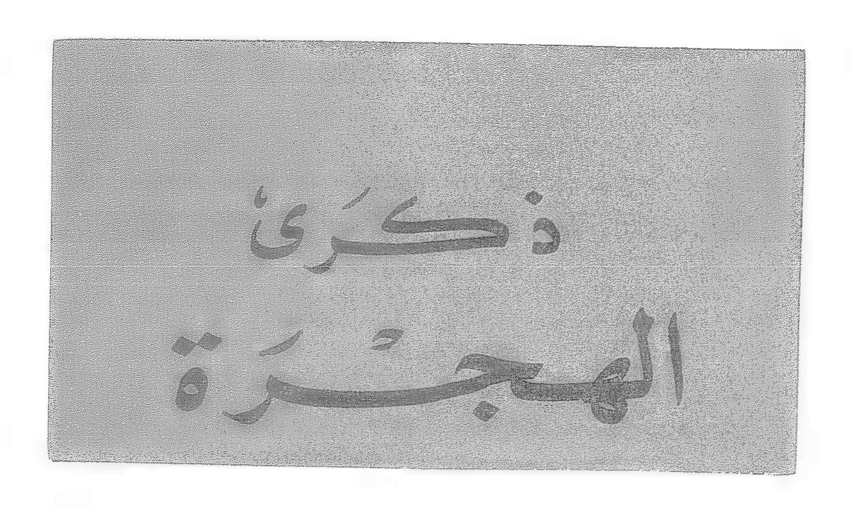
(٢) لأن المعتقد لتلك الاصول لا كلام لنا معه ولا استدلالنا بفعاله أو أقواله ، فأمره دائر بين أمرين ، فهو اما وارث لا يناقش ولا يقتدى به ، واما ناظر باحث يوكل الى نظره وبحثه ويصح أن يقتدى به .

لا يعلمون .. » ٩ سورة الزمر توضيح لفائدة العلم فهو الموصل الى أسمى ما يطلبه مؤمن من عمله وهو معرفة ربه وعبادته على هدى وبصيرة ، فالذى لا يعلم يخبط خبط عشواء لأنه لا يدرك الهدف فيما يأتى وما يذر لأنه جاهل بالنتائج ، والجاهل لا يصلح أن يكون من عباد الله المصطفين الاخيار ، فمن علم بلغ أعلى معارج الخير ومن جهل درج فى دركات الشر ، ولا يخفى هذا على ذى لب يفهم وعقل يفكر ، فالمعتبرون بحجج الله المتعظون بها هم أهل الحجا والعقل لا أهل الجهالة والغفلة .. وأية اشادة بقيمة العلماء أعظم من تلك التى يشير اليها قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء .. » والعلماء هنا ليسوا الفقهاء بالمعنى التقليدى الاصلاحى المعروف لدى المسلمين ، وانما تعنى الآية الكريمة المسلم العالم بكل الظواهر الكونية وخفايا الوجود بالقدر الذى يستطيع الوصول اليه انسان عاقل باحث مفكر ، واستعراض آيات الكتاب الحكيم التى تحتوى على مادة (ع ل م) لا يدع مجالا لشك فى أن هذا التنزيل المبارك اشتمل على أوفى ما يمكن أن يقول به قائل فى تمجيد العلم ، وعلى الدفع القوى الى محو الجهل من بلاد يسودها الاسلام شريعة ونظاما ، فلم يسبقه ولم يأت بعده من وفى العلم حقه ، وأنزل العلماء منازلهم السامية فى قمة رعاة الانسانية فى الحياة الدنيا ، وفى أعلى درجات الفردوس فى الآخرة : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

وفى السنة : يكفى حديث واحد من عشرات المئات من الأحاديث الشريفة الداعية الى العلم والمشيدة بفضل العلماء .. عن قيس بن كثير قال : كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاء رجل فقال : يا أبا الدرداء (انى جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة ، قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الانبياء ، وأن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » . رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى .

وأخيرا يبقى حديث التاريخ : وتاريخ المدرسة الاسلامية معلوم مشهور وواضح غير خفى وقد ترجمت آثارها الى كل اللغات الحية ، ولم يعد أمرها خافيا فى عالم علماء الدنيا المعاصرة على الاخص ، وأسماء المعلمين والمتعلمين لا تكاد تحصى خصوصا من تصدروا للعلوم الاصيلة فى كل فن وعلم ، وكانوا اللبنات السليمة القوية التى قامت عليها حضارة العالم المعاصر شرقيه وغربيه ، العالم الذى لا يمكن أن ينسى أسماء الفلاسفة المسلمين ولا الفقهاء من أمثال الكندى ، الفارابى ، ابن سيناء ، ابن رشد ، أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، أحمد ، وابن تيمية أخيرا ، وليس آخرا وكذلك تلاميذه وتأثير مدرسته فى علماء العصر شرقا وغربا ، وغير هؤلاء ممن يعيى بهم الحاضر ويقف دون بلوغ عددهم العاد الحصيف ، فقد أخرجت المدرسة الاسلامية علماء فى كل علم وفن ، كما أسلفنا ، وذلك مشهور معلوم ، وهل يخفى القمر أو هل تجحد ذكاء .

وحين أقف تاركا الحديث الآن الى عدد قادم ــ بعون الله تعالى ــ أهيب بالقارىء الكريم ألا يتعجل معرفة الصلة بين حديث الباب وبين ما ذكرنا ، فذلك آت بفضل الله ، فالصلة وثيقة وان غدا لناظره قريب . والله الموفق والمستعان .



إعداد للنفوس
وتجميع للقوى
وحماية للدعوة

للشيخ : عبد الحميد السائح

أيها المسلمون :

لقد هاجر الرسول الأعظم سيدنا ومولانا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، كما هاجر صحبه الأكرمون الذين اختاروا أن يكونوا له أعوانا فى دعوته ، وزملاء فى هجرته ، وشركاء فى جهاده وتضحياته .

وهذه هى السنة الثالثة التى تمر فيها هذه الذكرى وقد فقدنا فلسطيننا العزيزة ، وقدسنا الخالدة وأقصانا الحبيب ، وأراضى عربية عزيزة أخرى من الشام والكنانة ، وقد تركنا فيها أهلنا وأحبابنا ، ثابتين صامدين ، يناضلون العدوان ويكافحون الشر والآثام ، ويتعرضون لمختلف أنواع التنكيل والتعذيب ، وتهديم المساكن والمتاجر ، وانتهاك حرمة الأعراض ، والمقدسات ، وهم كالطود الشامخ ، يزدادون ثباتا وايمانا فى مقاومة الاحتلال ، وأنواع الظلم امعانا ،

مهما عظمت التضحيات ، وثقلت وطأة النكبات ، يذكرون آل ياسر رضى الله عنهم وأرضاهم ، وقول الرسـول الأعظم صلى الله عليه وسلم لهم ((صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة)) ويذكرون أيضا ، موقف بلال ، وأمثال بلال ، من الأصحاب الكرام ، فى تحمل مختلف أنـواع العذاب والهوان ، فى سبيل المبدأ والعقيدة ، وما آل اليه حالهم نتيجة الصبر ، من النصر والعزة ورفعـة الشأن ، ويضعون نصب أعينهم قول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه البخارى ومسلم ((لا هجرة بعـد الفتح ، ولكن جهـاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا)) .

وانهم لهم المرابطون المجاهدون الصادقون ، الذين يفوتون على العدو فرصته وهدفه ، فى تخلية البلاد ، وتهجير السكان ، ومع هذا يكونـون ردءا لاخوانهـم الفدائيين ، صفوة المجاهدين الأبـرار ، والمؤمنـين الأخيار .

واذا كان اخواننا الصامدون فى المناطق المحتلة ، يتمتعون عند الله ، فى صيانتهم ديار العروبة والاسلام ، ومكافحتهم الأغيار ، بمزية المهاجرين ، فان اخوانهـم الذين يمدونهم بما يثبت أقدامهم ، ويعينهم فى جهادهم ، ويزودون الفدائيين بما يصعد عملهم ، ويقوى جلادهم ، من السلاح والمال ، يمتازون بدرجة الأنصار .

أيتها الشعوب العربية والاسلامية فى المشـارق والمغارب :

لقد تحدتكم الصهيونيـة العالميـة ، والاستعمار والامبريالية ، تختبر ايمانكم ، وتتفحص يقينكم واسلامكم وتمتحن قواكم وتتعرف مشاعركم :

هل أنتم على احتلال الديار صامتون ساكنـون ؟
هل أنتم لاحراق الأقصى ، وأبعاده ، متحملون ؟
هل لكرامتكم ومقدساتكم ثائـرون ؟
هل لشرفكـم وكرامتكم منقذون ؟
هل على وجودكم وشخصيتكم محافظون ؟
أو أنكم فى حقوقكم مفرطون ؟
وعن أرضاء الله معرضون ؟
وفى سبيل الدنيا تتكالبـون ؟
ومن أجل ملذاتكـم وشهواتكم غارقون ؟
وتتحملون أبعاد قول الله العلى القدير :

((وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونـوا أمثالكم))(١) .

أيها المسلمون :

يحدثنا التاريخ انه فى موقعة عمورية ، تعرضت امرأة واحدة لانتهاك عرضها ، فاستغاثت بأمير المؤمنين المعتصم ، قائلة : وامعتصماه ! فينتفض المعتصم ، ويحرك جيشه ، لانقاذ المرأة ، والشرف والكرامة ، ولا يقر له قرار ، حتى أعاد للمؤمنين عزتهم ورفيع شأنهم .

فكم من امرأة انتهك عرضها فى فلسطين وسائر الأراضى المحتلة ؟ وكم من حرمات فى تلك الديار استبيحت ؟ وكم من مقدسات دنست ؟

(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) ؟ (٢) .

(يايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير) (٣) (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٤) .

أيها المسلمون حيثما وجدتم :

انه لا يجدينا فى ديننا ، وتبرئة ذمتنا ، أن نذكر مناسباتنا الدينية ، ونغض الطرف عن واقعنا ، ولا تتحرك فينا دواعي الايمان ، وبواعث الجهاد ، وقد أصبح من نافلة القول : ان الجهاد بالمال والنفس فرض عين على كل مسلم ، وكل محاولة أو التواء ، عن المبادرة للقيام بهذه الفريضة ، هو تخلف عن المشاركة ، وتقصير فى المساهمة ، وابقاء على نفوذ العدو ، وتمكين له من الاستمرار فى غطرسته وعنفوانه ، وتدنيس المقدسات

---

(١) الآية ٣٨ من سورة محمد .

(٢) الآية ٧٥ من سورة النساء .

(٣) الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبة .

(٤) الآية ٤١ من سورة التوبة .

البقيـــة ص ٢٧

ضوء على بعض المشكلات

قرأت مقالا عن (الانفجار السكاني وامكانات التحكم فيه) نشرته صحيفة الأهرام يوم الجمعة ١٩٧٠/١/٢ ، ولا أكون مغاليا اذا وصفت هذا المقال بأنه صائب الفكرة ، عميق النظرة ، مملوء بالحقائق الجديرة بالاحترام ..

ولقد لفت عددا من الدعاة المسلمين ، وعلماء الدين ، الى هذا المقال ، لأنه يصور فى نظرى عودة الى أفكار سبق أن كتبتها ووقفت عندها ، ورأى جمهور المسلمين أنها التعبير الحق عن أحكام دينهم ونهج حياتهم ، وان كان البعض قد مارى فيها مراء يعلم الله بواعثه ..!!

والكاتب بعد مقدمات جيدة حول مشكلة النسل يقول : « أن تفسير الزيادة السكانية بغير التخلف الاقتصادى ، أو رد هذه الزيادة الى عوامل أخرى مثل غلبة الغريزة الجنسية ، أو وجود الأديان المحبذة للتناسل ، أو عدم المبالاة بالرقى ، يدخل تحت باب التضليل العلمى ..!

وقد استخلص هذه النتيجة الصادقة من جملة ملاحظات علمية واجتماعية جديرة بالتأييد الحار ...

ويعجبنى أنه استهجن صيحات التشاؤم المفتعلة التى تخصص فى ارسالها بين الحين والحين نفر من مقلدى الأساليب المجوجة فى الاحصاء الجزئى والحكم العام ، وهى أساليب تخدم سياسة معينة ولا تخدم حقيقة مجردة .

يقول الكاتب : « فى أواخر الستينات تدفق سيل جارف من البيانات والبلاغات التى يتبرع بها نفر من نجوم الرأى الامريكيين يزعمون فيها أن العالم قد بلغ فى مسيرته نحو الكارثة نقطة (اللاعودة) بسبب الزيادة المفرطة فى سكانه ، تلك الزيادة التى نشأت من أن أقطار العالم الثالث ـ الذى يضم عشرات من الدول النامية أو بتعبير آخر

للشيخ : محمد الغزالي

عشرات من الدول المتخلفة — لم تكبح جماح شهواتها الجنسية ، ولم تستجب لدعوة المندوب الامريكى الى (تخطيط الأسرة) أو تحديد النسل الذى رأى سيادته أنه الطريق الوحيد لحسم المشكلة السكانية » .

بل لم يستحِ نفر من قادة الرأى فى أرقى الدول أن ينادوا جهرة بضرورة استخدام القسر فى الحد من هذا التفوق العددى للمراتب السفلى من البشر (!) بالقدر الذى يمنع دفع المراتب الأعلى الى الخلف ..

هذا ، ولما كانت نسبة الأولاد تكاد تكون ثابتة من عشرات السنين فان الزيادة المحذورة نشأت للأسف من قلة الوفيات بسبب ارتفاع المستوى الصحى فى أرجاء العالم .. !!

والحل ؟ انه عند أرباب الثقافة الغربية الرفيعة عدم مقاومة العلل بين شعوب لا تجد الأكل ، وترك الأمراض تفتك بهذه الاجيال الوافدة ، فان اقحام طوفان من الاطفال الجياع على اقتصاد مضطرب أمر يهدد بكارثة ..!!

لكن كيف يوصف هذا التصرف ؟ انه تصرف انسانى عادى !! لأنه يساعد الطبيعة على انتخاب الأصلح وابقاء الأقوى ..!! بل ان هذا التصرف يتفق مع أرقى ثمرات الفكر الانسانى ، ألم يقل أفلاطون فى جمهوريته الفاضلة : (انه يجب قتل كل طفل يزيد عن العدد الضرورى ؟ ونحن قد وصلنا بالفعل الى ما يزيد عن هذا العدد الضرورى !!!

ويستتبع الفكر الغربى أحكامه على الأمور فيقول الدكتور (هوايت ستيفنز) — أحد خبراء علم الاجتماع — أن يوم القيامة سيوافق ١٣/١١/٢٠٢٦ لأن المجاعة العالمية فى هذا اليوم ستقضى على الجميع ، هكذا يقول الدكتور الألمعى بعد حساب وفق قواعد علم الاجتماع لا قواعد علم التنجيم !!

وبناء على ذلك الهوس الاحصائى يدعو الامريكيون المتشائمون الى التعقيم الاجبارى ، والى فرض نظام صارم لتحديد النسل ، والى دعوة الأمم المتحدة الى اجراء ما كى ينخفض عدد الأولاد بين العرب والزنوج والهنود وأشباههم ، وهم سواد العالم الثالث ...

ويلاحظ الأستاذ كمال السيد —

كاتب المقال — أمورا ذات بال ، منها أن الولايات المتحدة مثلا تنفق سبعين ألف مليون دولار على معدات القتال . وأن شركاتها الكبرى تعامل شعوب العالم الثالث بنهم مستغرب لا مكان معه للرحمة بهؤلاء الجياع المساكين .

يقول : « وهناك صيغة شائعة فى أمريكا الجنوبية فحواها : أن خمسة من سكانها يموتون جوعا كل دقيقة ، فى حين أن الشركات المستغلة العاملة بها تكسب خمسة آلاف دولار كل دقيقة ، أى ألف دولار من كل ميت » . . !!

ومع شعورنا باتجاه الكاتب الا أننا نعرف أن المساعدات الاستعمارية مغشوشة النية ، سيئة الهدف ، فقد توزع على الاطفال مقادير من الالبان والجبن ، ولكنها تفرض على بيئتهم قيود الفقر الأبدى الى هذا النوع من المساعدات . .

هذه البرامج توزع المواد الاستهلاكية وحسب ، على الأمم المتخلفة ، وتمتنع امتناعا غريبا عن تصنيع البيئة ، واعانتها على أن تخدم نفسها بنفسها ، وتستغل مواردها الوطنية بقدراتها الخاصة !!

كأن شعوب هذا العالم الثالث — كما تسمى — ينبغى أن تظل مشلولة المواهب مكشوفة العجز ، لا تستطيع ارتفاق ما لديها من خيرات . . .

وعليها — بعد — أن تسمع الحكم بأن القيامة بعد كذا من السنين !!

ويتلقى هذا الكلام بعض قصار العقول فيطيرون به هنا وهناك ينذروننا بالويل والثبور وعظائم الأمور فاذا حاولنا التفاهم معهم قالوا : انكم رجعيون تائهون عن مقررات علم الاجتماع ، وأخطار يوم القيامة الذى سيجىء حتما مع زيادة السكان !!

ولنتناول الآن صميم المشكلة : هل حق أن بلاد العالم الثالث لا تكفى حاجات أهلها ، وبالتالى لا تتسع لمزيد من الأفواه التى تطلب القوت ، والأجساد التى تطلب الكسوة ؟

تلك هى الأكذوبة الكبرى التى يضخم الاستعمار صداها ويزعج الدنيا بطنينها !!

ان أقطار العالم الثالث مشحونة بخيرات تكفى أضعاف سكانه ، بيد أن هذه الخيرات تتطلب العقول البصيرة والأيدى القديرة .

ولو رزقت هذه الأقطار المتخلفة نهضة انسانية نزيهة ، تستهدف ايقاظ الملكات الغافية ، والحواس المخدرة ، وتطارد الخمول والوهن ، وتجند القدرات والخبرات ، وتمنع التظالم والترف ، وتضرب سياجا منيعا حول مصالح الشعوب يرد عنها غوائل الاستعمار بجميع أنواعه ، لكانت هذه الشعوب تحيا فى رغد من العيش تحسدها أقطار الغرب عليه !

ليست المشكلة اقتصادية كما يزعم الخبثاء من المستعمرين ، ومقلدوهم من الصياحين الذين يهرفون بما لا يعرفون . . .

الفقر فقر أخلاق ومواهب لا فقر أرزاق وامكانات !!

لماذا يكون المولود القادم أكالا لا شغالا ، مستهلكا لا منتجا ، عبئا على الحياة لا عونا على الحياة ؟؟

لماذا تهون الانسانية فى هـــذه الأجيال الوافدة فيكون وجودها مبعث قلق لا مثار استبشار ؟؟

ان الجهود المادية والمعنوية التى يبذلها المتشائمون لقتل هذه الأنفس أو للحيلولة دون وجودها لو بذلت فى تصحيح الأخطاء الاجتماعية ، وتقويم الانحرافات العقلية لكانت أقرب الى الرشد وأدنى الى الغاية !!

ولكن الاستعمار الأنانــى الشره يريد التهام كل شىء لنفسه وحده ، بل الأنكى من ذلك أنه يعترض طريق كل نهضة تصحح الأوضاع ، لماذا ؟ كى تبقى الأمور كمـــا هى ، ويبقـــى منطقه السقيم فى علاج الأمور !!

على أن تخلف العالم الثالث ليس علة أزلية ولا أبديـــــة ، فقد كـــان الأوروبيون والامريكيون أسوأ حالا منذ قرون تعد على الأصابع ، وكانت الخرافة تفتك بعقولهم فتـــك الأدران والعلل بأبدانهم ، فاذا صعدوا فـــى سلم الترقى ، وهبط غيرهم بعد رفعة أو بدأ لأول مـــرة يخطو علـــى درب المدنية فلا معنى للاختيـــال عليـــه والتشفى منه !! (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) .

والأمر لا يستدعى أكثر من تغييـــر الظروف المؤثرة فى أحوال المجتمعات فهناك مكان ينبت العز ــ كما يقول المتنبى ــ ومكان ينبت الذل ــ وهناك آخر يوقظ العقل أو ينيمه ..!!

والمعتوهـــــون الذين يصرخـــون جزعين : قفوا نسل الأرانب حتى لا تقوم الساعة أو حتى ترقى الأمة .

لا يعلمون أن العالم الثالث لـــن يرقى ولو فقد تسعة أعشار عدده ما بقيت ظروفه النفسية والفكرية جامدة على أوضاعها الحالية ..

ونعود مع كاتب الأهـــرام لنبصر الواقع حيث يقول : « ان مـــــوارد العالم ، خصوصـــــا موارد البـــلاد المتخلفة ما زالت تفوق كثيرا زيـــادة أعداد السكان ، فالفائض الاقتصادى المحتمل يمكن تحويله الى ضروب من النشاط المنتج بدلا من أن يذهب الى جيوب المرابين والوسطاء ومـــلاك الأرض ، أو يتبدد فى وجوه السرف المختلفة ، وهذا الفائض هو ما يعرفه الاقتصاديون بأنه الفرق بين الانتاج فى ظروفه الطبيعية ، وبين ما يعـــد استهلاكه ضروريا للجماعة المنتجة ، ويقدر هذا الفرق بنحو ٢٠٪ مـــن الانتاج القومى ، وهو يكفل عنـــد استثماره زيادة سنوية فى الدخـــل تبلغ ٨٪ وهذه الزيادة تكفى بل تفيض عن متطلبات الزيادة السكانية ..» !

الفقر الواقع أو المتوقع لا يعـــود اذن الى علل طبيعية ، بل الى ســـوء تصرف واضطراب ادارة ..!!

أو كما يقول الاقتصادى الامريكى المشهور (بول باران) : « اننا يجب أن ندق ناقوس الخطر لا لأن القوانين الابدية فى الطبيعة قد جعلت مـــن المستحيل اطعام سكان الأرض ، بل لأن النظام الاقتصادى الاستعمـــارى يحكم على جموع كثيفة من الناس ، لم يسمع بضخامتهـــا من قبـــل ، أن تعيش فى كنف الفاقة والتدهـــــور والموت قبل الأوان .!!

ثم أنهى الكاتب كلمته مؤكدا أنـــه لا حل لمشكلات التخلف ، ومن بينهـــا ضغط السكان على الموارد الا بتنمية بلدان العالـــــم الثالث لثرواتهـــا ، ومضاعفة اعتمادها على نفسها ..

ثم على القدر الميسور من المعونات الأجنبية المنزهة .. » .

......

لقد قررت هذه الأحكام تقريبا فى كتابى (من هنا نعلم) المطبوع من ربع قرن ، ولذلك فقد انشرح صدرى عندما قرأت هذه الأيام ما يزيد الحق وضوحا ... وما يبدد ضبابا كثيرا نشره فى أفق الحياة العامة أقوام قصار الباع طوال الألسنة .

وانى — اذ أؤكد المعانى الآنفة — أوجه كلمة الى نفر من المتحدثين باسم الاسلام أساءوا الى حقائقه مرارا وهزموه فى مواطن كثيرة .

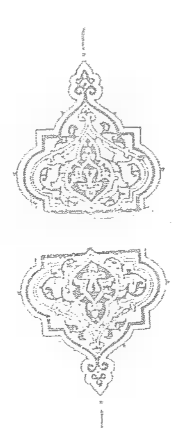
ان الاسلام ليس هو بالدين المحلى لأهل قطر من الأقطار ..

انه دين القارات الخمس ! وداره الرحبة الخصبة تمزج بين اجناس أمته فى أخوة جامعة لا تعرف الحدود الضيقة المفتعلة التى صنعها الاستعمار !! فكيف يعالجون مشكلة السكان وهم لا يدركون هذا الأساس المبين ؟ ثم أن هذا الدين يتعرض لحرب ابادة فى هذه الايام من تحالف الصهيونية والاستعمار ، فكيف تصدر الأوامر من رؤساء الاديان الأخرى بتكثير الاتباع ، ومباركة النسل ، ويفتون هم بالتعقيم والتقليل ؟ اننى لا أدرى علة هذا الزيغ ؟ أهى قلة العلم أو ليونة الضمير ؟؟

وتحذير آخر الى هؤلاء : ان أحدهم يقع على الكلمة تخدم غرضه منسوبة الى عمرو(١) بن العاص أو غيره من الرجال فيطير بها غير آبه بقيمة سندها ولا مكترث بأنها ملتقطة من كتب تجمع الجد والهزل والخطأ والصواب ...

ولو فرضنا جدلا صحة نسبتها الى عمرو ، فما كلام عمرو بالنسبة الى كلام الله ورسوله ؟ والى طبائع الأشياء وفق منطق الفطرة وحالة الدين وأوضاع المسلمين ؟؟

أرجو بعد كلمة الاهرام التى لخصتها فى مقالى أن تنتهى هذه المأساة ...



---

(١) ينسبون الى عمرو أنه أوصى بتقليل الاولاد ويبنون على ذلك أشياء كثيرة .

وتهديدها ، وقضاء على الكرامات ولا يرضى بذلك مؤمن بالله ورسالاته .

أيها المسلمون :

ان هجرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه كانت أعدادا للنفوس ، وتجميعا للقوى ، وحماية للدعوة ، فلما ان أتم الله الوسائل استعاد الوطن والكرامة والعزة والشرف ، وجاء نصر الله والفتح ، وتمكنت الدعوة ، وحينئذ أعلنها ، لا هجرة بعد الفتح .

فواجبنا اليوم حشد الطاقات ، وجمع الامكانات ، وتوجيه الضربات القاصمات ، التى تجعل العدو يفيق من سكراته وتشعره أن فى العرين أسودا ، وفى الجموع ايمانا ، واستبسالا ، وتجعل المظاهرين له والمؤيدين من دول الاستعمار أكثر تنبها ووعيا ، لما قد يصيب مصالحها من اضرار واخطار ، اذا استمروا فى استخفافهم بالمشاعر الاسلامية ، والمصالح العربية .

وليعلم الجميع أن المسلمين والعرب ، حيثما وجدوا لن يسكتوا على ذل أصابهم ، وعار لحقهم ، وشر هدد عقائدهم ووجودهم ، وزلزل مقدساتهم ، وهم مدركون لابعاد قول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه ابو يعلى فى مسنده ، ((اذا ذلت ذل الاسلام)) .

كما أن الهجرة النبوية كانت سببا فى عزة المؤمنين ، ونصرة الموحدين فلتكن الذكرى سببا لتوحيد القوى ، وتحقيق أهداف الهجرة ، والعمل الجدى المثمر السريع ، (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (٥) .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٦) .

---

(٥) الآية ٧ من سورة محمد .

(٦) الآية ١٠٥ من سورة التوبة .

تفضيل بعض الورثة على بعض

هل يجوز لرب الأسرة أن يمنح بعض ورثته جزءاً من ماله تمييزاً له على غيره ؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

قال كثير من العلماء لا يجوز له ذلك ، وهو حرام ، ورأى بعض هؤلاء أنه تصرف باطل ، ومن هؤلاء البخارى ، وطاووس والثورى ، وأحمد بن حنبل ، واسحق وبعض المالكية . قال الحافظ بن حجر : والمشهور عن هؤلاء أن هذا التصرف باطل ، وعن أحمد أنه يصح لكنه حرام يجب الرجوع فيه ، وتجرأ بعضهم على القول بأنه مكروه فقط .

استدل الاولون بأن الله سبحانه لم يفصل تفصيلا دقيقا فى حكم من الاحكام كما فصل فى تقسيم المواريث ، فبينما تراه فى الصلاة يكتفى سبحانه بقوله : « وأقيموا الصلاة » ويترك بيان عدد ركعاتها ، وكيفية أعمالها ، وأوقاتها لبيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، تنفيذا لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (١) .

وكذلك الزكاة بقوله سبحانه : « وآتوا الزكاة » ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنواع ما تجب فيه ، ومقادير كل نوع ، وأوقات استحقاقها ، وغير ذلك .
وكذلك الحج بقوله سبحانه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وبين الرسول فرائضه ، وواجباته وشروطه وغير ذلك .

نقول بينما نراه سبحانه فى كل ذلك يكتفى بالامر مجملا ، ويترك البيان للرسول ، نراه فى المواريث يسلك غير ذلك ، فيفصلها تفصيلا دقيقا ، فيقول : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » الى آخر آيتى ١١ و ١٢ من سورة النساء ، ثم لم يرض سبحانه بهذا التفصيل الدقيق ، بل يذكر أمامه آية تعتبر مقدمة هامة له ، فيقول : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا

---

(١) آية ٤٤ من سورة النحل .

اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم

(حديث شريف)

وهل صحيح ما يقال من أنه مكروه فقط أو هو حرام ؟

مفروضا » (٢) ثم عقب على ذلك التقسيم بآيتى ١٣ و١٤ يبين فيهما أن تلك الاحكام هى حدود الله ، وأنه وعد من أطاعه فى تنفيذها بالجنة ، وأوعد من عصاه بالنار .

فاذا تأملنا آية ٧ نراه سبحانه اختار طريق النص والتفصيل ، ولم يقل : « للرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون .. الخ » بل ذكر النساء على حدة ، كما ذكر الرجال سواء بسواء ، فماذا يريد القرآن من هذا ؟

يريد تهجين عادة جاهلية ، كانت تقترفها بعض قبائل العرب (٣) تلك هى عادة حرمان النساء من الميراث ، ومن المحزن أن الدوافع على هذه العادة الشنيعة جرت ذيولها الى يومنا هذا ، حيث تحايل بعض من ينسبون الى الاسلام للوصول اليها حتى انغمسوا فى أوحالها ، كما ستراه فيما بعد ، ثم مما يؤكد استهجان هذه العادة قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » .

---

(٢) آية ٧ من سورة النساء .

(٣) قلنا بعض القبائل لما ثبت أن كثيرا من القبائل كانت تنفر من العوائد المستهجنة ، قال أبو اسحاق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ فى كتابه الموافقات جزء ٢ صفحة ٥١ طبع دمشق : « ان للعرب فى الجاهلية عوائد قبيحة ، أبطلها الاسلام كما كان لهم عوائد حميدة أقرها الاسلام ، ومن هـذا النوع الاخير تقدير الدية ، وفرضـها على العاقلة ، وتوريث الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين وغير ذلك) وقال الحافظ ابن حجر جزء ١٢ صفحة ٧١ طبع الخشاب : (مما كان عند العرب فى الجاهلية وأقره الاسلام قطع يد السارق ، ومن العوائد القبيحة التى حاربها الاسلام ولكنها لم تكن عامة فى العرب ، بل كانت محصورة فى بطن من بطون تميم ، ولم تعمر طويلا ، عادة قتل البنات بدفنهن تحت التراب وهن أحياء ونزل فيها قوله تعالى : (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) آيتى ٥٨ و٥٩ من سورة النحل ، وكان أول من ابتدع هذه العادة القبيحة هو قيس بن عاصم التميمى ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام بزمن يسير ، لأن قيسا أدرك الاسلام وأسلم وحسن اسلامه ، فقضى على هذه العادة الشنيعة قبل أن تستفحل .

ولنذكر الآن أدلة هؤلاء المانعين ، ثم نتلوها بأدلة المجيزين مع مناقشتها بما يوضح موطن الحق فى هذا الموضوع .

استدل المانعون :

أولا : بقوله تعالى فى آخر آية ١١ المتقدم الاشارة اليها « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » أى لا تقيدوا ما شرعه الله لكم فى قسمة أموالكم بين ورثتكم ظانين أن من تميزونه ينفعكم ، لأنكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فاتركوا الأمر للعليم الخبير بعباده .

ثانيا : قوله تعالى فى هذه الآية أيضا : « يوصيكم الله .. الخ » ثم كرر الوصية بذلك فى آخر آية ١٢ فقال : « وصية من الله » فمعنى هذا أن الموصى بهذا التقسيم هو الله سبحانه وتعالى ، واذا كان الرجل منكم اذا أوصى بشىء من ماله فى حدود الثلث فانه يجب عليكم شرعا تنفيذ وصيته ، فكيف والحال أن الموصى هنا هو العزيز العليم ، أليس هذا يحتم على المؤمن أن يحافظ على ماأوصى به ربه أشد من محافظته على وصية رجل من أهله ؟

ثالثا : قوله تعالى فى آخر آية ١١ « فريضة من الله » أى أن هذه السهام التى بينت لكم فرضها الله عليكم فرضا محتما ، فيجب عليكم المحافظة على فرائضه لأنها صادرة من العليم بأحوال عباده ، الحكيم فيما يشرع .

رابعا : ختم سبحانه هذا التقسيم بآيتى ١٣ و١٤ ليغلق منافذ التلاعب حيث جاء بتلك العبارة الحازمة التى تحمل فى طياتها ارعادا وابراقا يزعجان كل من تحدثه نفسه بالتلاعب بها ، تلاعب بنى اسرائيل بأحكام الله حيث تحايلوا على ابطال ما أمر الله به فى كثير من الامور (٤) .

فقال سبحانه فى هاتين الآيتين : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

قد يقول قائل : لم كانت عناية القرآن بتقسيم الثروات على هذا الوجه المفصل دون غيرها ؟

نقول لأن الله سبحانه الذى خلق الانسان ، ويعلم ما ركب فى نفسه من الشح (٥) يعلم أن المال هو عصب الحياة ، وأنه زينة الحياة الدنيا (٦) ، ويتفانى الانسان فى الحصول على القناطير المقنطرة منه (٧) .

مال هذا منزلته فى نفوس البشر ، لا جرم أن كل امرىء يحرص أشد الحرص على جذبه الى جانبه ، ويكره أن يفلت منه شىء كان ينتظره ، لكل ذلك تولى سبحانه تقسيمه بنفسه ، ليستل من الصدور ما قد يحيك فيها اذا ترك توزيعه لغيره ، ويكون سبحانه بذلك أغلق أبواب شرور كثيرة ، كما سنعلمه بعد .

---

(٤) من ذلك تلاعبهم عندما نهاهم الله سبحانه عن صيد السمك يوم السبت ، فكانوا يضعون الشباك حول السمك فى الماء ليمنعوه من الرجوع الى داخل البحر يوم الاحد ، وعند ذلك يأخذونه بسهولة ويزعمون أنهم لم يخالفوا أمر الله حيث لم يخرجوا السمك فى يوم السبت من الماء فقال سبحانه فيهم : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) آيات ١٦٣ الى آخر ١٦٦ من سورة الاعراف .

(٥) آية ١٢٨ من سورة النساء .

(٦) آية ٤٦ من سورة الكهف .

(٧) آية ١٤ من سورة آل عمران .

رب قائل من بعض العلماء يقول : ان هـــذه الآيات القرآنية وردت فى الكلام عن تقسيم تركة الميت ، فهى لا تمس تصرف الحى فى ماله الذى هو محل النزاع ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول فيها : « مما ترك الوالدان والاقربون » ويقول : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم .. الخ » الى غير ذلك ، فهى آيات خاصة بالتركة جاءت لتقضى على عادات شاذة ، وتقرر المبادىء الصالحة لكل زمان ومكان ، وقد كان بعض غلاظ القلوب يورثون الذكور دون الاناث ، كما علمت ، وبعضهم يورثون الكبار دون الصغار حتى ولو كانوا ذكورا ، كما تضمنت أيضا اغلاق باب دعوة ، تهب آنا ، وتسكت آنا منادية بالتسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث .

نقول .. قد يقال كل هذا . ولدفعه نقول : ان الاسلام أعطى الوسائل حكم المقاصد ، والمقدمات حكم ما توصل اليه ، فحرم النظر الى الاجنبية لا لذاته ، بل لأنه يريد الزنا المحرم لذاته ، وحرم الخطوات الموصلة الى السرقة وأوجب الخطوات الموصلة الى صلاة الجمعة مثلا ، لأن ما لا يتم الواجب الشرعى الا به فهو واجب شرعا أيضا ، وما لا يتم الحرام الشرعى الا به فهو حرام شرعا أيضا ، واذا كان تفضيل الاولاد على بعض يعتبر نوعا من الحيل التى يتوصل بها الى تعطيل ما أمر الله به فى تقسيم المواريث فانه يكون محظورا لمـــا فيه من المفاسد التى نرى ونسمع كثيرا منها ، فقد فضل رجل طفلين صغيرين من زوجته الشابة على ولدين كبيرين من امرأة أخرى بقراريط من الارض ، فغلا الغضب فى رأس هذين الكبيرين فدفعهما الى دفن الطفلين البريئين فى كومة من (التبن) عند رجوعهما من المدرسة ، فماتا شهيدين لهذا الجور الذى ارتكبه والدهما ، ومن ذلك تحايل رجل ثرى كان يمتلك أكثر من مائتى فدان ، فمنح هذه الثروة جميعها لطفل صغير له من امرأته الشابة ، وحرم من ثرواته من بقى من ذريته ، وسلك لذلك حيلة البيع الصادر منه لابنه الطفل فتقطعت أواصر الاسرة وعلا صراخها حتى وصل الصحف ، فاذا لم يحرم الاسلام عملا تترتب عليه هذه الآثار السيئة فماذا يحرم اذن ؟

والدليل على أن هذا هو مراد الله سبحانه من هذا التقسيم الذى ذكره القرآن ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع ، وما قاله العلماء فى ذلك :

١ — فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما من علمـــاء كتب السنة عن النعمان بن بشير (٨) أنه قال « أعطانى أبى عطية (٩) فقالت عمرة (١٠) بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) وقال يا رسول الله ، انى أعطيت ابنى هذا من عمرة بنت رواحة عطية ، وطلبت منى أن أشهدك عليها فقال صلى الله عليه وسلم ، هل لك أولاد غيره ؟ وفى رواية : هل له أخوة ؟ فقال بشير : نعم فقال صلى الله عليه وسلم : هل أعطيت بقية أولادك مثل هذا ؟ قال لا فقال صلى الله عليه وسلم : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، ارجع العطية ، فرجع النعمان فرد عطيته .

٢ — وفى رواية لمسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : أشهد على هذا

---

(٨) هو بشير بن سعد الانصارى الخزرجى .

(٩) قيل : كانت هذه العطية غلاما .

(١٠) هى عمرة بفتح العين وســكون الميم ، بنت رواحة بفتح الراء والهاء ، الانصــارية الخزرجية زوج بشير وأم النعمان .

(١١) وفى رواية : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقودنى بيده .

غيرى فانى لا أشهد على جور .

٣ — وفى رواية جابر ، فليس يصح هذا ، وانى لا أشهد الا على حق .

٤ — وفى رواية أحمد بن حنبل ، لا تشهدنى على جور ، وان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم .

٥ — وفى رواية مسلم عن الشعبى ، قال صلى الله عليه وسلم « اعدلوا بين أولادكم فى العطايا كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر » .

فيؤخذ من كل هذه الروايات :

أولا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع عن الشهادة .

ثانيا : وسمى هذا التفضيل جورا .

ثالثا : وجعله بعيدا عن العدل الذى أمر الله به المؤمنين ، ولا شك أن تعليل امتناعه صلوات الله عليه عن الشهادة بأن هذا العمل جور ، يدل على الحرمة ان لم يدل على البطلان ، وعلل العلماء حرمة ذلك بأنه يقضى الى العقوق وتباغض الاولاد وتقاتلهم ، ولا جرم أن ما يفضى الى هـــذا المنكر يكون حراما قطعا ، ولذلك قال ابن دقيق العيد .. ان صيغة الحديث مشعرة بالتنفير الشديد من ذلك العمل ، حيث امتنع صلى الله عليه وسلم عن الشهادة عليه معللا ذلك بأنه جور .

وقال المهلب : يؤخذ من الحديث أن الامام يرد العطية ممن يعرف منـــه هروبا من بعض الورثة ، وقد تمسك من يقول بالبطلان بقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية جابر رقم ٣ (فليس يصح هذا) وبرجوع النعمان عن الاستمرار فى انجاز عطيته .

هذه أدلة من منع تفضيل بعض الورثة على بعض من الكتاب والسنة .

فما هى أدلة من أجاز ذلك ؟ وماذا يقولون فى هذه الادلة السابقة ؟

قالوا :

أولا : ان من المقرر شرعا أن للمالك حق التصرف فى ملكه كما يشاء ، فاذا فضل بعض أولاده مثلا على بعض فهو تصرف فى حدود هذا الحق .

ثانيا : ان العلماء اتفقوا على أنه يجوز لمالك المال أن يعطى منه أجنبيـــا فاعطاؤه بعض ورثته أولى بالجواز من الاجنبى . وقالوا فى الحديث أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) يدل على الاذن باشهاد الغير ، وهـــذا بدوره يدل على صحة التصرف ، وقالوا فى امتناعه صلى الله عليه وسلم عن تحمل الشهادة لأنه الامام ، والامام لا يتحمل الشهادة .

<u>ورد المانعون كل ما ذكر بما يأتى :</u>

أما أن المالك يتصرف فى ملكه كما يشاء فهو كلام صحيح ، ولكنه ليس على اطلاقه ، اذ ليس له أن يتصرف الا فى الحدود التى رسمها له الشرع ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم منع الرجل الذى أراد أن يتصدق بكل ماله ، ولمـــا قال الرجل ، أتصدق بالنصف ، قال له صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا النصف ، فقال الرجل ، أتصدق بالثلث ؟ فقال النبى : (الثلث والثلث كثير ، لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس) . وأيضا منع الشارع صاحب المال من التبذير أو التقتير فقال : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) آيتى ٢٦ و٢٧ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه : (و لاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) آية ٢٩ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه فى صفة عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) آية ٦٧ من سورة الفرقان ، فترى من ذلك أنه سبحانه

منع اضاعة المال فى غير فائدة دينية أو دنيوية ، كما يفعل بعض السفهاء .
ومحل النزاع هنا : (وهو تفضيل بعض الاولاد على بعض) من هذا النوع الذى حرمه الله ، وليس مما أجاز للمالك أن يتصرف فيه كما يشاء .
وأما الاستدلال بأنه يجوز للمالك أن يعطى بعض ماله لأجنبى فاعطاؤه بعض ورثته أولى فانه استدلال مردود :
أولا : بما قاله الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخـارى من أن هذا قياس فاسد ، لأنه قياس فى مواجهة نص يخالفه ، وقد أجمع العلماء على ابطـال قياس هذا حاله .
وثانيا : بأن يقال إن هذا الاجنبى ان كان مما لا يجوز اعطاؤه شرعا ، كما نقرأ ونسمع كثيرا عن رجال من الاثرياء ممن بلغ من الكبر عتيا ، ثم وقع فى شباك فتاة لعوب فاستنزفت جل ماله ان لم يكن كله ، وترك أولاده وأمهم فى حال يرثى لها وألجأت بعضهم الى طلب الحجر عليه . فبذل المال فى هذا السبيل لا شك فى أنه محرم شرعا على المؤمن ، ولا يجوز القياس عليه للوصول الى الجواز .
وان كان هذا الأجنبى مما يجوز البذل له كالفقير أو ذى الرحم المحتاج ، وأراد الوالد أن يدخر لنفسه ثوابا عند الله ، فأعطى مثل هؤلاء فى حدود الثلث فان أولاده لا يغضبهم ذلك ، لأنهم لا يكرهون خيرا يناله والدهم عند ربه فلا يسبب لهم ذلك التباغض والتقاطع الذى يحصل اذا فضل بعضهم على بعض بدون سبب ، لأن من طبيعة النفوس البشرية أنها يسرع اليها الفساد من تفاضـل يحصل بين متماثلين يتجلى فيه تحيز الوالد لأحدهما .
وأما دعوى أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) تفيد الجواز .. الخ . فمردودة بأن هذا القول من أشد أساليب النهى والتوبيخ ، قال ابن حيان : قوله صلى الله عليه وسلم : (اشهد غيرى) صيغة أمر يراد به نفى الجواز ، ويؤيده تسميته صلى الله عليه وسلم ذلك جورا وأنه ليس حقا .. الى آخر ما تقدم . فهو من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن الله عز وجل : (من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى) ، ونظير هذا الاسلوب فى الزجر والتهديد قوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) آية ٢٩ من سورة الكهف ، فهل يقول عاقل .. ان فى هذا الحديث الاذن فى اتخاذ رب غير الله ؟ أو فى الآية الاذن بالكفر ؟
وأما القول بأن الامام لا يتحمل الشهادة فمردود بأنه ليس من شأن الامام ولا من شروط امامته أن يمتنع عليه تحمل الشهادة ولا أداؤها .
قال الحافظ ابن حجر : والحق أن التسوية واجبة ، وأن التفاضل بغير ريب شرعى حرام .

النتيجـــة

ان الذى يؤخذ من آراء المحققين فى هذا الموضوع :
أنه اذا كان تفضيل بعض الورثة على بعض بسبب مشروع جاز ، قال أحمد بن حنبل : (ان كان للتفاضل سبب كأن يكون أحد الاولاد مريضا مرضا مزمنا جاز) لأن اخوته لا يغضبهم ذلك ، اذ الاخوة الصحيحة تتطلب منهم أن ينفقوا على أخ لهم فى مثل هذه الحال حتى من عنـد أنفسهم ، وكذلك يجوز التفاضل اذا كان أحد الورثة صغيرا يحتاج الى تربيـة أو تعليم أو زواج فى المستقبل مثلا ، وكان اخوته الكبار قد نالوا حظهم من ذلك ، فهنا يحسن أن يتساوى بهم أخوهم الصغير .



في الحديث عن قيام دولة اليهود بفلسطين يتحتم على البحث أن يحتوى ثلاث نقاط مهمة هى :

الأولى : الزراعة وسيلة اليهودى لاستعمار فلسطين
الثانية : علاقة اليهود خارج فلسطين بدولة اليهود
الثالثة : الى أى مدى استطاعت الصهيونية أن تكون دولة على أساس الدين وحده ... ؟

وللاجابة على النقطة الأولى نلجأ الى مؤرخ صهيونى هو (روفائيل ماهلر) الذى وضع دراسة عميقة عن وضع اليهود الاقتصادى فى البلاد المختلفة ، رأسمالية وشيوعية واشتراكية ، ويقرر هذا المؤرخ ان اليهود يتجنبون مهنة الزراعة وأنه ليس بينهم فلاحون قط ، فيما عدا مناطق صغيرة نائية فى بولندا وروسيا فى عهد القيصرية ، وكما تجنب اليهود الزراعة فانهم تجنبوا الصناعة كذلك ، فليس لهم فى المناجم عامل واحد ، وليس لهم أى دور فى النشاط الصناعى ، أما الاعمال التى تخصصوا فيها فهى التجارة والمال والمهن الحرة كالطب والمحاماة والصحافة .

ويقرر المؤرخ الصهيونى ان هذا الوضع يثير الناس ضد اليهود لانهم لا يسهمون فى عمليات الانتاج ولا يحملون عبء العمل مع المناضلين ويروى المؤرخ انه طالما سمع فى بولندا من العمال هذا السؤال : لماذا لا نجد من بين اليهود أى عامل صناعى مثلنا ؟ لماذا لا نراهم فى هذه الأعمال المجهدة ؟ ويروى أنه قرأ أخيرا ان الاتحاد السوفياتى قرر انه ليس من حق أية قومية من قوميات الاتحاد السوفياتى ان يكون لها نسبة بين طلبة الجامعات أكثر مما لها من

طبيعة اليهود الاعتماد على وسائل الكسب الرخيص

وعدم ولائهم في أي مكان الا لاسرائيل

للدكتور احمد شلبي

نسبة بين عمال المناجم ويعقب المؤرخ على هذا بقوله انه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد فى روسيا ولا فى امريكا .

ويشرح لنا Hormer السبب فى عدم اقبال اليهود على الزراعة والصناعة فيقول : ان اليهود فى خلال عصور التشرد لم يكن يسمح لهم بشراء الارض ، اذ لم يكن يسمح لهم بالاستقرار فى البلاد التى نزلوا بها ، ومن ثم لم يتجهوا للزراعة ، كما ان اليهود لم يكن يسمح لهم بدخول المصانع والمناجم اذ كان يخشى ان يكونوا بها عوامل تخريب واضطراب ، وبذلك اتجهوا الى المهن الفردية ، كالطب والمحاماة والكتابة والتجارة ، على ان ميولهم للتجارة ، كانت أوسع لانهم يربحون خلالها دون ان يقدموا للمجتمع الذى يعيشون فيه اية خدمات .

ولكن الحركة الصهيونية ادركت منذ وقت مبكر ان الزراعة هى التى تمنح الشعب استقراره وتفرس جذوره فى الارض ، ولذلك كان من أول اتجاهاتها خلق الفلاح اليهودى والمزرعة اليهودية ، فخلق المزرعة اليهودية كان قرارا سياسيا وليس قرارا اقتصاديا ، من أجل هذا حرص اليهود بفلسطين على توسيع مزارعهم وللوصول لهذا الهدف ملكوا الارض بوسائل متعددة وحاولوا اغتصاب ماء الاردن بتحويل مجراه .

واتجه اليهود بالمزرعة لتكون وحدة زراعية وعسكرية فى نفس الوقت فرجالها يعنون بالزراعة ويدافعون عن المستعمرة دفاعا عسكريا حتى اذا قامت اسرائيل بحرب أصبحت المزارع المتجاورة بمثابة حصون دفاعية يسكنها الفلاح الجندى ، وتمتد على طول الحدود بين اسرائيل والبلاد العربية .

ويتصل بهذه الخطة ما شرحه

وايزمان زعيم اسرائيل بقوله ـــ ان رأيى هو ان الوطن القومى له سبيل واحد لتحقيقه ، وذلك السبيل هو ضم دونم الى مزرعـــة ، وبقرة الى بقرة ،... ، وبهذا كانت الزراعة هى السبيل الذى ارتآه اليهـــود طريقا لتحقيق أهدافهم الصهيونية ، ولكن اليهود لن يصبروا على شظف الزراعة ويوم يحسون بالاستقرار سيتركون الزراعة الى وسائل الكسب الرخيص والسهل وما أكثرها عند اليهود .

وللاجابة عن النقطة الثانية نذكر ان وعد بلفور نفسه تنبأ بخطر العلاقة بين اليهود خارج فلسطين وبين دولة اليهود ، فلمن يكون ولاء اليهود الذين يعيشون فى غير فلسطين .. ؟ هل سيكون ولاؤهم للبلد الـــذى ينتمون اليه سياسيا ؟ أو للبلد الذى ينتمون اليه روحيا . وشمل وعد بلفور نصا يقرر ان الوطن القومى لليهود فى فلسطين لا يتنافى مع الحقوق والمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى غير فلسطين ..

وعلى هذا فاليهود فى غير اسرائيل مواطنون ، ولاؤهم ـــ نظريا ـــ للبلاد التى يعيشـــــون فيهـــا ويحملون جنسياتها ، ولكن العلاقة بين اسرائيل وبين اليهود خارجها لم تسر عـــلى هذه النظرية واتخذت من الناحيـــــة العلميـــة الاتجاهات التى تحملهـــا الافكار التالية :

ـــ أعلنت الصهيونيـــة ان اليهود المقيمين خــــارج اسرائيل طوائف مشتتـــة تعيش فى المنفى وأنهـــم مواطنون اسرائيليون قبل كل شىء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التى يسبغونها على أنفسهم ، وتقول (جولدا ماير) عن هذا ان اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن ان يكون فى نفس الوقت ـــ صهيونيا .

ـــ تقول الصهيونية انه اذا كان اليهود لا يتعرضون للاضـــطهاد فى العهد الحاضر كما تعرضوا من قبل فى روسيا القيصرية ، وفى المانيـــا النازية فان تعرضـــهم للاضـــطهاد محتمل ، فهم ساميون وهم شـــعب مختار ممتاز ، وسيظل العالم لهذا يصطنع الوسائل لاضطهادهم .

ـــ أما (آرى تاتاكودار) استاذ علم الاجتماع فى الجامعة العبريـــة فيضع الامر بحيث لا يحتمل شـــكا ، ويلزم اليهود ان يحسوا بالاضطهـــاد ولو لم يكن هناك احتمال له .

وهو يقول فى ذلك ـــ ان اليهودى حقا هو من يشعر بأن هناك (مشكلة يهودية) حتى ولو عاش بمفرده فى جزيرة نائية ليس بها من يضطهده .

ـــ رفعت الحركة الصهيونية فوق رأس اليهود خارج اسرائيل ســـلاح التهديد ، ولم يكن التخلص من هذا السلاح ممكنا الا بكتابة شيك على أحد البنوك تبرعا لاسرائيل .

ـــ من أجل هــــذا كان كثير من المفكرين اليهود يعارضون قيام دولة اسرائيل ايمانا منهم بأن قيامها قـــد يكون سببا فى اضطهاد اليهـــود من الدول الأخرى فى المســـتقبل ، لان اسرائيل كدولة لا بد ان تكون لها مع الزمن مواقفها المؤيدة والمعادية لدولة أخرى وفى حالات العداء سوف يكون لليهود بهذه الدولة وضع لا يحسدون عليه ، ولكن هذه الاصـــوات خفتت بعد قيام اسرائيل وان بقى أصحابها يضعون أيديهم على قلوبهم .

وعن النقطة الثالثة نذكر ان علماء الاجتماع قرروا ان مقومات التجانس تشمل ثمانية أسس ، هى اللغة والدين والارض والتاريخ والاقتصاد والآمال والجنس والأمن الداخلى والخارجى ، وقد أقام اليهود دولتهم على أساس الدين فقط ، وواضح ان الفشل لا بد ان يكون نصيب مثل هذا المجتمع لما بين معتنقى هذا الدين من تفاوت واسع ، وقد دل تعداد اسرائيل الذى أجرى سنة ١٩٥٦ م على ان اليهود باسرائيل يبلغون ٤٥٥ر٦٦٧ر١ منهم ١٨٨١٠ أشخاص غير معروفى الأصل وأما الباقون فمنهم ٥ر٣١٪ من ابناء آسيا و ٤ر٢٤ من أبناء أفريقية و ٣ر٤٣ من أبناء أوروبا و ٨ر من أبناء أمريكا فما هى العلاقة بين هؤلاء اليهود بعضهم والبعض الآخر ؟

ان كل المعلومات والأنباء تؤكد ان الصهيونيين الأوروبيين يحتقرون الصهيونيين الأفريقيين والآسيويين ، وقد صرح الدكتور موشين وهو من كبار اليهود الشرقيين بان الاضطهاد العنصرى ضد اليهود الشرقيين اضطهاد حقيقى وليس مختلقا .

ويتضح من دراسة المؤلف الحافل الذى وضعه عن اليهود ان ما يعانيه المجتمع اليهودى الآن من فرقة وتشعب عميق الجذور يرجع أصله الى عهد العودة من سجن بابل ويقرر ان المجتمع اليهودى عقب العودة من هذا السجن كان منقسما قسمين بينهما حاجز حاد ، وكان احدهما يكون الطبقة العليا ويكون الثانى الطبقة السفلى ، وكان القسم الأول يصف نفسه بأنه الجنس المقدس أو البذور المقدسة التى لم تختلط بدم اجنبى وعادت من بابل لتعيد بناء الهيكل ومن هذا القسم يختار كبار القسس وكبار الرجال بالمدن ، أما القسم الثانى فيشمل أولئك الذين قيل ان دماءهم اختلطت بدماء أجنبية ويتحتم ان يقنع هؤلاء بالمهن الحقيرة وبالحياة فى القرى ولا ينافسون أفراد القسم الأول فى امتيازاتهم ولا فى القيادة التى هى حق من حقوقهم .

ويقول الدكتور هومر أوجل وهو قس أمريكى وقد زار اسرائيل انه رأى فى اسرائيل اقواما مختلفين نجحوا فى اقامة مزارع ومدن وفشلوا فى اقامة وطن موحد ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى هزه فى اسرائيل وانما هزه أيضا اختلاف القيم والمبادىء والاخلاق مما جعله يقرر ان استمرار هذه الدولة فيه قضاؤها على نفسها .

ويرى انتونى ناتنج ان الجنس الاوروبى من اليهود غير مستقر فى اسرائيل وان هؤلاء الاوروبيين لم يجدوا مطلقا اماكنهم هناك ولم ولن يشعروا بأى استقرار بالرغم من كونهم الجنس الحاكم او المسيطر .

وعلى هذا يبنى انتونى ناتنج نظريته التى تتنبأ بتقلص الجنس الاوروبى من ناحية وامتصاص الجنس العربى لما بقى فى فلسطين من أجانب من ناحية أخرى فى تطور تدريجى ويقرر ناتنج ان من الطبيعى او من المحتم ان تستوعب فلسطين ابناءها المشردين خارجها وان تلفظ الاجانب الذين لا يندمجون فى الحياة الجديدة ، ثم تنشأ دولة فلسطين من حكومة عربية اقليمية مزدوجة العنصر يعيش فيها العرب واليهود جنبا الى جنب ، وهذا يتفق مع الاتجاه الذى يقول به كثير من قادة فلسطين فى الوقت الحاضر .

وسيجىء اليوم الذى ينتصر فيه الحق ويعود المشرد الى داره والارض السليبة لأصحابها ... ››

مائدة القارئ

«فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وأما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم ٠ سيهديهم ويصلح بالهم ٠ ويدخلهم الجنة عرفها لهم»
صدق الله العظيم

فى طريق الهجرة :

مر الرسول وأبو بكر فى طريقهما الى المدينة بخيمة أم معبد ، فسألها النبى صلى الله عليه وسلم — وهى لا تعرفه — عن شىء من القوت ، فقدمت له شاة هزيلة ، فمسح على ضرعها بيده فدر منه اللبن الغزير ، فشرب السفر منه ، وظلت أم معبد فى عجب حتى عاد زوجها بغنماته ، فأخبرته بأمر ضيوفها ، فعرف أن هذا شأن الرجل الذى سمع به فى قريش — محمد — وعلى أثر ذلك سمع أهل مكة من ينشد هذه الابيات :

جزى الله رب العرش خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... وأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شأنها وانائها ... فانكموا أن تسألوا الشاة تشهد

دعاء

هبنى اللهم الصبر والقدرة
لأرضى بما ليس منه بد
وهبنى اللهم الشجاعة والقدرة
لأغير ما تقوى على تغييره يد
وهبنى اللهم السداد والحكمة
لأميز بين هذا وذاك

ماقل ودل

- اذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
- لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم — ما ملأوا دارا صغيرة .
- للتاريخ حدود كممالك الارض ، فلا يتسع الا لعدد محدود .

اعدها : ابو نزار

خمس مدمرات :

يا معشر المهاجرين : خمس خصـــال اذا ابتليتم بهن ـــ واعوذ بالله ان تدركوهن :

١ ـــ لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا .

٢ ـــ ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم .

٣ ـــ ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من الســـماء ولولا البهائم لم يمطروا .

٤ ـــ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما فى أيديهم .

٥ ـــ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله : الا جعل الله بأسهم بينهم .

أبو علقمـــة :

قال أبو علقمة يوما لغلامه : خذ من غريمنا هـــذا كفيلا ، ومن الكفيل أمينا ، ومن الامين زعيما ، ومن الزعيم غريما .

فقال الغلام للغريم : مولاى هذا كثير الكلام ، فهل معك شىء فأرضـــاه الغريم ، فخلاه الغلام ، فلما انصرف قال أبو علقمة :

يا غلام ما صنع غريمنا ؟ قال :

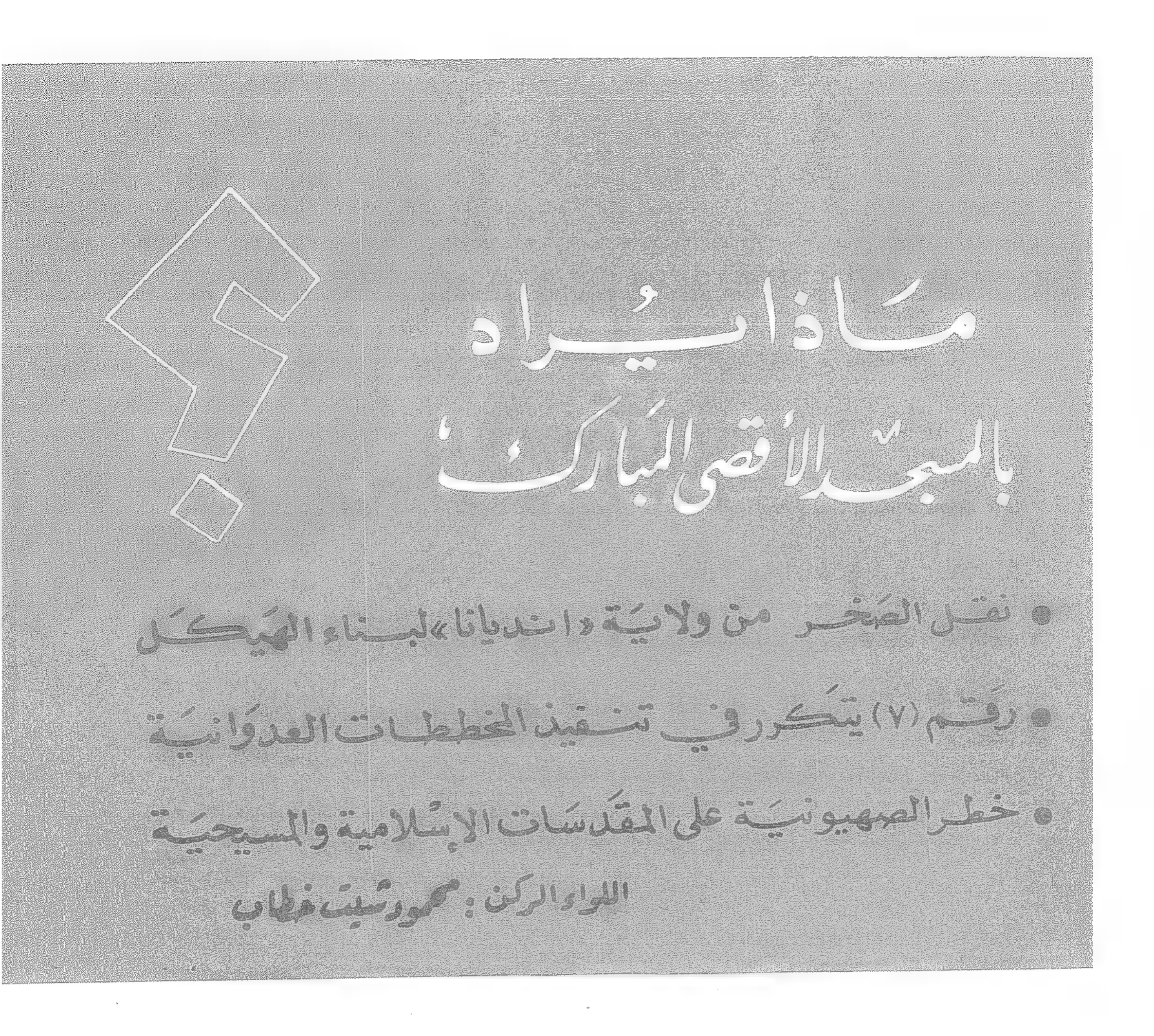
سقع (بمعنى ذهب) قال : ويلك ما معنى سقع ؟ قال : بقع (ذهب) قال : ويلك ما معنى بقع ؟ قال : استقلع (رحل) قال : ويلك : ما معنى استقلع ؟ قال : انقلع ، قال : ويلك ولم طولت على ؟ قال : منك تعلمت .

منطق الجبان :

قيل لجبان : انهزمت ، فغضب عليك الامير ، فقال يغضب على الامير وأنا حى أحب الى من أن يرضى عنى وأنا ميت .

نفطـــويه :

جاء نحوى يعود مريضا ، فطرق بابه ، فخرج اليه ولده ، فقال له : كيف وجدت أباك ؟ قال : يا عم ورمت رجليه ، قال : لا تلحن قل رجلاه ، ثم ماذا ؟ قال : ثم وصل الورم الى ركبتاه ، قال : لا تلحن قل ركبتيه ، ثم ماذا ؟ قال : مات وأدخله الله فى عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه .



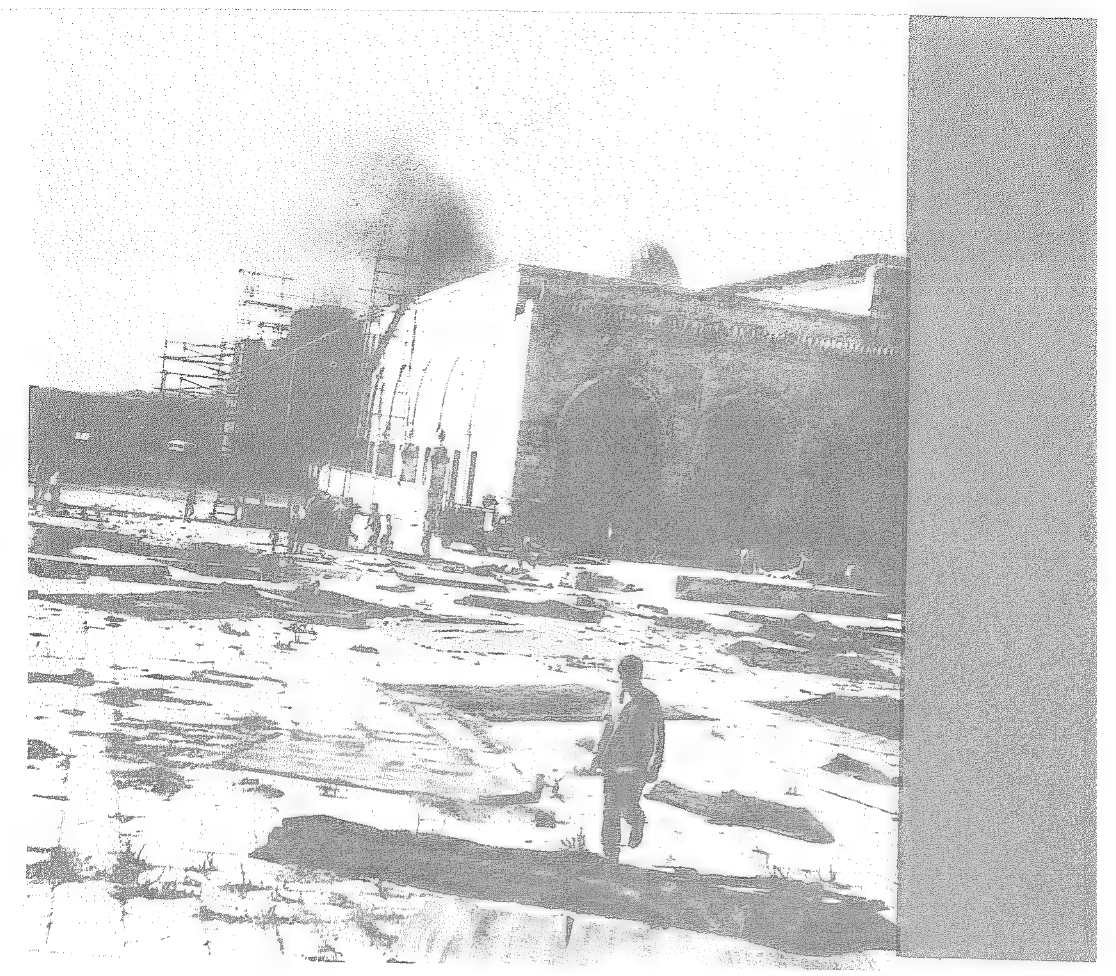
في يوم الخميس الثامن من جمادى الثانية سنة (١٣٨٩) الهجرية المصادف ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩٦٩ م حرقت اسرائيل المسجد الاقصى المبارك . وقد دمر الحريق القسم المجنوبي الشرقي من المسجد ، كما أتى على منبره الاثري .

وقد تركت اسرائيل القسم الباقي من المسجد الذي تزعزعت أركانه وتصدعت جدرانه من جراء الحريق ، عرضة للسيول الجارفة في الشتاء المقبل ، لتجرف ما تبقى منه خلال الشتاء القادم ، دون أن تفعل شيئا مذكورا لصيانته من تلك السيول .

ان اسرائيل تريد أن يصبح المسجد الاقصى أثرا بعد عين ، لتقيم على انقاضه هيكل سليمان بأقرب فرصة ممكنة .

ومن المؤسف حقا ، أن حرق المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، لم يكن مفاجأة للعارفين بنيات الصهيونية العالمية واسرائيل ، لان نياتهم معروفة قبل أن يكون لاسرائيل وجود في الارض المقدسة وبعد أن أصبح لها كيان في فلسطين .

ولو أردت تعداد ما ورد من وثائق وتصريحات تكشف نيات الصهاينة



ألسنة اللهب التى التهمت الجزء الجنوبى من المسجد الاقصى وترتفع مئات الاقدام فى سماء القدس نتيجة الحريق المتعمد الذى شب فى ١٩٦٩/٨/٢١ .

المبيتة حول تدمير المسجد الاقصى وبناء هيكل سليمان على انقاضه ، لطال المدى وبعد الشوط ، وحسبى أن أذكر لمحات منها هى فى الواقع غيض من غيض لعل فيها فائدة للقراء .

قبل مولد اسرائيل :

جاء فى دائرة المعارف اليهودية المطبوعة فى لندن سنة ١٩٠٤ ما نصه : « ان اليهود يجمعون أمرهم بغية الزحف على القدس وقهر العرب واعادة العبادة الى الهيكل واقامة ملكهم هناك » .

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه : « ان اليهود يتطلعون الى امتداد اسرائيل واستعادة الدولة اليهودية واعادة بناء الهيكل » .

وقد طالب اليهود اثناء الانتداب البريطانى على فلسطين الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف فى القدس بحجة انه ملك لهم .

وفى سنة ١٩٢٩ اعلن الزعيم اليهودى (جلوزتز) أن المسجد الاقصى القائم على قدس الاقداس ملك لهم .

وقال الوزير البريطانى اليهودى

اللـــورد (متشت) : ان اليوم الذى سيعاد فيه بنـــاء الهيكل اصبح قريبا جدا ، وانني أكرس ما يقى من حياتى لبناء هيكل سليمان فى مكان المسجد الاقصى .

بعد مولد اسرائيل :

بعد مولـــد اسرائيل صرح (بن غوريون) مرات عديدة ولا يزال : « لا معنى لاسرائيل بـــدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

وقد هدمت اسرائيل بعد احتلال القـــدس يـــوم ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ جميع الابنية الاثريـــة وغير الاثرية الواقعة حول المسجد الاقصى بحثا عن آثار عبرانية يمكن أن تكشف عن بقايا هيكل سليمان .

وقد صرح وزير الاديان الاسرائيلي فى مؤتمر دينى عقد فى القـــدس بعيد احتلالها قال فيـــه : « أرض الحرم (يريد أرض المسجد الاقصى) ملك يهـــودى بحق الاحتـــلال وبحق شراء اجدادهم لها منذ ألفى سنة » .

وقد انشأت اسرائيل صندوقـــا لجمع التبرعات اطلقت عليه اسم : (صندوق اعادة بناء هيكل سليمان)، وقد استطاعت جمع مبالغ طائلة من اليهود واشياعهم فى العالم .

وفى ٣٠ آذار (مارس) سنة١٩٦٨ كتب امريكى من البحرية الامريكية رســـالة الى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى القـــدس قال فيها : « ان هيكـــل سليمان كـــان المحفل الماسونى الاصلـــى ، وان سليمان كان رئيس المحفل ، وان مسجد عمر (يقصد المسجد الاقصى) واقع على الهيكل هو والصخرة التى قدم عليها ابراهيم ولـــده اسحق قربانا لله . وانى كماسونى أرأس جماعـــة فى أمريكا نطمح أن نرى هيكل سليمان وقد اعيد بناؤه ، وان هذه الجماعة تقوم بجمع مائـــة مليون دولار لهذا الغرض » .

وقد مهـــدت الصحف الاسرائيلية قبل شهر واحد من حرق المسجـــد الاقصى الجو المناســـب لازالته من الوجود ، فدعت الى اتخاذ اجراءات عاجلة لتحقيق ذلك .

وكمثال على ذلك ، نشرت صحيفة (لامرحاب) مقـــالا تحت عنوان : (هيكل سليمان بالقدس) قالت فيه حرفيا : « يجب الاستيلاء بسرعـــة على المقـــدسات الاسلامية ووضعها تحت سلطـــة اسرائيـــل مهما كان الثمن » .

وكشف المجلس الاسلامى الاعلى فى القدس عن استمرار المؤامـــرة الصهيونية علـــى المسجد الاقصى ، فطالب فى أوائل تشرين الاول اكتوبر سنة ١٩٦٩ (جولدا مائير) رئيسة وزراء اسرائيـــل بأن توقف فـــورا اعمال الحفر التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية أسفل المسجد الاقصى ، وأنذر بأن هـــذا الحفر يهدد بتقويض المسجد من أساسه .

وأعـــرب زعماء المسلمين فـــى القدس عن مخـــاوفهم من أن تسفر اعمال الحفر هذه التى وصلت الـــى عمق أربعين قدمـــا علـــى تعريض المسجد للخطر ، وقد سبق لاعمال الحفر أن أصابت الجانب الجنوبى من المسجد بأضرار جسيمة قبل جريمة حرق المسجد الاقصى .

وفى افادة المتهم بحرق المسجد الاقصى التى أذيعت يوم ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ذكر بصراحة : « انه اقدم على حرق المسجد الاقصى ، ليقوم على انقاضه هيكل سليمان » .

اثر الدين اليهودى فى الصهيونية :

ان العقيدة الصهيونية تنبع من صميم الدين اليهودى ، وعلى اساس الدين قامت العقيدة الصهيونية وقام عليه الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية ايضا .

واختيار فلسطين وطنا قوميا لليهود دون سائر بقاع الارض أساسه دينى بحت على اعتبار أن فلسطين هى الوطن القومى التاريخى للشعب اليهودى حسب نصوص التوراة والكتب المقدسة اليهودية كالتلمود .

قال (هيرتزل) فى خطابه الافتتاحى الذى القاه فى المؤتمر الصهيونى العالمى الاول الذى عقد فى مدينة (بال) السويسرية عام ١٨٩٧ : « الصهيونية هى العودة الى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح الرجوع الى أرض اليهود » .

وكتب هيرتزل فى كراس : (الدولة اليهودية) : « الايمان يوحد فيما بيننا » . وقال : (اريد تربية أولادى وتنشئتهم على الاعتقاد بالاله التاريخى » . وقال : « لم يكن الله ليبقينا على قيد الحياة طيلة العصور الفائتة ، لو لم يبق لنا دور لنلعبه فى تاريخ البشرية » .

ولرجال الدين فى اسرائيل اثر كبير ، وأيام السبت يبرز بوضوح أثر اليهودية فى الحياة العامة الاسرائيلية ، ومما يذكر أن بن غوريون حضر تشييع جنازة تشرشل الذى جرى يوم السبت ، فسار على أقدامه مسافة طويلة وهو قد بلغ من العمر عتيا وكاد يموت من التعب رافضا ركوب سيارته لان ذلك محرم فى يوم السبت !

والخلاصة أن الصهاينة يلتزمون بتعاليم دينهم ، ولا يبالون أن يتمسكوا بالخرافات التى لا يستطيع عاقل أن يصدقها التزاما بما جاء فى التوراة وكتبهم المقدسة وأساطيرهم التى اثبت التاريخ زيفها .

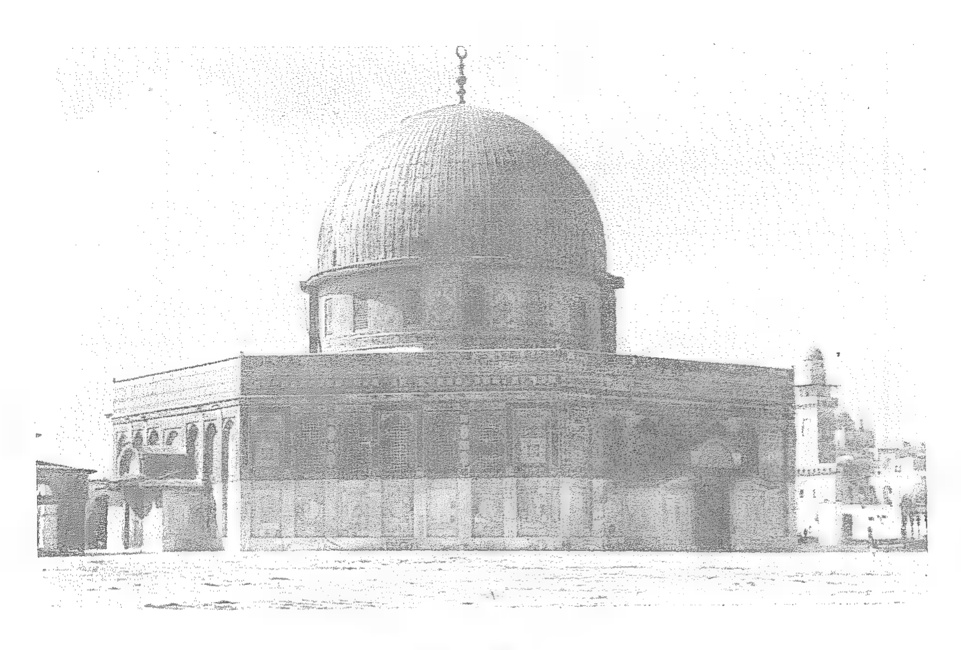
توقيتات غريبة :

ذكر المؤرخ (غارستانك) أن يهود مصر خرجوا من مصر سنة ١٤٤٧ قبل الميلاد وقد قررت الامم المتحدة فرض التقسيم وانشاء دولة اسرائيل سنة (١٩٤٧) م .

وكان عدد يهود مصر الذين غادروها مع موسى عليه السلام الى فلسطين حسب رواية التوراة (٦٠٠٠٠٠) ، وقد صدر قرار التقسيم حين اصبح عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٧ نفس عددهم وقت خروجهم من مصر اى (٦٠٠٠٠٠) نسمة .

وقد دمر تيتوس هيكل سليمان يوم ٢١ آب (اغسطس) سنة ٧٠ ميلادية ، وجرى حرق المسجد الاقصى يوم ٢١ آب - (اغسطس) كما هو معروف !

والسؤال الان : هل من الصدف أن يتم احراق المسجد الاقصى فى



قبة الصخرة المشرفة

نفس اليوم الذى احرق فيه هيكل سليمان ؟

ان من الملاحظ أن اليهود يتفاءلون بالرقم (٧) لانهم يعتبرونه رقما ربانيا ، لذلك يقدمون على تنفيذ اعمالهم الكبرى فى موعد تاريخه فيه هذا الرقم .

والامثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى .

فى تاريخهم القريب ، اى منذ عقد المؤتمر الصهيونى الاول حتى اليوم ، نجد أن الصهاينة يعتمدون على الرقم (٧) بصورة واضحة جلية .

فى سنة ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيونى الاول فى مدينة بال السويسرية ، وقد أقر هذا المؤتمر دستور الصهيونية العالمية لتحقيق انشاء دولة اسرائيل ، وانشأ المنظمات السياسية والاقتصادية واللجان وذلك بوضع هذا الدستور فى حيز التنفيذ .

وفى سنة ١٩٠٧ بدأت هجرة اليهود المنظمة الى فلسطين ، وبدأ انشاء المستعمرات الصهيونية على أرض فلسطين حسب خطة مرسومة بدعم مادى ومعنوى من الصهيونية العالمية .

وفى سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور ، وهو مكسب سياسى كبير للصهيونية العالمية ، لانه يسر لهم الدعم السياسى المنشود من اكبر دولة استعمارية فى حينه وهى بريطانيا .

وفى سنة ١٩٢٧ زادت كثافة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وزاد عدد المستعمرات اليهودية فى الارض العربية بالشراء والاغتصاب باسناد الاستعمار البريطانى .

وفى سنة ١٩٣٧ بدأ انشاء القوات المسلحة النظامية للصهاينة فى الارض المقدسة بشكل واسع

وعلنى ، واصبح للصهاينة عصابات ارهابية قوية مسلحة بكميات ضخمة من السلاح والذخيرة .

وفى سنــة ١٩٤٧ صـدر قرار التقسيم الذى اقرته المنظمة الدولية ، فأصبح للصهاينة حق شرعى معترف به دوليـا فى انشاء وطن قومى لهم على جزء من فلسطين .

وفى سنة ١٩٥٧ انطلقت التجارة الاسرائيلية عبـر خليج العقبة الى آسيا وافريقية ، واصبحت اسرائيل تمتلك حرية الملاحة فى هذا الخليج مستندة على (ايلات) الاسرائيلى .
وفى سنة ١٩٦٧ استولت اسرائيل على الضفة الغربية فى الاردن وعلى قطاع غزة وصحراء سيناء حتى قناة السويس وعلى الهضبة السورية .

ان معظم المؤرخين متفقون على ان (بروتوكولات حكماء صهيون) قد وضعت واقرت فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال السويسرية سنة ١٨٩٧ ، وقد قدر ذلك المؤتمر لتنفيذ مخطط الصهيونيــة العالميــة التوسعى الاستيطانى كما جـاء فى (البروتوكولات) مائة سنة (١٨٩٧ ـــ ١٩٩٧) ، اى ان الصهاينــة يطمعون فى تكوين اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات سنة (١٩٩٧)!
هكذا يتكرر الرقم (٧) فى توقيت تنفيذ مخططاتهم العدوانية .

اعادة بناء هيكل سليمان :

ان النار التــى احرقت المسجد الاقصى المبارك لا تزال تضطرم فى قلوب الصهاينة حماسا لتحقيق فكرة تاريخية قديمة تنص على : « اعادة بنـاء هيكل سليمان الـذى هدمه (تيتوس) سنة ٧٠ ميلادية فى نفس المكان الذى يقع فيه المسجد الاقصى والمنطقة المجاورة له ، ويجب ان يتم ذلك فى ذكرى تهديم الهيكل التـى تصادف الحادى والعشرين من شهر آب) .

هذا النص المـذكور حـرفيا فى التاريخ الصهيونى الحديث . جاء ذكر الجزء الثانــى منـه فى الاسفـار التاريخية التى تعــرض تاريخ بنى اسرائيل بعد استيلائهم على بـلاد الكنعانيين وبالتحـديد فـى (سفر الملوك) ، اما الجزء الاول منه فقد جــاء نصه فــى (اسفار التلمود) المسماة (بالجمارا) شروح المشنات المؤلفة باللغة الآرامية ــ مـدرسة بال .

ان اسرائيل ملتزمة باعادة بنــاء هيكل سليمان علــى انقاض المسجد الاقصى ، وهى تعمل جاهدة علــى تنفيذه . ولم تمــر مناسـبة منـذ استيلائها على القدس يوم ٦ حزيران (يونيــو) ١٩٦٧ حـتى الان ، الا وكشفت اسرائيل نياتها المبيتة على الالتزام القاطع بهذه النصوص ابتداء من تهجير السكــان حــول المسجد الاقصى وانتهــاء بحـرق المسجد الاقصى .

وقد أرسلت الحكومــة الامريكية حمولــة (٥٠٠) شاحنة كبيرة من الحجارة الصخرية من (بيدفورد) بولاية (انديانا) الى اسرائيل كمــا جاء فى مجلة المسيحية المعاصرة ، وتعتبر حجارة (انديانا) من افضل صخور البناء فى العالم . أما الغرض من استيراد هــذه الحجارة ، فهو اعادة بنــاء هيكل سليمان . وقد اذاعت هذا السر مصادر علمية فى ساسبورغ انديانا التــى ذكرت أن

حجر الزاوية للهيكل فى القدس قد وصل الى اسرائيل ، وان تحضير مواد بناء هيكل سليمان يجرى بصورة سرية منذ سبع سنوات ، وقد تبرعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بعمودين من البرونز لنفس الغرض .

متى تشرع اسرائيل فى اعادة بناء الهيكل ؟

ان عام (١٩٧٠) هو ذكرى مرور (١٩٠٠) عام على هدم الهيكل ، لذلك ستشرع اسرائيل باعادة بناء الهيكل فى ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩٧٠ .

وليس هذا الذى ذكرته تنبؤا ، بل هو نتيجة منطقية للسلوك الاسرائيلى دينيا وسياسيا واجتماعيا .

ان حكام اسرائيل يلتزمون بالدين اليهودى وبما جاء فى كتبهم المقدسة من أساطير ، وكل ما فعلوه حتى الآن يثبت ذلك بشكل قاطع .

وقد ذكرنا تصريحات زعماء اسرائيل السياسيين والدينيين حول اعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى المبارك وعزمهم الاكيد على تنفيذ خططهم وتصاميمهم لاقامة الهيكل .

وقد أعلنت الوزارة الاسرائيلية الجديدة التى تشكلت فى شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ برنامجها الجديد ، لعل اهم سماته :

١ — عدم قبول اى تسوية أو حل يفرض من الخارج .

٢ — ضرورة كفالة أمن اسرائيل واستقلالها داخل حدود مأمونة ومعترف بها .

٣ — عدم العودة الى خطوط ما قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٤ — التمسك بالقدس بشقيها العربى واليهودى عاصمة موحدة لاسرائيل .

والواقع أن هذه النقطة الاخيرة بالذات ، وهى موضوع القدس ، هى اهم ما يجب أن نهتم به ، لما تنطوى عليه المشاريع الاسرائيلية بالنسبة للقدس من خطورة .

ان الاسلام ومقدساته سيتعرضان لأحلك ايامهما على يد الوزارة الجديدة .

ان الاغلبية التى حصل عليها التحالف العمالى فى الوزارة الاسرائيلية الجديدة ، له دلالة بالغة الاهمية ، لان البيان السياسى المتضمن برنامج عمل التحالف العمالى والذى خاض على أساسه الانتخابات العامة الاخيرة وربحها ، والذى صدر يوم ١٩٦٩/٨/٥ بعد أن انتهى الحزب من مؤتمره الذى ناقش فيه برنامجه الانتخابى ، قد تضمن نقطة خطيرة للغاية عند الحديث عن القدس هى بالحرف الواحد : ((**سوف تتخذ الاجراءات المناسبة لضمان الوضع الدينى للاماكن المقدسة لاسرائيل والمسيحية والمحافظة عليها وكفالة حرية الوصول اليها من قبل الاشخاص من جميع العقائد**)) .

والامر الذى يلفت النظر ، ونوجه اليه انظار العرب والمسلمين ، هو اغفال ذكر الاماكن المقدسة للاسلام وضمان وضعها الدينى فى البرنامج الرسمى لاقوى الاحزاب الاسرائيلية،

وهو الحزب الحاكم الآن بالفعل ، الامر الذي يقطع بأن النية مبيتة على القضاء نهائيا على الوضع الديني للاماكن المقدسة الخاصة بالمسلمين !

كما ان الوزارة الاسرائيلية الجديدة تضم وزراء من الاحزاب الدينية المتعصبة الى أبعد الحدود لفكرة اعادة بناء هيكل سليمان ، ومناهجها الحزبية المعروفة خير دليل على ذلك .

وينبغى الا يتطرق الشك الى احد من العرب والمسلمين ، بأن الصهاينة متعصبون لليهود قوما ، ولليهودية دينا ، والا فلا معنى للصهيونية بدون هذا التعصب العنصرى الذى فاق تعصب النازى وبدون هذا التعصب الدينى . ولعل القراء يذكرون الازمة التى نشبت فى اسرائيل فى اواخر شهر تشرين الاول اكتوبر ١٩٦٩ حول تشغيل المذياع المصور (التلفزيون) الاسرائيلى فى أيام السبت ، اذ اعتبر رجال الدين اليهودى هذا العمل محرما تحريما قاطعا .

وقد بدر من جانب السلطات الاسرائيلية عدد من التصرفات تثبت وتؤكد بما لا يترك مجالا للشك فى نيات اسرائيل بالنسبة للاماكن الاسلامية المقدسة عامة والمسجد الاقصى المبارك خاصة .

فقد حرقت اسرائيل القسم الجنوبى الشرقى من المسجد فأصبح ما تبقى منه آيلا للسقوط ، اذا لم يعد بناؤه فورا .

وقد أصابت حفريات اسرائيل تحت المسجد الأقصى القسم الجنوبى منه بأضرار جسيمة ، اذ بقى هذا القسم فوق أرض مجوفة لا تقوى على تحمل ثقل البناء مدة طويلة .

أما القسم الغربى من المسجد فهو معرض للسيول التى تكون عاصفة فى أيام الشتاء نظرا لغزارة الامطار التى تهطل على القدس فى اواخر أيام الخريف وفى الشتاء وفى أوائل ايام الربيع من كل عام .

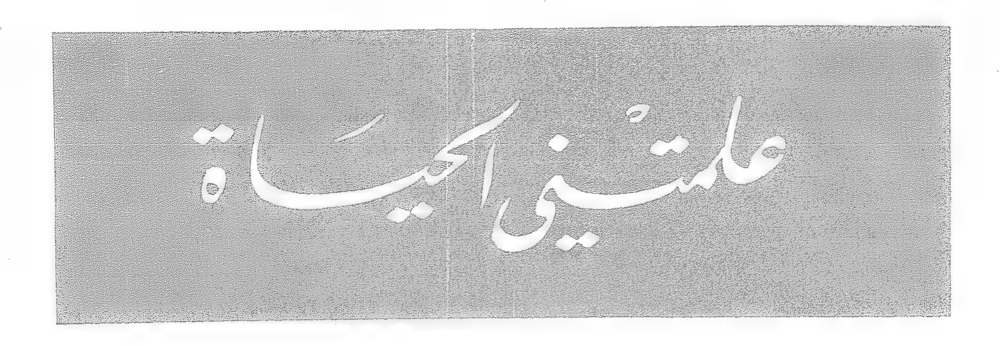
ان مصير المسجد الاقصى المبارك مهدد بأفدح الاخطار ، اذا لم يسارع العرب والمسلمون لاتخاذ الاجراءات الرادعة لصيانة هذا المسجد المقدس .

انه أمانة فى عنق كل عربى مسلما كان أو مسيحيا ، لان الصهاينة اذا بدأوا اليوم بالمسجد الاقصى ، فسيثنون غداً بهدم كنيسة القيامة ، ولان نياتهم تجاه المقدسات الاسلامية والمسيحية وتجاه الاسلام والمسيحية معروفة وهى مسطرة فى كتبهم المقدسة وفى مؤلفات زعمائهم قديما وحديثا .

وهو أمانة فى عنق كل مسلم ، لانهم اذا لم يدافعوا عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بالمال والانفس ، فسيندمون على ما فرطوا فى جنب الله وفى جنب أنفسهم ، ولات ساعة مندم .

انى انذر العرب والمسلمين بأن مصير المسجد الاقصى المبارك قد تقرر بالنسبة للصهاينة اذا لم يثبت العرب والمسلمون وجودهم بالبذل والتضحية والفداء .

ولست اشك لحظة بنصر الله ، لان للبيت ربا يحميه ، ولكن علينا أن نتخذ اسباب النصر ، وانما هى احدى الحسنيين : الشهادة أو النصر .



للاستاذ انور العطار

القول والفعل

علمتنى الحيــــاة ان مــن الأفعـــــال ما يرتــدى رداء الجمــــال
هــى امضى حـــدا واحمـــد آثــا را واعلـــى صوتـــا من الأقـــوال
يذهب القول ان تخلــى عن الفعــ ــــل ويطوى طــى الرؤى والظلال
فاذا قلت فاشفـــع القـــول بالفعــ ــل فان الفعـــال شطر الكمـــال

التوانى عجز

علمتنــى ان التوانـــى عجـــز ملـــؤه خيبـــة وهمز ولمــــز
ليس يرقــى الى مريـــديه حمـــد لا ولا يصحـــب المحبيه عـــز
فاحفـــز العزم وادرع نثـــرة الحـز م فــدرب الخلـــود شــد وحفــز
واكنز الحمـــد ــ ان هديت الى الرشـ ــــد محمـــدا فالحمــد ذخـــر وكنز

البطولة

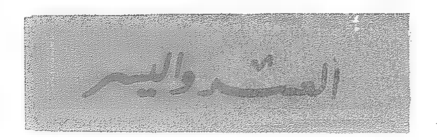
علمتنى ان البطولة ان انـ ـذر للحق طارفى وتليدى
وامد الفؤاد بالعزم وقـا دا كانى منه بخلق جديد
آفة النصر ان يساوره الوهـ ـن فيناى عن يومه الموعود
ويضيع الكفاح فى خيبة السـ ـى وفى غمرة العناء الشديد

الاخفاق

علمتنى الحياة ان من الاخـ ـفاق ما يلهب الجوانح عزما
ويعيد النضال اوفر ايمـا نا واوفى عهدا واسطع نجما
ليس منا من استنام الى اليـا س وظن العلا سرابا ووهما
فاتخذ من دياجر الخطب نورا واملأ الارض والسموات حزما

التنازع

علمتنى ان التنازع لا يعـ ـقب الا التشتيت والتمزيقا
يذر الأهل والصحاب ابادیـ ـد ويرمى بجمعهم تفريقا
القوى الأمين فيه ضعيف غاب عنه الهدى وضل الطريقا
والشفيق الشفيق من حارب الخلـ ـف وابقى حبل الوداد وثيقا

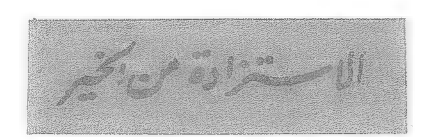


علمتنى الحياة ان من العسـ ـر سبيلا الى اغتنائى ويسرى

فتسربلت بالتعفف والصبـ ـر وكان الرضا عتادى وذخرى

ليس يطفى غناى ان ساده الشكـ ـر ولا يعرف الضراعة فقرى

ابصر الفجر فى غياهب ليلى وأرى اليسر فى تضاعيف عسرى



علمتنى ان استزيد من الخيـ ـر وان اسبق الغمامة نفعا

فازرع البر ما قدرت على البر فان الاحسان يخصب زرعا

واردع النفس ان دعتك الى الشح ولا تألها عقابا وردعا

وتأهب فانما انت ظل ولكم تمحى الظلال وتنعى



علمتنى ان الشماتة لؤم ووبال على ذويها وشوم

ليس يرضى بها الألى خبروا الدهـ ـر ، ونعمى الأيام ليست تدوم

انما الدهر لو تدبرت – يوما ن فيوم بؤس ويوم نعيم

والمنايا روائح وغواد وعلى أنفس الأنيس تحوم

التأمين في الشريعة والقانون

للاستاذ سعد صادق محمد

نشرت مجلــة الوعى الاسلامى الغراء (١) بحثا للاستاذ توفيق علــى وهبة تناول فيه موضــوع التأمين بجميع انواعه من الوجهتين القانونية والشرعية . ثم عرض آراء الذيــن يجيزون التأمين على الحياة والمانعين له شرعا ، ثم ختم بحثه بأن اجــاز التأمين على الحياة باعتبار أن فيه ضرورات اقتصادية تقتضيها مصلحة الدولــة ، وان فيه درءا للخطر عن الفرد حين يصيبه الخطر فــى نفسه أو ممتلكاته .

---

(١) انظر العددين ((٥٣ ، ٥٥)) .

والى جانب ما سنكتبه فى هـذا الموضوع الهام ، سنحاول الرد على ما أثاره الكاتب الفاضل من امور فى حل عقد التأمين على الحياة .

التأمين فى القوانين الوضعية

كان التأمين البحرى هو أول ما عرف عن نظام التأمين نظرا لما كان تتعرض له البضائع المنقولة بالسفن المارة عبر البحار من اخطار بحرية جسيمة ، وكان ذلك فى اوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان هـذا التأمين محصورا فى تعويض صاحب البضاعة عما يصيب بضاعتـه من ضرر الحـريق أو الغرق أو التلف تعويضا يوازى ما فقده فقط مـن البضائع المؤمن عليها دون تحقيق اى ربح أو ثراء . وهـذا النوع مـن التأمين هو المعروف بـ (التأمين بالاكتتاب) أو (التأمين التعاونى) .

ولما ظهر لهـذا النوع من التأمين من آثار وثمرات نافعة وضعت لـه اسس ونظم ثابتة تنظم هذه العملية وأصبح هذا أول نظام معروف للتأمين البحـرى سـمى باسـم (اوامر برشلونة) وقد صدرت هذه الاوامر عام ١٤٣٥ م وشملت عناصر التأمين البحرى وقواعده وشرائطه وآثاره وطريقـة تنفيذه ، كما نظمت لـه المحاكم التى تفصل فى منازعاته .

وبعد فترة زمنية كبيرة من نشوء التأمين البحرى ظهر التأمين البرى ، ثم التأمين على الحياة ، ثم انتشر بعد ذلك فشمل كل جوانب الحيـاة مما يتعرض له الانسان من المخاطر ، وانشئت لذلك الشركـات المعروفة باسمه من مختلف الدول ، ووضعت له نظم وقوانين عامـة وخاصة ، كما وضعت لـه المـؤلفات الكثيرة بمختلف اللغات .

وربما يكون من قبيل (الحـديث المعاد) أن نذكر هنا نظـام التأمين وعقـده ، كما جـاء فـى مصادره القانونيـة ، العـربية والاجنبية ، ومراجعه المختلفـة ، مثـل تعريف التأمين واقسامه من حيث الشكـل والمـوضوع وأركانـه واسسـه ومزاياه ، فيمكن الرجوع الـى كل هذا فيمـا سبق أن كتبه الاسـتـاذ توفيق علـى وهبه فـى بحثه عن التأمين .

هكذا نشأ التأمين ... وهكـذا ظهرت وتعددت موضوعاته .

موقف المجيزين للتأمين على الحياة

والذين يؤيدون التأمين على الحياة ينظرون اليه من زاوية واحدة لا ثانى لها ، هى زاوية الاقتصاد الحديث ، والنظم المالية السائدة فمـع تيار المدنية الحديثة وفد الينا نظام التأمين على الحياة ضمن القوانين الوضعية والنظم الاقتصاديـة التى وضعهـا أصحابها للتعامل على اساسها فى كافة المجالات المالية ، ومن هنا اخذنا نحن بهذه النظم الاقتصادية ، وانشأنا الشركات بكافة انواعها على اساس أن أساليـب الاصـلاح والعمران والنهوض والقوة تستدعى تجميـع الامـوال من الافراد باسم التأمين لتستغل فيمـا ينفـع الامـة فـى اقتصادها ، ثم فيما يرفـع الضرر الذى قد يصيب الفرد فى نفسه أو ماله . وتستدعى كذلك الاقتراض من الحكومـات أو من الشعوب أموالا تضمنها بسندات ذات ربح مقدر ، فتمتص بـذلك الامـوال المـدخرة المعطلة ، وتحولها الى منافع ترقى بها الامة وتنهض .

وكان من رأى هؤلاء كـذلك انه ليس من مصلحة الامة فى شىء أن تترك البيوت الماليـة الاجنبية تفيد دوننا مـن ثمرات هـذا التعامـل

خاصة ، وقد ارتبطت الدول بعضها ببعض ، وصار التعامل على اساس النظم الاقتصادية العالمية الموضوعة حديثا ، فلم يعد من الممكن اذن أن نستقل بنوع خاص من المعاملات لا يعرفه غيرنا .

نظرة الاسلام الى التأمين

هذا هو موقف المؤيدين للتأمين ، فما هو موقف الاسلام منه ؟ هل كان التأمين معروفا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو فى عهد احد من خلفائه الابرار أو صحابته الاطهار ، أو احد من التابعين رضى الله عنهم ؟ الواقع أن التاريخ الاسلامى بجميع مصادره لم يثبت لنا أن التأمين كان فى اى عهد من تلك العهود أو اى قرن من القرون الثلاثة التى شهدت فجر الاسلام وشبابه .

رأى ابن عابدين (١)

ونعرض هنا آراء فقهاء الدين المعارضين للتأمين .

سئل ابن عابدين عن التجار الذين يستأجرون مركبا من حربى يدفعون له اجرته ويدفعون ايضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى البلاد الاسلامية ، ويسمى ذلك المال (سوكره) وله وكيل عنه يقيم فى البلاد الاسلامية يقوم بتحصيل مال السوكره من التجار ، فاذا تعرض من مالهم شىء فى البحر لحرق أو غرق أو نهب أو غيره يؤدى ذلك الوكيل للتجار بدل ما يهلك من مالهم .

ولابن عابدين رأيان فى هذا الموضوع وكلاهما يقضى بفساد عقد التأمين :

الرأى الاول — اذا عقد التأمين فى دار الاسلام فانه لا يحل للتاجر اخذ التأمين ، وفى هذا يقول : « ويتبين من هذا أن بدل التأمين الذى يجرى عليه التعاقد اليوم لا يحل ، لان التعاقد يجرى فى « بلاد الاسلام » وفى مكان آخر من الفتوى يقول ابن عابدين « والذى يظهر لى انه لا يحل للتاجر اخذ بدل الهالك من ماله ، لانه التزام ما لا يلزم ، ويريد ابن عابدين بقوله « التزام ما لا يلزم » أن صاحب السوكره (المؤمن) قد التزم أن يدفع للتاجر عند هلاك ماله تعويضا لا يلزمه به الشرع ، لعدم وجود سبب شرعى يقتضى الضمان(٢) .

الرأى الثانى — اذا عقد العقد فى بلاد غير دار الاسلام فانه يحل للتاجر أخذه عن طريق شريك له حربى اجرى عقد التأمين مع الحربى الضامن ، ويسمى ابن عابدين هذا العقد بأنه عقد فاسد ، فيقول « قد يكون للتاجر شريك حربى فى بلاد الحرب فيعقد شريكه هذا العقد مع صاحب السوكره فى بلادهم ويأخذ بدل الهالك ويرسله الى التاجر ، فالظاهر ان هذا يحل للتاجر أخذه لان العقد الفاسد جرى بين حربيين فى بلاد الحرب » .

---

(١) هو واحد من الفقهاء الذين احتج بهم الذين يرون اباحة التأمين .

(٢) جاء فى كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب فقهاء الامصار ، ما يؤيد فتوى ابن عابدين ببطلان الضمان ففيه (ان ضمان مايغرق و يسرق باطل) راجع البحر الزخار ج ٥ ص ٧٥ .

رأى الشيخ محمد بخيت المطيعى

وفى فتوى للشيخ محمد بخيت مسجلة فى رسالة له بعنوان « فى أحكام السوكرتاه » يقول فيها ردا على سؤال ورد له فى التأمين « ورد خطابكم تذكرون به أن المسلم يضع ماله تحت ضمانة أهل « قومبانية السوكرتاه » أصحابها مسلمون أو ذميون أو مستأمنون ، ويدفع لهم نظير ذلك مبلغا معينا من الدراهم حتى اذا اهلك ماله الذى وضعه تحت ضمانتهم يضمنونه له بمبلغ مقرر من الدراهم ، وتستفهمون عما اذا كان له شرعا أن يضمنهم ماله المذكور اذا هلك بحرق أو نحوه أم لا يكون له ذلك ، وعما اذا كان يحل له ما أخذه من الدراهم اذا ضمنوا له ما هلك من ماله أو لا يحل له ذلك ؟

ويرد الشيخ بخيت على الفتوى وفى نهاية الرد يقول (.. والعقد المذكور لا يصلح أن يكون سببا شرعيا لوجوب الضمان ، ولا يجوز أن يكون عقد المضاربة كما فهمه بعض العصريين ، لان عقد المضاربة يلزم فيه أن يكون المال من جانب رب المال ، والعمل من جانب المضارب ، والربح على ما شرطا ، والعقد المذكور ليس كذلك ، لان اهل القومبانية يأخذون المال على أن يكون لهم يعملون فيه لانفسهم فيكون عقدا فاسدا ، وذلك لانه معلق على خطر ، تارة يقع وتارة لا يقع فهو قمار » (1) .

رأى الشيخ عبد الله القلقيلى مفتى الديار الاردنية :

السؤال — ما قولكم فى شخص يريد أن يتعامل مع جماعة مثلا على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على اقساط معينة ليعملوا به فى التجارة ، كانشاء العمارات وان ربحه منها غير محدود بقليل أو كثير ، بل على اساس ربح هؤلاء الجماعة فى هذه العملية ، واشترط معهم اذا قام بما ذكر وانتهت مدة الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة ، وكانوا قد عملوا فى ذلك المال ، وكان حيا فيأخذون ما يكون من المال مع ما يخصه من الارباح ، واذا مات فى أثناء المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ الذى تعلق به مورثهم من الارباح .

الجواب — كنا قد سئلنا عن التأمين على البضاعة وعلى الحياة ، فبينا أن ذلك غير جائز ، لانه غير جار على قاعدة المعاوضات والمعاملات المشروعة وطرق الكسب الطبيعية الخالية من الغبن والغرر والتى بين اعواضها تكافؤ ما ويكون كلا عوضيها منتفعا به ومقصورا ، وأنت لا تجد فى هذا التأمين ما ينطبق عليه مثل ما بينا ، فالذى يدفع المال فى التأمين يكون قصده أن يربح مقدارا كبيرا من المال ، ببذل مقدار يسير من المال لا مكافأة بينه وبين ما ينتظر اخذه ، فهو فى هذه الناحية قمار ، وفيه اعظم غبن ، وقد جاء فى السؤال تصوير مسألة التأمين لمن استفتته الشركة بما يشبه المضاربة ، وهى اعطاء مبلغ من المال لمن يتاجر فيه ، وهذا جائز بشروط منها ألا يكون الربح

---

(1) راجع رسالة أحكام السوكرتاه للشيخ محمد بخيت ص ٢٤ ، وراجع ايضا رأى الشيخ احمد ابراهيم « فى التأمين على الحياة » بمجلة الشبان المسلمين السنة ١٣ عدد ٣ الصادر فى ٤١/٢/٧ فى معارضته لاباحة التأمين .

مشتركا (١) وفى عقد التأمين يشترط ويتعين فيه على الشركة أن تدفع مبلغا فيح ربح كبير يكون اضعاف ما دفعه بل لا نسبة بين ما يدفعه المستأمن ، وما تعوض به الشركة .. وهذا ينطبق على الربا من حيث أن المرابى له ماله من الربح لا محالة ، والمستأمن لا يتحمل شيئا من خسارة كما لا يتحمل المرابى ، وهذا فى ذاته ظلم كبير ولا بد فى المضاربة التى قيس عليها التأمين من بيان ما لكل من الطرفين من الربح ومقداره شائعا ، ومعرفة ما على كل منهما ولا بد من التزام حدود تدخل فى معنى المضاربة شرعا وعرفا ، وهذا كله مجهول فى هذا العقد ، سوى انه اذا مضت مدة معينة لم يمت فيها المستأمن مثلا فان له مبلغ كذا وكذا ، وهو فى هذه الناحية يدخل فى حدود الخاطرات التى منعها الشرع الحكيم ، وهى المنطبقة على المقامرات ، ولا يجوز أن يكون العقد المذكور عقد مضاربة ، كما فهمه بعض العصريين لان عقد المضاربة يلزم أن يكون المال من جانب رب المال والعمل من المضارب والربح على ما شرطا ، والعقد المذكور ليس كذلك ، لان اهل القومبانية (الشركة) يأخذون المال على أن يكون لهم يعملون فيه لانفسهم فيكون عقدا فاسدا شرعا ، وذلك لانه معلق على خطر ، تارة يقع وتارة لا يقع فهو قمار (٢) .

((التأمين ليس عقد مضاربة))

رأى الشيخ محمد عبده

والسؤال الذى وجه للشيخ محمد عبده يفيد أن رجلا اتفق مع جماعة (قومبانية) على أن يعطيهم مبلغا معلوما فى مدة معلومة على اقساط معينة للاتجار فيه لهم ، فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المدة المذكورة ، وكان حيا يأخذ منهم هذا المبلغ مع ما ربحه من التجارة فى تلك المدة ، واذا مات فى خلالها تأخذ ورثته أو من يعينه حال حياته المبلغ المذكور مع الربح الذى ينتج مما دفعه فهل ذلك يوافق شرعا ؟

وكان جواب الشيخ كما يأتى — اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيل شركة المضاربة ، وهذا جائز شرعا ...

واذا فان المسألة التى أفتى فيها الشيخ محمد عبده لا ينطبق عليها عقد التأمين مطلقا ، بل هى من شركات المضاربة الشرعية ، ونبين فيما يلى ما بين عقد المضاربة وعقد التأمين من فروق بعيدة .

أولا — **فى عقد المضاربة :** — المبلغ الذى يدفعه رب المال للعامل يظل ملكا لصاحبه ، ولا يدخل فى ملك العامل ، ويؤخذ المال للاتجار فيه ، وهذا من خصائص عقد المضاربة ، وهو ما سئل فيه الشيخ محمد عبده وأفتى بحله .

فى عقد التأمين : — تظل الاقساط التى يدفعها المؤمن له فى يد الشركة ، وهى مطلقة اليد فى أن تتصرف فيها كيفما شاءت ، ويؤخذ المال للتأمين لا للتجارة .

---

(١) وفى هذا أيضا يقول الامام ابن تيمية تفسد المضاربة اذا شرطا لاحدهما ربحا معينا أو اجرة معلومة فى الذمة راجع فتاوى الامام ابن تيمية الجزء التاسع كتاب الفقه (البيع والصلح) ص ١٠٣ ص الرياض .

(٢) أسبوع الفقه الاسلامى ومهرجان ابن تيمية المنعقد فى دمشق فى شوال ١٣٨٠ ص ٤٣٠ .

ثانيا — **فى عقد المضاربة :** — يكون الربح بين رب المال والعامل المضارب شائعا .

فى عقد التأمين : يشترط فيه ربح مقدر على الشركة تدفعه للمؤمن له ، وهو ربح كبير يفوق أضعاف ما دفعه وهذا ينطبق على الربا اذ أن المرابى له ربح مقدر سلفا ، وهو مطمئن لهذا الربح ، وشركة التأمين لا تتحمل شيئا من الخسارة ، ويقول الامام ابن تيمية فى صحة العقود (متى عين فيها اى العقود شىء معين فسد العقد كما تفسد المضاربة اذا شرطا لاحدهما ربحا معينا أو اجرة معلومة فى الذمة (١) .

ثالثا — **فى عقد المضاربة :** — اذا مات رب المال استحقت ورثته المال الذى دفعه مع الربح ان وجد ، اما فى حالة الخسارة فانهم يتحملونها ولا شىء لهم الا ما يتبقى من رأس المال .

فى عقد التأمين : تأخذ الورثة عند موت مورثهم المؤمن له المبلغ الذى اتفق عليه مع الشركة بالغا ما بلغ ، فلو أن شخصا أمن على حياته بألف جنيه ، ثم مات بعد أن دفع للشركة مائة جنيه فقط فان ورثته أو من يعينه المؤمن له يستحقون الالف جنيه كاملة ، ففى مقابل اى شىء دفعت الشركة هذا المبلغ لورثته ؟ هل يجوز أن يقال ان الشركة تبرعت بالزائد عما دفعه ؟

رابعا — **فى عقد المضاربة :** — فى حالة موت رب المال يكون المال الذى يتاجر به العامل المضارب ضمن تركة المتوفى ، ويجرى فيه ما يجرى فى سائر اموال التركة .

فى عقد التأمين : فان المال المستحق لا يذهب للورثة مطلقا فى حالة ما اذا عين المؤمن له مستفيدا ، وهذا من حقه ، فالمال يذهب لهذا المستفيد ، ولو لم يكن للمتوفى مال غيره وليس لورثته حق الاعتراض ، وهذا فوق ما فيه من مخالفة لعقد المضاربة فان فيه مخالفة لقانون الميراث الذى يقضى بأن يذهب هذا المال للورثة ، أو أن يكون لهم نصيب من التركة اذا أوصى المتوفى لمستفيد آخر بشىء معلوم .

خامسا — **فى عقد المضاربة :** اذا انفضت الشركة بين رب المال والعامل ، فان المال يعود لصاحبه ، **فى عقد التأمين :** اذا عجز المؤمن له عن دفع قسط قبل ان تمر مدة معينة منذ اشتراكه فليس من حقه المطالبة بما يكون قد دفعه ، وهذا ربح للشركة استولت عليه دون وجه حق .

واذن فان فتوى الشيخ محمد عبده بعيدة كل البعد عن موضوع التأمين ، ولا تصلح أن تكون حجة لمن يقولون بجواز عقد التأمين على الحياة باعتبار انه عقد مضاربة .

عقد الموالاة :

وقياس عقد التأمين على عقد (ولاء الموالاة) قياس غير صحيح .. صحيح أن عقد الموالاة كان موجودا فى الاسلام أول الامر ، وقد روى ابو حنيفة انه كان اذا أسلم رجل على يد رجل تعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه اى يقول له أنت تعقل من جناية خطأ ، وترثنى اذا مت . والذى صح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن البخارى وابى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم لما

---

(١) راجع (مجموع فتاوى الامام ابن تيمية ص ١٠٣ ج ٩ باب الفقه (البيع والصلح) الرياض .

آخى فى أول الهجرة بين المهاجرين والانصار ، كان المهاجر يرث اخاه الانصارى (١) فلما نزل قوله تعالى من سورة الاحزاب (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا) لما نزلت هذه الآية نسخ العمل بهذا الارث (٢) .

أما علاقة المؤمنين ببعض بعد نزول هذه الآية فقد حددتها الآية الكريمة من قول الله عز وجل (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) اى ذهب الميراث بهذه الصورة ونسخ ، وأصبحت العلاقة بين المؤمنين على أساس النصرة والبر والاحسان والاخوة تطبيقا لقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) (وتعاونوا على البر والتقوى) .

فالقرآن اذن لم يشرع للناس الارث بالتحالف (عقد الموالاة) بل أبطله ، ونسخ ما كان عليه الناس قبل نزول آية الميراث (٣) .

التأمين من عقود الغرر :

من خصائص عقد التأمين انه عقد احتمالى ومن عقود الغرر(٤) هو عقد احتمالى لان الخطر فيه غير محقق الوقوع ، فتارة يقع وتارة لا يقع ، فلا يعرف المؤمن له متى يعرف كذلك وقت تحرير العقد مقدار ما يعطى أو يأخذ ، وكذلك شركة التأمين لا تستطيع تحديد ما تأخذ أو تعطى بالنسبة لكل عقد بمفرده ، وهو من عقود الغرر ، والغرر من التغرير وهو المخادعة ، وقيل فى معناه هو ما خفيت عاقبته وانطوى أمره ، والمغرر بالشىء المخاطر ، والمخاطر المتردد بين السلام والعطب ، فهو ما كان مترددا بين أن يسلم للمشترى فيحصل المقصود بالعقد ، وبين أن يعطب فلا يحصل المقصود بالعقد(٥) والغرر أيضا هو كما يوضحه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن بيع الثمرة قبل تمام صلاحها فيقول (لا تبتاعوا الثمر حتى يبدو صلاحها(٦) وفى هذا الحديث يقول الرسول للسائل (أرأيت لو منع الله الثمرة فيم يستحق احدكم مال أخيه ؟) وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التى تتضمن أكل الاموال بالباطل(٧) وهذه كلها مناه نبوية فى بيع الغرر ، وانواع الغرر من طبيعة واحدة تدل على نوع المقصود .

والغرر ايضا كما فسره الامام ابن تيمية مثل بيع الفرس الشارد أو الطير الذى خرج من قفصه ونحو

---

(١) راجع تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ط ١٣٢ هـ .
(٢) راجع تفسير هذه الآية « بتفسير ابن كثير » ج ٣ ص ٤٦٧ ط الحلبى .
(٣) راجع المصدر الاول بنفس الصفحتين .
(٤) ينص القانون المصرى والسورى والعراقى أن عقود التأمين من عقود الغرر .
(٥) راجع نظرية العقد لابن تيمية ص ٢٢٤ مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ .
(٦) صحيح مسلم ص ١٣ كتاب البيوع ج ٥ .
(٧) راجع نظرية العقد لابن تيمية ص ٢٢٥ وقد فسر الزمخشرى الباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ، راجع احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٠٩ .

ذلك فان بيع هذه الامور من باب (المخاطرة والقمار (١)).
ستقع الحادثة المؤمن ضدها ، ولا كذلك عقد التأمين فمحل العقد فيه غير ثابت وغير محقق الوجود ، فهو مثل الفرس الشارد أو الطير الخارج من قفصه بعد صيده غير موثوق به .

اجتهادات الصحابة :

ويحتج المجوزون للتأمين بما استحدثه الصحابة من امور لم تكن معروفة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد فيها نص بالتحريم أو الاباحة ، ويقيسون عليها عقد التأمين باعتباره نظاما حديثا ايضا ، لكننا اذا نظرنا بعمق الى اعمال الصحابة نجد أن هذا القياس لا محل له ، فجمع ابى بكر وعمر للقرآن وتحديد الجلد لشارب الخمر والزيادة فيه ، وانشاء عمر بن الخطاب لنظم حديثة للحكم كل هذه الامور لا تدخل فى عداد المحظورات بأى حال ، حتى نقول ان هذه الضرورات ألجأت الصحابة اليها ، والصحابة الذين فعلوا هذا هم الذين اوصانا رسول الله بشأنهم فقال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وما كان لاولئك الصحابة الكرام أن يستحدثوا شيئا محظورا وهم الذين سبقونا بالايمان والتقوى .

التأمين .. والضرورات

على انه من الظلم الصارخ ادخال التأمين على الحياة تحت قاعدة « الضروريات تبيح المحظورات » بدعوى انها ضرورة اقتصادية تحتمها مصلحة الامة ، لكى لا تضطرب احوالها الاقتصادية ، فان للضرورة حالات تستوجب اتيان المحظور معها اذا لم يجد الانسان بديلا لها ، وكاد أن يهلك من جوع أو عطش أو فقر أو اكراه أو نحو ذلك فلو سلمنا بهذا المبدأ فى غير حالاته الاضطرارية لجاز للناس أن يحلوا لانفسهم ما شاءوا بحجة أن مصلحتهم فى ذلك ، فيصبح الزنا للزانى حلالا ، لانه مضطر اليه وقضى به وطره ، والسرقة حلالا للسارق ، لانه مضطر اليها ، وقضى بها مصلحته ، وبهذا نكون قد فتحنا الباب ليدخل منه كل من يريد التحلل من أحكام الدين ، ويجعل الضرورات معبرا يصل منه الى ما حرم الله تعالى .

وقاعدة الضرورات تنطبق على حالات فردية ، ولا يجوز أن نتخذ هذا المبدأ قاعدة عامة اساسية يسير عليها كل الناس فاتخاذ المسائل الشاذة قواعد عامة قلب للاوضاع ، واباحة لما حرم الله ، فالاسلام اباح للمضطر مثلا أن يأكل الميتة ، لكنه لم يبح أكلها للجميع .
على أن الضرورة التى تبيح للانسان اتيان المحظور من أجلها هى التى يصورها قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان يجىء الصبوح — « الصباح » والغبوق « المساء » ولا تجد ما تأكله » اى أن تمر أربع وعشرون ساعة لا تجد فيها ما تأكله ، فهل يوجد معنى هذه

---

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٤٢٦ ج ٩ باب الفقه البيع والصلح .

(٢ الاكراه هو المعنى بقول الله عز وجل(الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ونحو ذلك من الامور التى يكره الانسان عليها وهومؤمن بضدها .

الضرورة ، فيمن يؤمنون على حياتهم فى شركات التأمين ؟

واذا عرفنا أن عقود التأمين على الحياة هى من عقود الغرر الذى جاء فيه النهى من المعصوم عليه الصلاة والسلام ، فان كل ما قيل عن عقود التأمين من انها جائزة عن طريق العرف أو المصلحة او الالتزام ، كل هذا باطل بنصوص الشريعة التى بيناها .

وبعد فان التأمين على الحياة نظام ربوى ، لانه يعطى للشخص ارباحا أكثر مما يدفع تأتى له من غير طرق الكسب الطبيعية المشروعة .

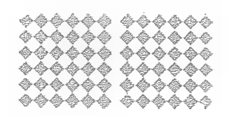
والتأمين نظام يهودى فان معظم النظم الاقتصادية الحديثة السائدة ، والمعمول بها اليوم يسيطر عليها اليهود ، وهم قوم عرفوا من قديم بالتعامل بالربا فلعنهم الله تعالى بقوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه)

أما ما يأخذه الموظفون والعمال فى حالة الوفاة من نظام التأمين والمعاشات الحكومى اكثر بكثير مما يعطون ، فانه يمكن القول بأن هذه الزيادة لا تعتبر ربا لان الدولة هى الملزمة شرعا برعاياها ، ولو لم تستقطع منهم شيئا وهم فى خدمتها ، فكفالة الدولة لرعاياها فى حالات العجز نظام معمول به فى كل الدول ، غير انه يجب أن تخلص هيئة التأمين والمعاشات أموالها من استثماره بالربا .

وهناك فرق ملحوظ بين التأمين الحكومى والتأمين الخاص الفردى فان الدولة حين تعطى للموظف أو العامل معاشا يبلغ اضعاف ما يدفع، فذلك لانه كان يعمل فى خدمتها ، وهى المكلفة شرعا كما سبق القول بتوفير المعيشة الكريمة له فى حالات العجز ، وفضلا عن ذلك فان اجهزة الدولة التى يعمل بها موظفوها وعمالها لم تنشأ أصلا لعمليات التأمين ، أما شركات التأمين فانها انشئت أصلا لهذا الغرض وهى لا تعطى معاشا شهريا للمستفيد ، وليست مكلفة بالانفاق عليه ، وانما هى عمليات اخذ وعطاء مؤقتة وهى تشبه (القرض) تتم فى صورة تأمين ، تقترض الشركة من الفرد مبلغا على اقساط ، ثم تحصل الفائدة المؤكدة للجانبين ، ويمكن ادخال هذه العملية ضمن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « كل قرض جر نفعا فهو ربا » .

وبهذا فانه لا يمكن اعطاء شركات التأمين حكم هيئة التأمين الحكومى ، بدعوى انها شركات مؤمنة ، والدولة هى تتولى العملية ، فالفرق قائم وواضح ولا يمكن التسوية بينهما .

ولو كان للاسلام اليوم دولة وقوة لكان تشريعه هو المتبع ، ولكان لشعوبه وامه من الوسائل الاقتصادية الاسلامية ما يغنيهم عن الربا الذى حرمه الله ، ولاستطاعوا أن يقيموا مدنيتهم واقتصادهم على اساس التراحم والتعاون، ومساعدة المحتاج ، واغاثة المنكوب باقراضه قرضا حسنا بنظام التأمين التعاونى الذى لا ينتظر من ورائه كسب ، فالتأمين التعاونى هو الذى يحض عليه الاسلام لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) .



عباءة الملك « روجر الثانى » حاكم صقلية وهى من صنع العرب

الحَضارة والفنـون الإسلامية وأثرها في الحَضارة العَالميَّة

للاستاذ : محمد الحسيني عبد العزيز

أخذ الفن الاسلامي ينمو ويتطور ويتدرج نحو التقدم وأصبح له طابع خاص معروف عند العرب قبل اتصالهم بأمم الشرق الأدنى ذات الحضارة القديمة ، وقد تطور هذا الفن وأينع ليساير الزمن ، وشق لنفسه طريقا نحو السمو بخطى ثابتة كما انفرد بأسلوب مميز بعد أن ظل فى تجربة طويلة وتمحيص دقيق تذوق خلالها الفنون القديمة وصهرها فى بوتقته ، وأخذ عنها ما يناسب تقاليد الدين الحنيف ، وطبعها كلها بطابع اسلامى مميز حتى تبلورت شخصيته ، واتضحت معالم هذا الفن الصاعد أيام الأمويين والعباسيين .

وقد اعتمد الفنان المسلم على خياله وبيئته وأصول دينه ، وكان لتشجيع خلفاء المسلمين ورعايتهم للصناع أثره الكبير فى ازدهاره ، وابتكار أساليب وأنماط جديدة ، وليس أدل على حيوية هذا الفن وقوته مما ابتكره من زخارف هندسية ونباتية ، وأساليب فى فنون العمارة والهندسة والطراز والصناعات التطبيقية ، كما أبدع الفنان المسلم فى تطوير رسوم الطير والحيوان بطريقة ابتعد بها عن الواقع والطبيعة احتراما للدين ومع هذا فكانت الرسوم معبرة تنطق بالذوق وتوحى بالخيال الخصب مما جعله موضع تقدير مؤرخى الفنون الأوروبيين ومثار اعجابهم فاتخذوه قبسا ومنهجا ، وهكذا تأثر الفن الاسلامى بالدين أبلغ تأثير ، كما اكتسب فن الهندسة المعمارية طريقة بناء المسجد الذى تتجلى فيه بساطة الدين أول الأمر والتصرف الفنى فى بناء الايوانات حول الصحن فيما بعد ، ولم يكن المسجد الأول الذى أسسه النبى



عملة من صقلية حيث يظهر الخط العربى بجانب الخط اللاتينى .

صلى الله عليه وسلم فى المدينة سوى قطعة مربعة أحيطت بجدران الحجر وقوامها من الطين ، وأقيمت ناحية الشمال تجاه بين المقدس سقيفة من جريد النخل فوق عمد من جذوعه .

ولما تحولت القبلة الى الجنوب تجاه مكة أقيمت سقيفة ثانية ، وصار للمسجد صحن مكشوف فى الوسط وظلتان احداهما فى الشمال وأخرى فى الجنوب كانت سنة التطور هى التى دفعت المعمار الى وصل ما بين السقيفتين ، وبهذه الصور المنسقة ولد تصميم المساجد الاسلامية الأولى، ثم اتسعت الدولة الاسلامية وزادت ثروتها ، واقتضت أساليب التطور أن يهتم المعمار ببيوت الله ، فاتخذت فيها أعمدة الرخام ، وغرشت أرضها بالحصباء وعمد الفنان الى زخرفتها وتنميقها بالزخارف الجصية وتزيينها بالآيات القرآنية بالخط الكوفى اجلالا للمساجد وتعظيما لشأنها بعد أن أصبحت أندية للشورى ومكانا للحكم ومدارس دينية وعلمية يتلقى فيها الناس أصول دينهم وثقافتهم اللغوية والعلمية ، وكانت كعبة يؤمها طلاب العلم من أوروبا .

العمارة :

وكانت سفارة الامبراطور البيزنطى « تيوفيلوس » فى أول القرن التاسع الميلادى — التى أرسلها لدراسة فن المعمار الاسلامى والعادات الاسلامية — دليلا على شغف أعظم حكام أوروبا بتقليد العمارة الاسلامية التى طبقت شهرتها الآفاق مما دفع الامبراطور الى بناء قصر بالقرب من بوابات القسطنطينية عام ٨٣٥م على طراز قصور بغداد ، كما استبدلت حاشيته اللباس البيزنطى بالزى العباسى ، وصمم الحدائق على نمط الحدائق الاسلامية ، ووضعت فى ردهة الاستقبال فى القصر الاشجار المذهبة وفوقها العصافير التى تغرد آليا ومع اندثار هذا العصر الا أن أحد الأديرة التى أقيمت عام ٩٠٨م بالقسطنطينية ما زال به افريز من النسور لها أجنحة بنفس الأسلوب العباسى .

وقصر رافلو الذى شيد فى القرن الحادى عشر بشمال ايطاليا تدل تفاصيله على الأسلوب الاسلامى ، هذا بجانب كثير من مبانى مقاطعة « توسكانى وبيزا » وغيرهما ويندر أن يخلو أى قصر من عقد أو قبة طرازهما اسلامى .

ويعتبر مسجد قرطبة فى أسلوب عمارته وطريقة بناء عقوده وزخارفه قبسا للفنانين الأسبان والفرنسيين فى بناء عمائر القصور (١) والمعابد ، ويظهر الى يومنا هذا تأثر الفن الأندلسى بنظام العقود المزدوجة والقباب والزخارف الهندسية والنباتية والجصية المفرغة المبتكرة فى العمائر الأوروبية التى استمر المعمار يقلدها وينهج على أسلوبها قرونا عدة .

ولا يقتصر التأثير على فرنسا وايطاليا بل انتقل الفن المعمارى الاسلامى الى انجلترا ، ففى أحد مداخل مدينة كنيلورث عقد داخله اطار مستطيل تملأ الزخارف النباتية ما بين العقدين (٢) المتجاورين كما كان يشاهد فى المبانى والقصور فى

---

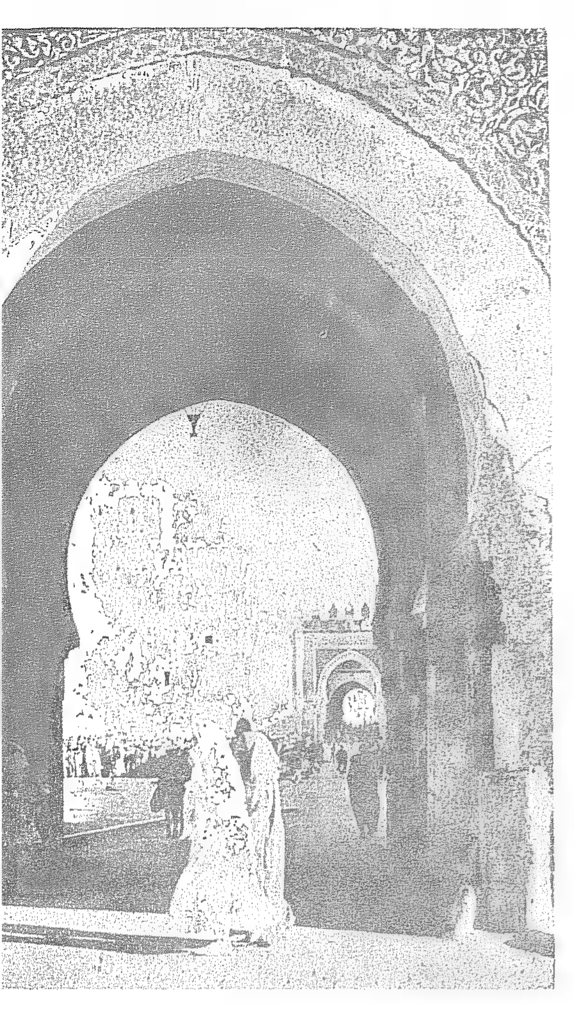
(١) كشفت الحفريات الأثرية عن بناء فى شمال أسبانيا من القرن الثالث عشر الميلادى عن زخارف خصية طرازها اسلامى .

(٢) هذا الأسلوب الزخرفى يلاحظ فى محراب جامع القرطبة .

مصر والأندلس ، وليس غريبا أن يكون المعمار الانجليزى قد زار الأندلس ابان الحكم الاسلامى أو تلقى علومه فى معاهدها بقرطبة ، واقتبس عن مساجدها وقصورها ما أغرم به وما أثار اعجابه .

الكتابة الكوفية :

انتشر استخدام الكتابة الكوفية والزخارف القائمة عليها فى المخطوطات الفرنسية منذ القرن الحادى عشر الميلادى فصاعدا ، وتوجد لوحة مطلية فى متحفى فكتوريا والبرت بلندن صنعت فى القرن الثالث عشر الميلادى فى مدينة « ليموج » وعلى جوانبها زخرفة شبيهة بالخط الكوفى ، وأبرز الأمثلة على استخدام الخط الكوفى بشكل مقروء موجود فى صحيفة مخطوطة رسمها « أدمار دى شابان » فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، والذى لا زال محفوظا بمكتبة جامعة ليدن وعلى الصحيفة ثلاثة أسطر من الخط الكوفى أولها « بسم الله الرحمن الرحيم » وهناك مخطوط آخر يحتوى على عدد من الأحزمة الزخرفية مؤسسة على الحروف الكوفية للراهب « سيفر » من القرن الحادى عشر الميلادى وكلها تدل على وضوح التأثير الاسلامى ، كما استخدمت الكتابات الكوفية فى « الميداليات أو المخطوطات المستمدة من قواعد الزخارف التى تنسب الى أسرة بنى بويه التى ترجع الى القرن الحادى عشر الميلادى والموجودة فى متحف المنسوجات بواشنطن .



بوابة بشكل مدبب على الاسلوب المغربى الاندلسى للعقود .

النسيج :

ولقد أخذ الفنانون الأوروبيون فى العصور الوسطى الخط الكوفى كفكرة للزخرفة فى المنسوجات البيزنطية والتى أشهرها حرير الأسد التى تؤرخ ٩٢٣م ويدل سطحها المستوى والرسوم الهندسية التى زينت بها على أنها نسيج شرقى اسلامى بالاضافة الى الخط الكوفى الذى



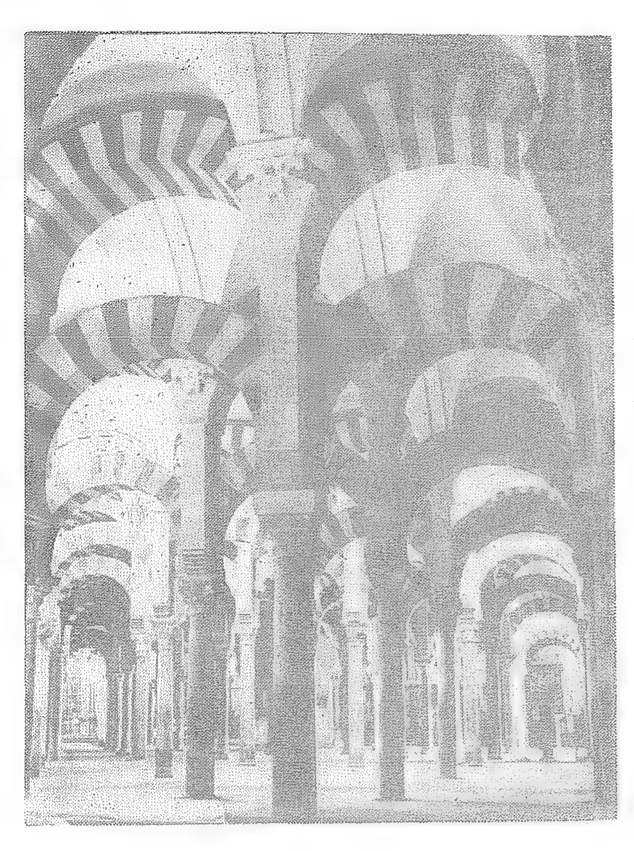
الاسطرلاب الذى ابتكره العرب لتحديد مواقع النجوم .

يطبعها بالفن الاسلامى
وقد ظلت المدن الايطالية تقلد النسيج الاسلامى فى تصميمه وزخارفه حتى القرن الخامس عشر الميلادى حيث أقام رجال الصناعة من الايطاليين مساكن خاصة لرجال الصناعة العرب الذين شجعهم حكام ايطاليا ، وصقيلية على العمل فى المصانع الايطالية مما جعل أثر الفن الاسلامى واضحا فى الزخارف النباتية والهندسية التى تميزت بها الصناعة الايطالية وهذا بدوره جعل البندقية تتخذ الأزياء الاسلامية نموذجا فى أزيائها وفى رسوم الكتب التى طبعت فى هذه المدينة التجارية ذات الصلة الوثيقة بشرق البحر المتوسط (مصر والشام) فى العصور الوسطى .

ويذكر ابن جبير أن النساء فى بالرمو بصقلية فى عهد الملك وليم الثانى كن يلبسن أزياء النساء المسلمات كما أشار الى مصنع أقيم فى هذه المدينة ، وقام بصنعها عامل عربى يدعى (يحيى) وطرزها بالخيوط الذهبية ، كما أن عباءة شرلمان الموجودة بمتحف « متيز » تنسب الى صقلية ، ويعود تاريخها الى القرن الثانى عشر ، وقد صيغت على طراز فارسى أو طراز ما بين النهرين مع وجود الكتابات العربية عليها .

العملة :

وقد وجدت قطعة من العملة الذهبية التى ضربت للملك « أوفا » (٧٣٧ — ٧٧٦ م) وعلى كل وجه من وجهيها توجد ثلاثة أسطر من الكتابة الكوفية محاطة بكتابة كوفية أخرى ، وتكاد تكون صورة كاملة للدينار الذى أصدره الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى (١٥٦هـ — ٧٤٤م) وربما يكون الملك قد تلقى هذا الدينار هدية من الخليفة العباسى لكن الراجح أن يكون الدينار قد وصل الى انجلترا عن طريق التجارة مع العراق ، كما وجدت دنانير اسلامية فى النرويج والسويد وشمال أوروبا بسبب مكانة الدينار الاسلامى كعملة دولية فى ذلك العصر ، ويتعامل به التجار كما يتعاملون الآن بالعملات العالمية هذا فضلا عن أن صقلية قد



مسجد قرطبة حيث تظهر العقود المزدوجة التى تميز بها الفن الاندلسى .

ضربت بها عملة محلية تحمل كتابة عربية الى جانب الخط اللاتينى .

الأسوار والحصون :

تأثرت الحصون الأوروبية بنظام التحصين العربى من الشرفات التى يحتمى خلفها المدافعون من هجوم خارجى ، كما أن الأسوار والأبراج التى تدعم الحصون تتخللها فتحات السهام ، هذا بخلاف الجيوش الصليبية التى غزت ساحل الشام ووجدت من أسوار القاهرة وقلعة حلب وغيرها نموذجا يحتذى فعملوا على تعميمه فى امارات الاقطاع التى انتشرت فى أوروبا فى العصور الوسطى ، ففى كل قلعة يتضح الأثر الاسلامى فى نظام البناء واستخدام العقود المدببة التى ظهرت فى مسجد ابن طولون ولم تستخدم فى أوروبا الا فى القرن الرابع عشر الميلادى .

المراكز الحضارية الاسلامية :

كانت بغداد فى العراق ، والقاهرة فى مصر ، وقرطبة فى الأندلس ، ودمشق وبيت المقدس بالشام مراكز حضارية انتقلت منها الصناعات التطبيقية من نسيج وزخرف وزجاج وغيره ، لكن الأندلس بعمائرها ومساجدها وصناعاتها ومعاهدها

العلمية التى ازدهرت على يد العرب كانت المشعل الذى أنار الظلمات فى أوروبا حيث كانت قرطبة وطليطلة مراكز ثقافية ينهل منها الطلبة الوافدون من أنحاء أوروبا ، وكان مفكرو الاندلس وفلاسفتها أساتذة الأجيال ، ولن يستطيع أى جاحد انكار فضل العلماء والفلاسفة والأطباء أمثال ابن رشد الفيلسوف ، وابى القاسم الزهراوى الطبيب العالم الذى كان رائد الجراحين ومبتكر الآلات الجراحية فى عصره .

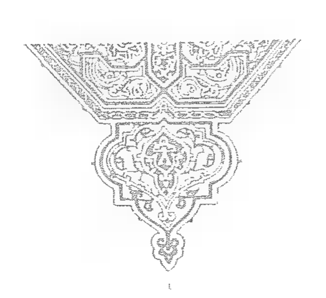
وفى الكيمياء :

كان العرب واضعى أساس هذا العلم ورواد البحث فى مجاهل العلوم الطبية والكيميائية ويذكر الكيميائيون جابر بن حيان صاحب المنهج التجريدى وأبحاثه ودراسته العميقة التى صححت أخطاء اليونانيين ، وقد أسهم فى خدمة البشرية بكشف الأدوية وتحليل المواد من النباتات والمعادن ، واتخذ معملا كيميائيا يمارس فيه أبحاثه وتجاربه ، وكان يشرح لطلبته ومريديه الأسلوب العلمى الصحيح فى المواد الكيميائية ، وقد ظلت كتبه ومؤلفاته قبسا للدارسين من الصيادلة والأطباء فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الماضى ، وهكذا ظلت المصطلحات الكيمائية تحتفظ بأسمائها العربية اعترافا بفضل العرب على العلم الحديث .

وكان الزجل والشعر الأندلسى حافزا للأسبان فى ابتكار الشعر الحماسى ، كما أدى الى ظهور شعر « التروبادور » الذى اعتمد على العاطفة أما فى علوم الجغرافيا والفلك فدراسات العرب ومؤلفاتهم ومراجعهم فى هذين الميدانين وأبحاثهم فى النجوم واستخدامهم الاسطرلاب اسهمت مساهمة فعالة فى حركة الكشف الجغرافى ، ولن ننسى أن أحمد بن ماجد الملاح العربى هو الذى قاد سفن البرتغاليين الى الهند ، وأرشدهم الى الطرق الملاحية واستفادوا من خبراته فى كشف المحيط الهندى وجزره .

• • •

هذه صورة معبرة عن الفنون الاسلامية والعمارة العربية والعلوم التى قدمها العرب للعالم ، وكانت أبحاثهم وفنونهم وعلومهم هى القبس الذى سار العلماء الأوروبيون على نهجه حتى بلغوا الذروة ، وابتكروا العلوم والتكنولوجيا الحديثة التى وضع العرب أساسها وأرسوا قواعدها بأساليبهم التجريبية التى أصبحت أسس النظريات العلمية الحديثة ، وهكذا كان العرب حملة المشاعل ورواد العلم حين كانت أوروبا غارقة فى ظلمات فى العصور الوسطى .



صفحة للمجاهدين في سبيل الله

وصية لقائد الجيش الإسلامي في فلسطين

كتب أبو بكر ليزيد بن أبى سفيان ، قائد المسلمين فى جبهة فلسطين يقول له :

((أنى قد وليتك لأبلوك وأجربك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك ، وان أسأت عزلتك !!

فعليك بتقوى الله ، فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك .

وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله .

وقد وليتك عمل خالد بن سعيد بن العاص الوالى السابق فاياك ونخوة الجاهلية ، فان الله يبغضها ويبغض أهلها .

واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير وعدهم اياه ...

واذا وعظت فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ...

وأصلح نفسك يصلح الله لك الناس ، وصل الصلاة لأوقاتها ، باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها .

واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون .

ولا ترينهم — حقيقة جيشك — فيروا خللك ، ويعلموا علمك .

وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم .

وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك ؟

واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة .

واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار .

وأكثر حرسك وبدلهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك .

فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه ، وعاقبه فى غير افراط .

واعقب بينهم بالليل والنهار ، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانها أيسرها لقربها من النهار .

ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع اليها .

ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العابثين .

وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر .

وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له)) .

السلام قبل الحرب

أراد الرسول ألا يدخل فى حرب مع اليهود الا بعد استنفاد كافة الوسائل للوصول الى حلول سلمية ، فبعث عبد الله بن رواحة ومعه ثلاثون رجلا من الأنصار الى أسير بن رزام ، فقدموا عليه فى « خيبر » ، وبعد أن أخذ كل من الطرفين الأمان لنفسه من الطرف الآخر عرضوا عليه أن يترك ما عزم عليه من حرب ، وأن يقوم معهم الى رسول الله ، ليحالفه ويوليه على « خيبر » ، ويعيش أهلها فى سلام مع المسلمين بدلا من الحرب وسفك الدماء ، فاستجاب أسير لذلك أول الأمر ، وخرج مع وفد المسلمين ومعه ثلاثون رجلا من اليهود قاصدا رسول الله .

وبعد أن قطع أسير ومن معه مرحلة من الطريق ندم على خروجه ، وهم بالغدر بالمسلمين ، فهوى الى سيف عبد الله بن رواحة يريد انتزاعه منه ليقتله به ، ففطن لذلك عبد الله وقال له : « أغدرا يا عدو الله ؟ » ، ثم نزل وضربه بسيفه ضربة أسقطته عن بعيره وقتلته ، ومال المسلمون على من كان معه من اليهود فقتلوهم .

عزم اليهود على غزو المدينة

وبعد قتل أسير تولى زعامة اليهود فى « خيبر » سلام بن مشكم ، وكان رأيه فى محاربة المسلمين كرأى كل من سبقه من زعماء اليهود .

وعندما تم الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فى « الحديبية » ، وتم الاتفاق على المهادنة ، وعلى تأمين بعضهم البعض ، يئس اليهود من معاونة العرب ، ومن تقديم يد المساعدة لهم .

وصرح سلام لزعماء اليهود بأن هناك خطرا يتهدد الكيان اليهودى فى أراضى « الحجاز » ، وأن الواجب عليهم أمام هذا الخطر هو أن يبادروا الى تأليف كتلة واحدة تتكون من يهود « خيبر » ومن يهود « وادى القرى » و « تيماء » ، ثم أوضح لهم خطته التى وضعها للقضاء على الاسلام ، وهى أن يزحفوا على « المدينة » بدون أدنى اعتماد على القبائل العربية ، وبذلك ينفردون بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، وقد ذهب وفد منهم الى « بنى غطفان » فتعاقدوا وتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمدا بكل ما أوتوا من قوة .

وقد علم الرسول بما يدور فى خلد يهود « خيبر » ، فأخذ يتهيأ ويستعد لمواجهتهم وقتالهم ، وكانت خطته هى أن يفاجىء عدوه قبل أن يفاجئه ، وهذا هو ما يحتمه عليه سلامة دينه وتأمين دعوته ، وقد علم يهود « خيبر » بتهيؤ واستعداد الرسول والمسلمين لقتالهم .

ويرجع بعض الرواة علم اليهود الى رأس النفاق عبد الله بن أبى ، فقد أرسل اليهم من يقول لهم : ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم . فلما سمعوا ذلك أخذوا يعدون له ، فكانوا يخرجون كل يوم فى عشرة آلاف مقاتل مسلحين مستعدين صفوفا ، ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات هيهات ! وأدخلوا أطفالهم وأموالهم فى حصون « الكتيبة » ، وجمعوا المقاتلين فى حصون « النطاة » .

حصون خيبر

كانت بلاد « خيبر » مقسمة الى ثلاث مناطق حربية ، وكل منطقة مؤلفة من عدة حصون ، وهى الآتى :

المنطقة الأولى : منطقة « النطاة » ، وهى مؤلفة من حصن « الناعم » وحصن « الصعب بن معاذ » ، وحصن « الزبير » وهو حصن « قله » ، وحصن « الكتيبة » .

المنطقة الثانية : منطقة « الشق » ، وهى مؤلفة من حصن « أبى » ، وحصن « البرىء » .

المنطقة الثالثة : منطقة « الكتيبة » ، وهى مؤلفة من حصن « القموص » وحصن « السلالم » ، وحصن « الوطيح » .

وكانت تلك الحصون من الحصون القوية المنيعة المشيدة على رؤوس الجبال ، ورجالها مدربون على القتال والنضال ، وكانت جموع اليهود فى « خيبر » تعد من أقوى الطوائف اليهودية بأسا ، وأوفرها مالا ، وأكثرها سلاحا ولكنهم — كعادتهم دائما — يهابون الحرب والالتحام فى الميدان ، ولا يحاربون الا أمام الحصون ، فاذا انهزموا رجعوا مسرعين اليها وأغلقوها عليهم ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذه الخصلة من خصال الجبن ، فقال تعالى : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وقد عرف الرسول الكريم هذه الطبيعة فيهم ، فوضع خطته على أساسها عندما سار اليهم ليغزوهم فى عقر دارهم .

موقع خيبر

تقع « خيبر » على بعد نحو مائة ميل من شمال « المدينة » جهة « الشام » وهذه المسافة تقطعها الابل فى مدى خمسة أيام ، وهى عبارة عن واحة كبيرة ذات حدائق ومزارع ونخيل ، ولم يكن سكانها مجتمعين فى صعيد واحد ، بل كانوا متفرقين فى الوديان المتجاورة ، يسكنون بيوتا حصينة تقع فى وسط النخيل والمزارع ، وكانت « خيبر » لمنعة حصونها وطبيعة أرضها يعتقد اليهود والعرب بأن الرسول لن يستطيع أن يغزوها .

خروج الرسول الى خيبر

كانت قوة المسلمين تتألف من ألف وستمائة مقاتل ، مجهزين تجهيزا حسنا من بينهم مائتا فارس ، ويمتلك كل مقاتل راحلة سريعة ، وكان مع الجيش نساء عهد اليهن الرسول بالقيام بشئون الجرحى .

وغادر الرسول بجيشه « المدينة » بعد أن استخلف عليها سباع بن عرفطة فى شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة وبعد أن استنفر من حوله من الاعراب ممن شهد « الحديبية » ليجاهدوا معه (١) .

---

(١) كانت هذه الغزوة مقصورة على من شهد صلح الحديبية .

وكانت المسافة بين « المدينة » وبين « خيبر » خمسة أيام اذا سارهـا الجيش بالسرعة المعتادة ، وكان الرسول يعلم أن الطريقة الوحيدة التى يستطيع أن يهزم بها عدوه هى المفاجأة والمباغتة ، فقطع المسافة على طولها فى ثلاث مراحل مجهدة .

وعبأ المسلمون قواتهم تعبئة عسكرية منظمة ، وقسموها الى قسمين ، أعد القسم الأكبر لمهاجمة حصون اليهود حصنا حصنا ، وانطلق القسم الآخر الى الطرق بين « خيبر » و « غطفان » لقطع الاتصال بينهما لأنهم كانوا أحلافا ، وحتى لا يفاجئوا المسلمين من الخلف ، وقد وصل جيش المسلمين الى حصون الاعداء قبل فجر اليوم الرابع .

ويقول بعض الرواة : ان يهود « غطفان » أرادوا أن يظاهروا يهـود « خيبر » ، ولكنهم بعد خروجهم سمعوا صياحـا فى ديارهم ، فخيـل اليهم أن المسلمين قد خالفوهم الى أهليهم وأموالهم فرجعوا ، ويقول البعض الآخر : ان الرسول طلب منهم ألا يعينوا يهود « خيبر » فى هذه الغزوة ، على أن يعطيهم من « خيبر » شيئا مما سماه لهم . وعلى كل فان يهود « غطفان » لم يعينوا يهود « خيبر » وخلوا بين رسول الله وبينهم .

ووقفت « قريش » ووقفت شبه الجزيرة العربية كلها متطلعة الى هذه الغزوة ، حتى لقد كان من « قريش » من يتراهن على نتائجهـا ، ولمن يتـم الانتصار فيها ، وكان الكثير منهم يتوقع أن تدور الدائرة على المسلمين ، لمـا يعرفونه من قوة حصون « خيبر » ، وبنيانها فوق الصخور والجبـال ، وطول ممارسة أهلها للحرب والقتال ، مما يجعل فتح هذه الحصون شيئا متعذرا ، بل يكاد يكون مستحيلا .

ونزل الرسول بجيشه قريبا من حصون منطقـة « النطاة » . فقال له الحباب بن المنذر : « ان أهل النطاة ليس قوم أبعد مدى منهم ، ولا أعدل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا ، وهو أسرع لانحطاط رميهم ، ولا نأمن من بياتهم ، يدخلون فى حمر النخل ، فتحول يا رسول الله » ، فقال له صلى اللـه عليـه وسلم : « أشرت بالرأى » . وتحول الى مكان بعيد عن مدى نبلهم وعسكر فيه .

وعمى الله على يهود « خيبر » ما كان من أمر رسوله وجيشه ، فباتـوا آمنين مطمئنين ، وكان أول من شاهدهم الفلاحون الذين تعودوا البكور للقيـام بأعمالهم فى المزارع والحقول ، فأخذوا من الرعب والهول ، وما هى الا لحظة حتى ترددت الاصوات من حقل لحقل صائحة: محمد والخميس محمد والخميس![1]

وكأنما رأى رسول الله أن يزيد فى فزعهم ، فصاح فى أعقابهم مكبرا : « الله أكبر . خربت خيبر ! انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صبـاح المنذرين » .

وما ان انتشرت الصيحة حتى أسرع اليهود يجرون هنا وهناك ، وقـد أخذت عليهم المفاجأة كل طريق للهجوم ، فلم يبق أمامهم من وسيلة سوى الدفاع فلجأوا الى حصونهم يحتمون بها « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » .

وكان الرسول يعلم أن من طبائع اليهود شدة حرصهم على المال ، وأنـه قد يكون أحب اليهم من أرواحهم ، فأراد أن يرهبهم باتلاف بعض مالهم علهـم يسلمون اليه بدون قتال ، فأمر بقطع نخيلهم ، فقطع المسلمون حوالى أربعمائة نخلة ، وعندما رأى أن اليهود مصممون على القتال نهى عن قطع النخيل .

---

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدمـة ، والميمنـة ، والميسرة ، والقلب ، والساقة .

بـــدء القتـــال

ابتدأ القتال مع اليهود فى حصن « ناعم » ، وكانوا قد حشدوا فيه قواتهم وأعدوا أنفسهم لمعركة مريرة طاحنة ، وكانوا كلما حاولوا الخروج من الحصن يشتبك معهم المسلمون ، فيرتدون الى الحصن ليحتموا خلف جدرانه القوية ، وظل الرسول سبعة أيام يقاتل أهل هذا الحصن حتى فتحه الله على يد على ابن أبى طالب .

وفى أثناء الحصار توفى زعيم اليهود سلام بن مشكم ، فتولى القيادة بعده الحارث بن أبى زينب .

ولما سقط حصن « ناعم » فر اليهود الى حصن « الصعب بن معاذ » واحتموا به ، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ، ولكن المسلمين اقتحموا عليهم الحصن وفتحوه عنوة .

وقد وجد فيه المسلمون طعاما كثيرا وذخيرة ، ووجدوا أيضا فى بيت تحت الأرض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا ، وكميات كبيرة من آلات الحرب التى دلهم عليها بعض اليهود ، وقد انتفع المسلمون بهذه الأدوات فى هذه الموقعة انتفاعا كبيرا .

وبعد سقوط حصن « الصعب بن معاذ » لجأ اليهود الى حصن « الزبير » وهو حصن قوى منيع قائم على قمة عالية ، فحاصره المسلمون ثلاثة أيام ، واستعصى عليهم فتحه ، وعلم الرسول من أحد اليهود أن وراء هذا الحصن جدولا يمد من فيه بالماء ، فأمر الرسول بقطع الماء وتعطيشهم ، فخرج اليهود من الحصن وقاتلوا المسلمين ، ولكن الدائرة دارت عليهم ولحقتهم الهزيمة . وبسقوط هذا الحصن سقطت منطقة « النطاة » كلها فى أيدى المسلمين .

وفر اليهود من منطقة « النطاة » الى منطقة « الشق » واعتصموا بحصن « أبى » ، فحاصرهم المسلمون فيه ، ثم تحاملوا على الحصن وفى مقدمتهم أبو دجانة الانصارى حتى دخلوه ، فهرب من فيه من جنود اليهود ، وأخذوا يقتحمون الجدر الى حصن « البرىء » .

وزحف الرسول فى أصحابه اليهم ، وأمر بأن ينصب على الحصن المنجنيق فوقع فى قلوب أهل الحصن الرعب والخوف ، فأسلموا الحصن وهربوا . وكما سقطت منطقة « النطاة » سقطت منطقة « الشق » .

وذهب اليهود الى منطقة « الكتيبة » واحتموا بحصن « القموص » ، وكان حصنا هائلا ، بنى من الصخر الحى وحصنت مداخله تحصينا قويا ، وعلى المتاريس حراس مجهزون تجهيزا جيدا ، ويملكون كثيرا من المؤن ، ودارت حول الحصن معارك عنيفة بين الفريقين ، قاتل فيها المسلمون واستبسلوا استبسالا شديدا عظيما .

ولم يكن الأمر سهلا كما ظنه المسلمون ، فقد كانوا يعتمدون فى تموينهم على موارد الأعداء ، والآن أخذ اليهود يشعلون النيران فى مزارعهم ، ويسحبون أنعامهم الى داخل الحصن .

وبدأت المجانيق تعمل عملها ، وتجددت القيادة برئاسة أبى بكر وعمر وعلى ، لأن الرسول كان قد أصيب بما يشبه الصداع فاعتكف ، واستمرت أعمال المجانيق حتى فتحت ثغرة صغيرة فى جدران الحصن ، بعد أربعة عشر يوما من الحصار ، تدفق منها المسلمون وكأنهم فيضان عارم جارف ، وسقط

الحصن ، وقد خسر المسلمون نحو عشرين شهيدا ، بينما كانت خسارة اليهود نحو قرابة المائة قتيل . وقد سبى من هذا الحصن جمع من النساء والذرارى ، من بينهم صفية بنت حيى .

سقوط خيبر

قصد المسلمون بعد سقوط حصن « القموص » حصنى « الوطيح » و « السلالم » ، وكانا آخر حصون « خيبر » ، فحاصرهما المسلمون بضع عشرة ليلة ، ولما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله الصلح ، فصالحهم على أن يحقن دماء من فى الحصنين من المقاتلين ، ويترك الذرية لهم ويخرجوا من « خيبر » وأرضها ، ويخلوا بين المسلمين وبين مالهم من مال وخيل وسلاح .

غير أن نفوسهم رغبت عن الهجرة ، فطلبوا من الرسول أن يبقيهم فى الأرض ويعطوه نصف ثمارها ، فوافق الرسول وأبقاهم فى الأرض ، ولم يجعل ذلك الى الأبد ، مخافة عبثهم ، بل قال لهم : « ان شئنا أن نخرجكم أخرجناكم » .

ويزعم بعض المستشرقين بأن المسلمين لم يتركوا ليهود « خيبر » شيئا من المتاع سوى ثوب واحد لكل منهم ، وهذا القول مردود لما هو معروف من أن اليهود قد طلبوا بعد فتح « خيبر » شراء بعض الغنائم وفداء السبايا من أيدى المسلمين ، فمن أين اذن جاء اليهود بالثمن لو أنهم قد خرجوا عرايا ؟

ويزعم الدكتور اسرائيل ولفنسون فى كتابه « اليهود فى جزيرة العرب » أن الرسول ما ترك يهود « خيبر » الا ليفلحوا له الأرض للحاجة الى ثمارها وغلاتها ، ولأن أصحابه ليس فى وسعهم ذلك فضلا عن اشتغالهم بالأعمال الحربية .

وهذا ليس بصحيح ، لأن الرسول قد صالحهم على البقاء فى « خيبر » ، فظلوا بها الى أن أجلاهم عمر بن الخطاب فى خلافته لقول الرسول : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » (١) .

يهود فدك ووادى القرى

وعندما وصل الى سمع يهود « فدك » نبأ سقوط « خيبر » ، وبالصلح الذى تم بين رسول الله وبينهم ، رغبوا عن الحرب وجنحوا الى السلم ، وبعثوا الى الرسول ليصالحوه على مثل ما صالح عليه أهل « خيبر » ، فأجابهم الى طلبهم ، وتم الصلح بدون قتال .

ثم انصرف الرسول الى « وادى القرى » وحاصرها حتى سلم أهلها ، وصالحهم على مثل صلح « خيبر » ، أما يهود « تيماء » فقد قبلوا الجزية بدون حرب . وبذلك دانت اليهود لسلطان الرسول ، وأصبح المسلمون بمأمن من ناحية الشمال الى « الشام » ، كما صاروا بعد صلح « الحديبية » بأمن من ناحية الجنوب .

مغانم خيبر

كانت مغانم « خيبر » أكثر المغانم التى حصل عليها المسلمون منذ غزوا فى

---

(١) الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ج ٢ ص ١٥١ ، سيرة ابن هشام ص ١٠٥ ، صحيح البخارى ، باب غزوة خيبر .

سبيل الله حتى ذلك اليوم ، وقد قسم الرسول هذه المغانم بعد أن خمسها ، فأعطى الجندى من المشاة سهما ، والفارس ثلاثة أسهم ، وأعطى من خمسه لزوجاته ، وذى القربى [بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب] ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وكان من بين المغانم التى غنمها المسلمون صحائف من التوراة ، فجاء اليهود يطلبونها ، فأمر الرسول بتسليمها اليهم ، وفى ذلك يقول ولفنسون (١) : « ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف فى نفس الرسول من المكانة العالية ، مما جعل اليهود يشيرون اليه بالبنان ، ويحفظون له هذه اليد ، حيث لم يتعرض لصحفهم المقدسة بسوء ، ويذكرون بازاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ قبل الميلاد ، اذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، وما فعله المتعصبون من النصارى فى حروب اضطهاد اليهود فى الأندلس حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة ، هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الاسلام » .

وليست هذه أول مرة يتسامح فيها الرسول ويترك لليهود صحائفهم المقدسة ، دون التعرض لها بسوء ، أو تحقيرها لشدة عداوتهم له ، فقد سمح لهم قبل ذلك بأخذ صحفهم المقدسة المشتملة على وصية سيدنا موسى عليه السلام لبنى اسرائيل ، عند اجلائهم من « المدينة » فى غزوة « بنى النضير » .

زواج الرسول من صفية

لم تكن هناك غاية يبغيها الرسول من اليهود بعد أن ألقوا سلاحهم ، وأمن الرسول جانبهم ، سوى حرصه على أن تكون العلاقة بينه وبينهم قائمة على أساس من المودة والصفاء ، لا على العداوة والبغضاء ، فاتخذ فيهم صهرا ، واصطفى من نسائهم صفية بنت حيى ، وخيرها بين أن يعتقها ويتزوجها وبين أن يلحقها بأهلها ، فاختارت أن تكون له زوجة ، فأعتقها وتزوجها مقتفيا بذلك أثر الفاتحين العظماء ، الذين كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التى يفتحونها ، ليخففوا من مصابهم ، ويحفظوا من كرامتهم .

وقد خشى أبو أيوب خالد الأنصارى أن تمثل صفية دور « يهوديت » مع « هلوغرن » ، لأن محمدا قتل أباها وزوجها ، وخرب قومها ، فيكون ذلك مدعاة لتحرك عوامل الضغينة فى نفسها ، فبات مسلحا حول الخيمة التى أعرس فيها الرسول بصفية . فلما أصبح الرسول ورآه سأله : « مالك ؟ » . قال : « خفت عليك من هذه المرأة وقد قتلت أباها وزوجها وقومها وقد كانت حديثة عهد بكفر » .

ولكن صفية كانت وفية للرسول ومعجبة به ، فأخلصت له الى أن توفى ، وعندما حضرته الوفاة كان نساؤه حوله ، فقالت صفية : « أما والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى » . فتغامز أزواج الرسول عليها ، فقال الرسول لهن : « مضمضن » . فقلن : « من أى شىء يا نبى الله ؟ » . فقال الرسول « من تغامزكن بصاحبتكن ، والله انها لصادقة » .

---

(١) اليهود فى جزيرة العرب . صفحة ١٧٠ .

معاملة الرسول لليهود

كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على اقامة العدل فى معاملة اليهود ، يريد أن يزيل من نفوسهم آثار عداوتهم للاسلام والمسلمين ، فالعداوة بينه وبينهم لم تكن عداوة شخصية ، وانما كانت خلافا على العقيدة التى غيروا وبدلوا فيها .

روى أن اليهود شكوا الى الرسول من أن المسلمين يقعون فى حرثهم وبقلهم بعد الصلح ، فأمر الرسول بجمع المسلمين ، ثم قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ان يهود شكوا الى أنكم وقعتم فى حظائرهم ، وقد أمناهم على دمائهم وعلى أموالهم التى فى أيديهم فى أراضيهم وعاملناهم (١) . وأنه لا تحل أموال المعاهدين الا بحقها » . فكان المسلمون بعد ذلك لا يأخذون من بقولهم شيئا بدون ثمن .

فهل حفظ اليهود جميل الرسول وقدروه ؟

وهل عرفوا أن محمدا أصدق الناس قولا وأكثرهم عدلا وأطهرهم قلبا ؟

وهل أدركوا أن الاسلام لم يكن يريد بهم شرا ، وأن مبادئه تقوم على العدل واحترام حقوق الغير ، وأنه يعدل فى أعدائه مثلما يعدل فى أصحابه ؟

كلا ، لم يقدر اليهود شيئا من هذا ، وانما ظلوا على ما هم عليه من الغدر والخيانة ونكران الجميل ، وقاربت قلوبهم تحترق من كثرة الحقد على الرسول .

لقد رجعوا الى قديم عادتهم ومألوف حياتهم ، رجعوا يتآمرون عليه ويفكرون فى الغدر به ، والقضاء عليه بحيلة ماكرة .

أهدت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم الى الرسول شاة مشوية فجلس الرسول وأصحابه حولها ليأكلوها ، وتناول عليه الصلاة والسلام ذراع الشاة فلاك منها مضغة فلم يسغها وكان بشر بن البراء معه ، فتناول منها مثل ما تناول الرسول فأساغها وازدردها ، ولكن الرسول لفظها وهو يقول : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » وأمر أصحابه برفع أيديهم عن الطعام ، ثم دعا بزينب فاعترفت بأن الشاة مسمومة . فقال لها : « ما حملك على ذلك ؟ » . فأجابته : بلغت من قومى ما لم يخف عليك . فقلت : ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر ، وقد استبان لى أنك صادق ، وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فعفا عنها الرسول ولم يعاقبها ، مقدرا لها عذرها بعد الذى أصابها فى أبيها وزوجها ، ومات بشر ابن البراء من أكلته التى أكلها بعد ما سرى السم فى جسمه .

اهتمام قريش بأنباء خيبر

كان فتح « خيبر » حدثا عظيما اهتزت له « قريش » ، لأنها لم تكن تتوقع أن تنهزم « خيبر » بهذه السرعة المذهلة ، وهى على ما هى عليه من القوة والمنعة والحصانة ، ولم تكن تظن أن الرسول وأصحابه سيبلغون فى يوم من الأيام هذا المبلغ العجيب من القوة .

لقد كان اليهود من القوة بحيث لا يظن أحد أو يتوقع أن يهزموا فى يوم ما ، كان جيشهم مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، مجهزين بالعتاد والأسلحة ، ومدربين

---

(١) عاهدناهم على أن تكون الأرض لهم يعملون فيها ولنا نصف ثمارها وغلاتها .

على فنون القتال ، ووراءهم حصونهم القوية وآلاتهم الثقيلة ومؤنهم الوفيرة ، على حين كان جيش المسلمين لا يزيد عن الف وستمائة ، وليس معهم سوى السيوف والرماح والقسى والسهام والمجانيق ، وليس وراءهم حصن يحتمون به ، وكانوا على ذلك فى قلة من الطعام وشح من القوت وبعد عن المدد .

ومع كل هذا التباين الظاهر بين الفريقين ، والفارق الملموس فى تكافؤ الفرص وتهيؤ الأسباب ، انتصر المسلمون هذا الانتصار العجيب على اليهود .
ولا ريب أن هذا النصر الكبير قد أدهش قريشا وأذهلها ، وأذهل معها العرب وغير العرب فى شبه الجزيرة العربية ، وملأ القلوب بالرعب من هذه القوة الخارقة التى لا تعوقها حصون ، ولا يحول بينها وبين الوصول الى غاياتها شىء من الأشياء .

لقد كان الرعب الذى قذفه الله فى قلوب اليهود من أهم العوامل فى انتصار المسلمين عليهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرر هذه الحقيقة فيقول : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .
وكان من نتائج فتح « خيبر » القضاء التام على القوة السياسية والاقتصادية والدينية التى كانت لليهود فى أقاليم « الحجاز » ، فأخذت ظلالهم تتقلص شيئا فشيئا حتى انمحت آثارهم تماما .

وكما قضت غزوة « خيبر » على استغلال اليهود ونفوذهم ، قضت على عنفوان « قريش » وكبريائها ، وأوقفتها أمام قوة الاسلام مغلولة اليدين ، لا تدرى ماذا تصنع حيال هذا السيل الجارف الذى لا تستطيع له صدا ، وأيقنت « قريش » وأيقن العرب معها أنه لا حيلة لهم فى مقاومة هذا الدين ، فاستسلموا للأمر الواقع ، ولم يعد هناك من يفكر فى مناوأة الاسلام .

العودة الى المدينة

وعاد الرسول بجيشه الى « المدينة » بعد أن أخضع معظم شمال « الحجاز » ، وعندما لاحت له « المدينة » بنخيلها كانت تنتظره مفاجأة سارة ، فقد وصل الى « المدينة » أثناء غيابه عنها ابن عمه جعفر ابن أبى طالب والمهاجرون الى « الحبشة » ، فاستقبلهم الرسول بسرور بالغ ، وقبل جبهة جعفر وعانقه ثم قال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » وقال لجعفر : « أشبهت خلقى وخلقى » . فاهتز جعفر من فرط سروره ، ولما أصابه من الفرح .

لقد كان لقاء الرسول بالمهاجرين رائعا ، فان آخر مرة رأى فيها الرسول هؤلاء الصحابة الكرام كانت فى أيام « مكة » المظلمة ، يوم كانوا يتسللون فى جماعات للبحث عن مأوى ، وما كان أحد ليفكر فى أنهم قد يرى بعضهم بعضا مرة أخرى .

وقد أشركهم الرسول فى مغانم « خيبر » مع أهل « الحديبية » ، ولم يقسم لأحد غيرهم معهم . لأن الله سبحانه قد جعل « خيبر » مكافأة سخية لمن بايعوا على الموت تحت شجرة الرضوان .
ولم يمض وقت طويل على أولئك العائدين حتى اكتسبوا مافاتهم من علم بالقرآن والسنة ، وانتظموا فى موكب الجهاد مع من سبقوهم باحسان .

التوكل على الله

أعلى درجات السلوك الإيجابي

للأستاذ : أحمد مختار قطب

التوكل على الله ركن بارز من أركان سلوك المسلم .. وقد كان فى الماضى مصدر قوة لا حد لها عند المسلمين ، وكان مجرد الاعتقاد الجازم غير المرتاب فى هذه القاعدة من قواعد السلوك يفجر فيمن يعتقدها كل الطاقات الكامنة ، ويمنحه قدرة تكاد تكون كاملة على التفكير الموضوعى المتجرد ...

كان هذا فى الماضى البعيد بالنسبة للغالبية من المسلمين وفى الماضى القريب بالنسبة لأقلية منهم . أما فى الحاضر فاننا نسمع من يقول ان فكرة التوكل عليه هى السر الكامن وراء تأخر المسلمين وانها الحائل بينهم وبين الادراك الحقيقى لطاقات الانسان ، وهى المرادف للايمان بالغيبيات الداخلة فى معنى الاساطير ، وأن الشخص المتوكل على الله هو الانسان القاعد الهمة البعيد عن التفكير الموضوعى غير المتدبر والمتفهم لاحكام وقوانين الحياة وهو الذى انعدمت عنده كل القوى الحافزة .

أما أن فكرة التوكل على الله لعبت دورا خلاقا ومفجرا للطاقات فى الماضى .. فهذا صحيح بغير شك .. وأما أن الكثيرين يحاولون الان تحميلها معظم مظاهر تخلفنا فليس هناك شك فى ذلك أيضا .. فكيف يتأتى ذلك وكيف يمكن أن تكون الفكرة الواحدة مصدرا للنقيضين ومؤدية للسبيلين المتعارضين .

الاصل أن الفكرة الواحدة تخدم غرضا واحدا فالاتجاه بالذهن للخطو الى الامام لا يمكن أن يؤدى بالانسان الى التقهقر للخلف الا اذا كان هناك خطأ فى الخطوة الى الامام منعها أن

تؤدى وظيفتها ، أو خطأ فى ذهن الانسان حيث حسب أنه يأمر ذهنه بالاتجاه الى الامام فى حين انه أمره بالارتداد الى الخلف أو لم يكن هذا الذهن يفهم معنى لفظ التقدم ، وحسب أن لفظ الارتداد يؤدى هذا المعنى .. وخلاصة الامر أن الخطأ لا بد وأن يكون كامنا فى الطريقة التى فهمنا بها أية فكرة .

فان فهمنا معنى التوكل على الله بأن الله لا يكون وكيلا الا لمن آمن به والتزم بكل احكامه ، كان هذا الفهم منا مؤديا الى نتائج ... وان فهمنا أن معنى التوكل عليه معنى مستقل عن الالتزام بالواجب وانه انتظار للشىء من غير اسبابه وتوقع الامر من غير مقدماته المحدثة له ادى هذا الفهم الى نتائج متعارضة ومتناقضة مع النتائج الاولى .. فحيث نقول ان حقنا فى التوكل على الله لا يتقرر الا اذا اوفينا بما امرنا به تحدث هذه الفكرة فينا ما احدثته فى اوائل المسلمين .. وان اسقطنا واجبنا فى الطاعة وطالبنا بحقنا فى التوكل ادخلنا هذا الفهم فى باب التواكل وتغيرت الصورة تغيرا كاملا وارتددنا الى الخلف ونحن نعجب كيف لا تقودنا خطانا الى الامام .

فالعلة كامنة فى الانسان ابدا .. وكل حق يقابله واجب .. والالتزامان متقابلان .. ونقول ان التوكل على الله حق للانسان الذى يؤدى الواجب الذى قال به من نتوكل عليه وهو الله سبحانه وتعالى لا ما نادت به اهواؤنا ولا ما نادى به من لا يتبعون صراط الله المستقيم .

هذا هو السر فى اختلاف النتيجتين .. بل تناقضهما .

—— . —— . ——

وعلى ذلك فمفتاح المسألة هو فى فهم أن المتوكّل عليه يسعف المتوكّل وشرط هذا الاسعاف هو قيام المتوكّل بكل ما يطلبه منه المتوكّل عليه ليوصله للنتيجة التى وعده بها وهذا هو الذى وصلنا اليه من محاولة تفهم النصوص القرآنية فضلا عما توحى به البديهة من أنه من غير المعقول أن يأمر الله عباده بقاعدة سلوك فيها تخلفهم وهلاكهم والشاهد من الاستقراء التاريخى كما قلنا انها كانت بمثابة التفجير الذرى لكل الطاقات الكامنة فى النفس البشرية ..

ولنقرأ معا الآيات الثلاث الاولى التى جاءت فى سورة الاحزاب لنرى هذا المعنى واضحا كل الوضوح :

« يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »

والخطاب فى هذه الآيات الكريمة موجه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتضمن ثلاثة أوامر يمكن بعد التزامها التوكل عليه .

فهو يؤمر باتقاء الله اى بتجنب كل ما يمكن أن يؤدى الى مخالفة الله وهى درجة سابقة على الوقوع فى الخطأ سدا للذرائع المؤدية اليه .

وهو يؤمر بألا يطيع الكافرين والمنافقين أمرا عاما لا استثناء فيه بحيث يشمل فيما يشمل كل ما جاءوا به من علم انتهى بهم الى الكفر لان ما عند الله من العلم والحكمة هو الحق « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » (الاحزاب آية ٤) ..

ونلاحظ فى هـــذا النهى انه اقتصر على الطاعـــة ولم يشمـــل المعرفة والتقصى والبحث لما فـــى المعرفـــة والعلم من فوائـــد جمة أيا كـــان مصدرها .

وأخيرا فانه يؤمر وقد ترك هذه المصادر من المعرفة بأن يتبع ما يوحى اليه من ربـــه لان هذا الوحى منزل عليه من الخبير العليم الذى يعتبر وحـــده المصدر الحقيقـــى للمعرفة الواجبة الاتباع .

فاذا تم ذلـــك ورفض الرســـول الكريم اتباع كل ما تعج بـــه الدنيا من تقلبات فكرية يأتى بها الكافرون والمنافقون وأمعن فـــى اتقـــاء الله وتجنب كل المزالق التى وان كانت فى مظهرها بريئة ويحسب الانسان انه قـــادر على التحكم فى مسارها الا انها حتما أقوى منه ومؤدية به الى الوقوع فيما يغضب الله .. اذا فعل الرســـول الكريم ذلك فلا خوف عليه ولا يجب أن يساوره أدنى شك فيما نصحه بـــه الله وما أنزل عليه من وحى وليثق كل الثقـــة ان وعد الله حق وليؤمن ايمانا لا يتزعزع ان كل ما أمره الله باجتنابه لن يوصله الى شىء وما عليه الا أن يمتثل لما يقوله ربـــه « وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » .

أما ان حدثت الصورة العكسية وارتاب القلب وخشى أن يقطع قطعا جازمـــا بهذا الرأى ولابسه خـــوف أن تكون أهواء الكافرين والمنافقين وتقلبات أفكارهم وافئدتهم حاوية لما قد ينفع فليس للشخص اذن أن ينتظر نصرا من الله ولن يكون وكيله فيما خالفـــه فيه ولينتظر من سبيل هؤلاء الكافرين أن يؤدى بـــه الى ما هو مقدر لمثلـــه من نتائج سيئـــة مهما حوى فى بعض مراحله من أضواء تصلح للخـــداع ولا تصلح للانـــارة الحقيقية وفـــى ذلـــك تقول الآيـــة الكريمة :

« ولن ترضى عنـــك اليهـــود ولا النصـــارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهـــدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير » . (سورة البقرة آية ١٢٠) .

هذا حديث الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم يبشره فيه بوكالته عنه وهو متبع لطريقـــه ويحذره فيه ايضا من ان اتباع السبل ستكون نتيجته الحتمية أن يوكل المرء لهذه السبل تجرفه حيث قدر لها أن تجرف تابعيهـــا .

والخطاب الموجـــه الى الرسول الكريم موجه بدوره الى كل المؤمنين ومع ذلـــك نجد الكثير مـــن الآيات تخاطب المؤمنين بهذا الذى خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وتقول لهم ان الله تكفل بمن يتبع سبيله وأما الناكصون عن هذا السبيل فهم وما تؤدى بهـــم سبلهم .. من ذلك ما نراه فى سورة ابراهيم من ربط واضح بين سبيـــل الله والتوكـــل عليه .

« ومالنا الا نتوكل على الله وقد هـــدانا سبلنا ولنصبرن علـــى ما آذيتمونـــا وعلـــى الله فليتوكـــل المتوكلون » (سورة ابراهيم آية ١٢)

وتقول الآيـــة ١١٥ مـــن سورة النساء :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لـــه الهدى ويتبـــع غير سبيل

المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وفى ذلك تبصرة كافية بأن من يعزف عن سبيل المؤمنين تتولاه السبل الاخرى بقوانينها .

....

هذه هى القاعدة العامة فى التوكل عمادها الايمان المطلق بكل ما امرنا به مع الثقة الكاملة فى وعد الله بنصر المؤمنين .. ولا شك أن الالتزام بالواجب قد يكون شاقا وتزيد المشقة عندما يكون الملتزمون به أقلية تعيش فى مجتمع تنشأ قيمه من احتياجاته المؤقتة .. وتمعن فى الزيادة عندما يكون الوفاء بالواجب قائما على بذل النفس والتضحية بالحياة فى صورة الاستشهاد عند القتال فى سبيل الله وقد تبدو فى كل هذه الحالات القيم المخالفة للشرع ذات بريق وأقرب الى تحقيق الاغراض العاجلة ، وقليل من الناس من يستطيع التصرف لحساب الآجل لا العاجل ، وكان طبيعيا أن يمر المسلمون بهذه الامتحانات وأن يرق ايمان بعضهم وأن يتزعزع من بعضهم القلب والوجدان ويحسبون أن طرق غير المؤمنين ادعى وأقرب لاستجابة متطلبات الحياة ويقول البعض كما قال القرآن الكريم « هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » كان هذا طبيعيا وكان من الطبيعى أيضا أن يقابله القرآن بالتعليم والارشاد والتوجيه وضرب المثل فاذا تكالب الناس على جمع المال وظنوا أن التحلل من كل قيمة فى جمعه وفى التصرف فيه — هى الطريقة المثلى ينبههم القرآن الى أن الرزق الواسع والضيق أمر مقدر وهو خاضع لآلاف بل ملايين من العناصر التى لا يمكن لنا الاحاطة التامة بها وان علينا التزام الرشاد فى الحصول على الرزق وتنكب هذا السبيل لا يؤدى الا الى بريق لا بد أن يخبو ، وما نسميه حسن الحظ وسوءه فى جمع المال لا يخرج عن كونه ارادة الله فى توزيع الرزق على عباده .. وقد يكون جامع المال سىء الحظ فلن يقدر على شىء منه ولن تغنيه كل وسائل الانحراف والعكس صحيح .. فما دام الامر كذلك فلا مصلحة لنا فى الخروج على أوامر الله ، وضرب الله للناس مثلا لذلك ما كان من شأن قارون الذى أبى أن يستجيب لنداء الله ورفض أن يخضع فى ماله لما أمر الله به من احسان وحسن قصد فى استعمال القدرات المالية وزعم انه هو السبب الاول والاخير فيما وصل اليه من ثروة ولذلك فهو القانون ورغباته هى الدستور الذى يحكم كل تصرفاته وإلهه هواه .. وأصبح هذا الموقف فتنة للكثيرين ممن تمنوا مكانته ... والاعجاب بالقدرة قد يتطور الى تكوين قيم وقواعد سلوك تقليدا للقادر المنتصر فلما ذهب المال وحلت بقارون الكارثة أدرك الذين كانوا مفتونين به أن خطايا قارون لم تكن هى السبب فى ثرائه كما انها لم تستطع أن تحمى هذه الثروة وان هناك ما هو أعلى من الاسباب الظاهرة وهو ما درجنا على تسميته بالحظ وان الذى يجب أن يستقر فى اذهاننا هو التمسك من هذه الاسباب الظاهرة بما أمرنا الله بالتمسك به فهو وحده يملك الظاهر والباطن .

« واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون » . (سورة القصص آية ٨٢) .

ولن نمضى فى ضرب الإمثال وحسبنا أن نضيف الى ما قلناه ما اتصل بالواجب الاشد وهو واجب الاستشهاد فى سبيل الله ان دعت لذلك الاسباب ولقد بدأ هذا الواجب عندما فُرض القتال وهو ما لا تألفه النفس البشرية وتؤثر عليه الدعة ولكن القرآن الكريم وقد فرضه على الناس عندما يكون فى سبيل الله لا لأى غرض من الاغراض التى لا حصر لها لقتال الناس بعضهم بعضا قال لهم ان الاقبال على أداء هذا الواجب هو السبيل لحياتهم وان الامم التى آثرت الدعة تفريطا فيما أمرها الله به انتهت بها الحياة الى المذلة وأدت بها المذلة الى الاسترقاق وهذا أدى الى الفناء والهلاك كان هذا حال بنى اسرائيل عندما قالوا لنبيهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكان ايضا حال غيرهم من الامم ، ثم يعرج القرآن الكريم الى الحجة الفاصلة فيقول للقاعدين انكم تحسبون أن فى قعودكم حماية لكم وانكم اكثر حصافة واصالة فى الرأى ولكن هذا وهم فارغ ، فالموت آت لا ريب فيه والحياة الى أجل ، وفرق أن يأتى هذا الاجل على شرف وبين أن يأتى على مذلة وهوان .

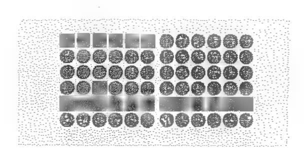
« الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » .
(سورة آل عمران آية ١٦٨) .

« وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .
(سورة التوبة آية ٥٠ و٥١) .

فالحرص والقعود والهرب سبب المذلة لا للنجاة فلكل أجل نهاية لن يؤجل وقوعها اى ترخص أو تحلل أو تفريط واذ تقع هذه النهاية الحتمية لن يتبقى الا الندامة على ما فرط فيه الانسان ليتفادى ما لا يمكن تفاديه .

— . — . —

هذا هو التوكل على الله .. أعلى درجات السلوك الايجابى .. وغاية ما يكلف به المؤمن من صدق وايمان .. فاذا كان يمثل لدى بعض المسلمين غير ذلك فالعلة فيهم لا فى عقيدتهم .. واذا حاول غير المسلمين القول بأن التوكل على الله هو التواكل فهو أما بسبب عدم فهمهم للعقيدة واما بسبب رغبتهم الخبيثة فى تشكيك المسلمين فى قيمهم وقواعد السلوك لديهم ، واذا تشكك الانسان فى قيمه وقواعد سلوكه طرحها وبحث عن غيرها من المعروض فى الاسواق .. والعجيب أن كثيرا من المسلمين يؤمنون بقاعدة السلوك التى ألقيت لهم فى هذه العبارة « أد الواجب ودع ما يكون » ويجهلون أن قاعدة التوكل على الله تشمل هذه القاعدة وتستوعبها فأداء الواجب هو ما قلناه من اداء ما أمر به الله وترك ما يكون بعد ذلك هو التوكل عليه ...



محب الدين الخطيب

أكتب هذا مسرعا الى مجلة (الوعى الاسلامى) الزاهرة لتسجيل صورة خاطفة لشخصية من أبرز أعلام الفكر الاسلامـــى المعـاصر ومصلـح حمل لواء الدعوة الاســلامية منذ أكثر من أربعين عاما عندما أصدر مجلتيه ((الزهراء والفتح)) فكانتـــا امتدادا للمنار الذى كان يصدره السيد محمد رشيد رضا منذ أوائل القــرن العشرين الميلادى ، وكان هذا امتدادا للعروة الوثقى التى أصدرها السيد جمال الدين الأفغانى والامام محمـــد عبده قبـــل الربع الأخير من القرن التاسع عشر فى باريس ، فامتد منذ ذلك الوقت خط الصحافة الاسلامية الذى جاءت (الوعى) لتمثل مـــع الصحف الاســـلامية المعاصرة بعدا جديدا له .

ومن الحق أن السيد محب الدين الخطيب قد حمل فى العـــالم لواء الدعوة الاسلامية منذ وقت بـــاكر ، وكان من أكبر العـــاملين لتأسيس جمعية الشبان المسلمين التى انتشرت فروعها فى العالم الاسلامى كله ، وفى المكتبة السلفية التى أسسها منذ عام ١٩٠٩ (والتى اتصلت بها مطبعة الفتح ١٩٢١ وجريدة الفتح ١٩٢٥) وبين طائفة كريمة من أهل الفضل فى مقدمتهم الشيخ الخضر حسين واحمد تيمور باشا أمكن اقامة هذا البناء الذى ضم فى أول تشكيل له : الدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والدكتـــور يحيى الدرديرى ، وغيرهم .

وكان من وراء هؤلاء جميعا هذا الرجل الصامت المتوارى الذى يكره الدعاية والاعلان ، وحملت جمعيـــة الشبان لواء الدعـــوة الاســلامية ومقاومة حركة التبشير الضخمة التى كانت تجتاح الأمة العربية كما حملت مجلة الفتح لواء الدفاع عن ـــ حرية الأقطار العربية وجاهدت جهاد الأبطال مع حـــركات التحرير فى تونس والجزائر وليبيا ومراكش حتى حظرت

فرنسا دخولها فكانت تغير اسمها وتدخل تحت اسماء أخرى وتهرب فى الازواد التى تحملها قوافل الجمال الضاربة فى الصحراء ، ومن خلال هاتين المؤسستين عمل السيد محب الدين الخطيب فى حماسة وايمان وبعد عن الشهرة والأضواء حتى ليمكن القول بأن أبرز كتاب الأمة العربية اليوم من المتخصصين فى الدراسات الاسلامية قد بدأوا خطواتهم الأولى فى الفتح.

وقد صور هدفه من انشاء مجلة (الفتح) التى عاشت بضعة وعشرين عاما (١٩٢٦ – ١٩٤٨) بفضل صموده وقوة ارادته الغلابة فى مواجهة الصحافة ذات الموارد الضخمة : يقول :

((ان الفكرة التى تمثلها الفتح فكرة عظيمة فى ذاتها ، وهى وليدة الاسلام فليس لنا ولا لغيرنا فضل فى ايجادها وتكوينها ، وانما الفضل كل الفضل هو فى الاكثار من العاملين لها والعارفين بمزاياها والمجاهدين فى سبيلها ..)) .

وقد سجل مبادىء الفتح على صفحتها الاولى على هذا النحو الذى يمثل فى ايجاز شديد فلسفته ومفاهيمه ويدل على مزاجه النفسى (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، الفتح لأهل القبلة جميعا ، العالم الاسلامى وطن واحد ، المسلمون الى خير ولكن الضعف فى القيادة ، انت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا تؤتين من قبلك ، اعمل ليراك الله وحده ، وتوار عن انظار الناس ، الفتح رسالة الاقطار الاسلامية بعضها الى بعض)) .

وهو يكشف عن رسالة القلم عنده فى عمق عجيب ، وتبدو كلماته اليوم وبعد وفاته أشد اثارة وأبعد مدى فى تصوير ايمانه واخلاصه واعتداده بذاته وهو الذى لا حول له ولا قوة من نفوذ أو منصب : (انا فى نفسى كثير العيوب وأنى كأمثالى من البشر محل العجز والنقص ، ولكنى ساعة أمسك القلم لاكتب ما اكتبه للفتح لا أجد أمام عينى اللتين سيأكلهما الدود الا ذلك الميزان الذى أزن به الأحداث والآراء ولا أقيسها الا بمقاييس الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون غير ملاحظ شيئا غير مصلحة المسلمين العامة وافقت أهواء الناس ومصالحهم أو خالفتها ، وأفقت مصلحتى ومنفعة الفتح المادية أو خالفتهما) .

(أنا فى نفسى صغير فقير ، قليل النصير ، ولكنى ساعة أدفع السوء عن حقائق الاسلام أو ابتغى المصلحة لعامة المسلمين لا أشعر بأن فى هذه

الارض قوة للباطل أخشاها على الحق الذى أنطق بلسانه لأن اللسان الذى انطق به هو لسان الاسلام القوى ، وليس لسان الانسان الضعيف) .

وبين آن وآخر ، وعلى مر السنوات يؤكد موقفه ويعاود قطع العهود على الحق الذى يتبعه :
((قطعت على نفسى عهدا بينى وبين ربى ، وأهتف به الآن على مسمع من الموافق والمخالف بأنى ما أدخرت ولا أدخر وسعا فى العمل من جهتى على المضى فى هذا السبيل ما حييت ، وعهد آخر قطعته على نفسى ، وبينى وبين ربى ، اهتف به ((بأنى ما وزنت ولا أزن احداث البشر وآراءهم الا بميزان الاسلام ، كما فهمه الصحابة والتابعون ، ولا حكمت ولا أحكم على تلك الأحداث والآراء الا بما تقتضيه وحدة المسلمين ومصلحتهم العامة المجردة من الأغراض والأهواء)) .

تلك انطلاقة هذه الشخصية التى عملت فى صمت وجد وقوة فى مجال الدعوة الاسلامية منذ عام ١٩٠٩ حتى نهاية عام ١٩٦٩ ، حيث توفى يوم ٣٠ ديسمبر وهو يراجع تجارب المجلد الثالث عشر فوق سريره بالمستشفى الذى دخله لفترة قصيرة — من كتابه الضخم (فتح البارى فى تحقيق صحيح البخارى) والذى عكف عليه منذ عشر سنوات كاملة بعد أن ترك رئاسة تحرير مجلة الأزهر التى وليها خمس سنوات كاملة والتى قدم فيها عصارة كاملة للفكر الاسلامى من خلال أكثر من (٦٠) بحثا تمثل افتتاحيات هذه المجلة العالمية شهريا .

ومن خلال عديد من كتاباته فى مجلة (الفتح) استطعت أن أحصل على صورة واضحة لمطالع حياته ومفتاح شخصيته كتبها بقلمه خلال فترات متباعدة وهى تتشكل فى تنسيقها اليوم (صورة حياة) خصبة عريقة فى مجالها الذى اختارته وصمدت فيه صمودا مليئا بالايمان واليقين فى حياة امتدت ٨٦ عاما هجريا = (١٣٠٣ — ١٣٨٩ هـ) — (١٨٨٥ — ١٩٦٩ م) .

((كان ابى أمين دار الكتب الظاهرية ومات أبى وأنا ابن اثنتى عشرة سنة فأخذ الشيخ طاهر الجزائرى بيدى ووجهنى الى الاسلام الحق ، وأوجدنى فى البيئة التى أشرفت منها على حقائق المجتمع ، وكانت له حلقة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع وتضم (جمال الدين القاسمى ، عبد الرزاق البيطار ، سليم النجارى ، رفيق العظم ، محمد كرد على ، سليم الجزائرى ، شكرى العسلى ، عبد الوهاب المسلمى ، عبد الحميد

الزهراوى ، عبد الرحمن شهبندر ، فارس الخورى) وأكثر ما كانوا يجتمعون فى الدار الكبرى التى كان يملكها رفيق العظم فى حى مئذنة الشحم بدمشق ، وكان مجلس هذه الحلقة يستعرض كل ما يهم المفكرين استعراضه عن الحركة العلمية والفكرية والسياسية من خلال أسبوع وكان الشيخ طاهر يسدد اتجاهاتهم ويوقظهم لما خفى عليهم من أسباب الاصابة فى الرأى)) .

ويقول أنه تأثر بكتابين هامين : كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبى وكتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية لمحمد عبده .

ويتحدث عن شيخه وأستاذه ، أما شيخه فهو (طاهر الجزائرى) : ((هو الذى ربى عقلى وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ فى دار الشام الا وكانت له صلة بهذا المربى الأعظم واستفادت من عقله وسعة فضله وهو على الجملة نواة الخير الأولى ، وأهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وأنا وكل ما نشرته لسنا الا قطرة فى بحر الخير الذى كان يتدفق من هذا العالم الذى كانت الدنيا لا تساوى عنده جناح بعوضة)) .

أما استاذه فى الصحافة فهو (على يوسف) يقول : ((التحقت بتحرير (المؤيد) (سبتمبر ١٩٠٩) وقد وجدت منه عطفا وتشجيعا ، وبقيت أعمل فى تلك الصحافة الاسلامية التى كانوا يسمونها (تيمس مصر) الى ما بعد وفاة صاحبها ، وقد استفدت من أساليبه الصحفية ومن خطته الاسلامية ما أنا مدين له به ما دمت حيا ، وفيها صاحبت المنفلوطى وتعرفت بحافظ ابراهيم ، واتصلت يومئذ من طريق (المؤيد) بكل ذى مكانة سامية من رجالات مصر وعظمائها فكان ذلك عونا لى على أدراك حقائق الحياة)) .

أما مجلة (الفتح) فيقول ((ان سبب وجودها هو (أحمد تيمور) وأنه لولا (تيمور) باشا لما وجد الفتح وأقول مقتنعا أنه لولا وجود الفتح لما وجدت هذه الصحف الاسلامية بعده ، وعندما صحت العزيمة على اصدار الفتح لم يكن فى مصر صحيفة اسلامية غير مجلة (المنار) ، وكانت منتشرة فى دائرة ضيقة لانها شهرية ولانها ذات ابواب محددة لا تتسع لاكثر ما يكتبه منشئها رحمه الله .

وعن طريق الفتح بدأت دراسات اسلامية استكملت من بعد وأصبحت مؤلفات هامة ، وتصححت حقائق كثيرة وأزيلت شبهات وعرضت (الفتح) لكل التحديات التى واجهت الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية ودحضت كل كذبة مضللة ، وواجهت دعاة التغريب وحطمت مخططاتهم ، وكان من أكبر أعمالها تحريض الشاعر أحمد محرم على كتابه الالياذة الاسلامية .

وقد بلغ من أمر الفتح ان ذكر كثير من المراقبين((ان دار المطبعة السلفية كانت نبع القلوب الصادية تردها من

الشباب فئة قليلة الصبر على ضيم ينزل بالأمة العربية من ظلم الاستعمار)) .

وقد صور الدكتور زكي على : جهاد السيد محب الدين الخطيب في مجال الدعوة الاسلامية فقال ((انه أعلم المصريين بسير الدعوة الاسلامية وأحوال العالم الاسلامي ، وهو أول من لخص في سطور توج بها صحيفته برنامج اتحاد اسلامي على الوضع الأمثل واثبت في طليعتها ، أن العالم الاسلامي وطن واحد ، وهو يعتقد أن النيل وبردى والأردن ودجلة والسند تجرى في وطن واحد ، وان المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أخوة تظلهم فكرة واحدة وان اختلفت السنتهم وألوانهم وأقطارهم ثم يمتاز محب الدين الخطيب بأنه ما حاد يوما عن الطريق الذى رسمه لنفسه منذ حمل لواء الجهاد والنضال والذود عن كرامة الاسلام ومصالح المسلمين في كل بقعة من بقاع الارض ، فهو لم يجعل صحيفته سلعة ولم يتخذ من قلمه صناعة ، وهو اذا قال أو كتب فهو أقدر الناس على تصوير نفسية المسلم الحقيقى)) .

هذا ما قاله الدكتور زكى على عام ١٩٤٠ أى منذ ثلاثين عاما وقد أكدت الأحداث حياة السيد محب الدين الخطيب حتى لقى ربه صدق هذا الايمان وعمق هذا الاباء ، وبعد هذا المصلح عن المطامع الخاصة والشهرة والأضواء حتى انه كان يحذف من القصائد أو المقالات ما يعرض له الكتاب خاصا بتقديره ، ويقول عن قصيدة للدكتور زكى أبو شادى : ((لشد ما كانت دهشته عندما رأى القصيدة بعد نشرها مطويا منها أبيات يتمنى الكثيرون ممن طارت شهرتهم فى الآفاق أن تكون قيلت فيهم وان يبذلوا فى سبيل ذلك أعز المعطيات))

وقد خلف السيد محب الدين الخطيب تراثا ضخما من الأبحاث والدراسات يمكن أن يشكل اذا عرض ونسق أيدلوجيا كاملا للفكر الاسلامى الحديث فى مواجهة الحضارة والتغريب والتطور ، وقد كان أسلوبه رقيقا طيعا ، فقد اتاحت له دراسته للفرنسية والتركية الى جوار تعمقه فى اللغة العربية والادب العربى قدرة فائقة على الاداء والبيان فضلا عن قوة عارضته فى دحض الشبهات وكشف عظمة الاسلام والدفاع عنه بأسلوب هادىء بعيد عن الحدة أو الهجاء أو الارتطام ، فقد كانت غايته أن يكشف الحقائق دون أن يجرح الكاتبين ، وان يرد عادية الخصوم دون أن يشتبك معهم على النحو الذى يخرجه عن دائرة النضال .

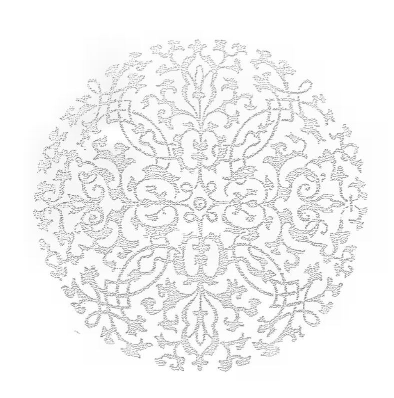
ولقد عرفت السيد محب الدين الخطيب منذ أواخر الحرب العالمية الثانية ، وجلست اليه طويلا ، ورأيت سماحته واشراق طلعته وهيبته وعناده فى الحق ، لا يتراجع عما يعتقده الحق ، الى ايمانه وايجابيته وبعده عن الضوء ، ولقد تابعت مع الايام لقاءه وكنت أعجب فى السنوات الأخيرة من صبره الدائب فى تحقيق البخارى وربط أحاديثه ومراجعته مع كتب الصحاح وتحقيق أعلامه وكتابه وتراجمهم ، وما زلت أرى أعجابه بمقامه فى الروضة وفى شارع الفتح المسمى باسم صحيفته ، قريبا من أول خطا ((عمرو بن العاص)) فى مصر القديمة وعلى

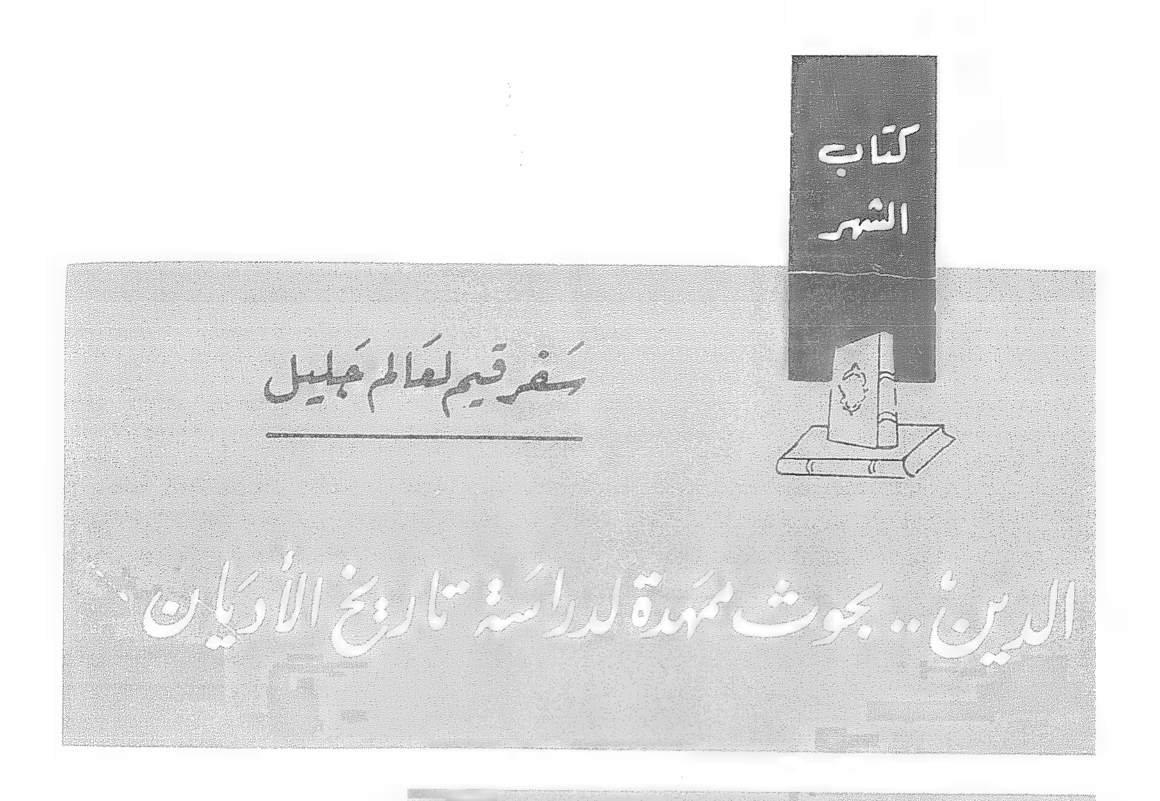
مرمى البصر من ساعات التاريخ الاسلامى الأول .

ولعل السيد محب الدين الخطيب هو أول مفكر عربى صاغ فلسفة العروبة والاسلام متصلة ملتقية ، ويشاركه فى هذا شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويش ولكنه يفوقهما تقييما لفلسفة العروبة والاسلام فى ابحاث علمية ، ولعل ابرز ملامح حياته الفكرية ذلك الايمان الخالص بالاسلام نقيا صافيا معارضا فى كل ذلك كل دعوة تحمل اسم الاسلام ولا تؤمن به ، ولقد كان للسيد محب الدين الخطيب موالاته والمامه بكل ما طبع ونشر من التراث العربى الاسلامى ومن كتب السيرة والفقه والتاريخ ، فى عديد من طبعاتها وما يتصل بها من نقص وزيادة ، وما يتصل بالفرق الاسلامية من آراء ومذاهب وانحرافات ، وهو جرىء فى الحق يقول كلمته فى صراحة لا تعرف المجاملة .

وأبرز ما خلف السيد محب الدين الخطيب مكتبته التى بلغت حتى اليوم مائتى ألف مجلد ، والتى جمعها فى خلال ستين عاما وما تزال بعد أكبر المكتبات الخاصة فى العالم العربى ، فقد سابقت مكتبة أحمد تيمور التى بلغت (١٢٠ ألفا) وأحمد زكى التى بلغت (١٧٠ ألفا) وتضم مكتبة الخطيب ، أضابير وجذاذات وأوراقا ورسائل ومذكرات حافلة بالآراء والأخبار التى يمكن اذا نشرت أن تضيف كثيرا وتحقق كثيرا من وقائع التاريخ والاحداث فى الخمسين عاما الماضية من تاريخ الامة العربية ومن بين هذه الأضابير رسائل جرت بينه وبين الأمير شكيب ارسلان قيل أنها بلغت ألف رسالة ولعل الابن البار لأبيه الأستاذ قصى القائم على دار الفتح والمكتبة السلفية يعمل مع محبى والده على أبراز هذه الآثار وتحقيقها .

ولعل خير ما نختم به هذه الكلمة عبارة المترجم له التى كان يرددها كثيرا : ان رياح النصر فى الجهاد لا تهب الا على رجال يريدون وجه الله فى كل ما يعملون عرف لهم ذلك أم جهلوه ، اعترفوا لهم به أو أنكروه وآفة جهادنا أعجاب المرء بنفسه وانتباه شهوة الظهور فى بعض أهل الفضل فينقلب كل خير الى شر وبذلك تخمد جذوة الجهاد ويتساءل الناس لواذا من قادته ودعاته .





للمغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز

عرض وتلخيص للأستاذ : حمدى متولى مصطفى صالح

. . . .

صدرت عن القاهرة (مطبعة السعادة) منذ شهور الطبعة الثانية من كتاب المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز (1) « الدين .. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان » وقد نشر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٣٧١ هـ الموافقة ١٩٥٢ م .

ويقع الكتاب فى مائتى صفحة من القطع المتوسط تتضمن مقدمة وأربعة بحوث .

فى المقدمة نقرأ عرضا سريعا لتاريخ الأديان فيقول د. دراز انه رغم حداثة كلمة (تاريخ الأديان) فان العقائد البشرية قديمة قدم البشرية ذاتها :

---

(1) د. محمد عبد الله دراز (١٨٩٤ — ١٩٥٨) ولد بمحلة دياى (دسوق) من قرى (ج. ع. م) تعلم بالأزهر ومعاهده حصل على الدكتوراه من السربون سنة ١٩٤٨ وقام بالتدريس بالأزهر والجامعات المصرية حصل على عضوية جماعة كبار العلماء (١٩٤٩) ومثل مصر فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى لاهور من ٥٧/١٢/٢٩ الى ٥٨/١/٨ وتوفى وهو يستعد لالقاء بحثه فى المؤتمر عن علاقة الاسلام بالديانات الأخرى وموقفه منها .

ففى العصر الفرعونى :

كان للمصريين دياناتهم التى كانت تتصف فى الأعم الأغلب بالتسامح ، ومحاولة التوفيق بين كافة المقدسات والمعبودات بافتراض أنها تنتمى الى أسرة واحدة .

وفى العصر الاغريقى :

تتلمذ الفلاسفة على الحضارة المصرية ، وقدموا دراسات وصفية للاديان المعروفة وقتئذ ، اتسمت فى الغالب بالطابعين الأسطورى والتمثيلى ، كما ظهرت مذاهب فلسفية تراوحت بين الشك واليقين ، منها السوفطائية واللا أدرية والابتيورية والرواقية الى جانب الفلسفة التحقيقية الايجابية التى تعترف بوجود حقيقة ثابتة للاشياء وبأمكان العلم بها ، ومن أعلامها سقراط وأفلاطون وأرسطو .

وفى العصر الرومانى :

انتقلت مذاهب الاغريق الى الأمة الرومانية بفضل الفتوح ، وان كان انتقالها شكليا محرفا يتسم بالتردد والتلفيق واللامبالاة أكثر مما يتسم بالتسامح الدينى .

وفى العصر المسيحى :

أعلنت المسيحية دينا رسميا للدولة بفضل الامبراطور قسطنطين (٣٢٥ م) ، وعرفت مدافعين عنها ضد النحل الجديدة المنافسة لها على رأسهم القديس (أوغسطين) .

وجاء الاسلام فأيقظ غرب أوروبا من عزلته الأدبية اذ لم ينتبه الغربيون لكنوز الحضارتين اليونانية والرومانية الا وهى فى أيدى العرب المسلمين — ففلسفة أرسطو مثلا لم يسمع بها الغرب الا على لسان ابن رشد واتباعه — وتميز أثر المسلمين فى علم الاديان بطابعين مبتكرين .

١ — صار علم الأديان علما مستقلا عن العلوم والمعارف الأخرى .

٢ — قام على دراسات وصفية واقعية لكافة الاديان والعقائد ، معتمدة على مصادرها الأولى الموثوق بها ، وقدم العرب المسلمون كثيرا من المؤلفات فى علم الأديان ، منها الملل والنحل للشهرستانى ، والفصل فى الملل والنحل لا بن حزم وغيرهما .

وببداية عصر النهضة اتجهت ، أوروبا الى التنقيب عن الآثار الاسطورية ، وتفسير ما ترمز اليه من عقائد ، ثم ظهرت حركة الاصلاح المسيحى (البروتستنتية) ، واهتمت بفهم نصوص الكتاب المقدس والتمسك بحرفيته ... وفى أواخر القرن الثامن عشر صار (علم الأديان) ذا شعبتين .

١ — شعبة قديمة مجددة

تقوم على وصف وتحليل كل ملة مع تجديدها ، بتوسيع مادة البحث ليشمل العالم أجمع بدلا من حوض البحرين الأبيض والأحمر ، وكذلك الاستفادة بما تقدمه العلوم والمعارف الأخرى من وسائل البحث .

٢ ــ شعبة جديدة مبتكرة :

وهى ضرب من الدراسات النظرية والاستنباطات الكلية التى تهدف الى اشباع نهم العقل فى التطلع الى أصول الأشياء ومبادئها العامة ، حين تتشعب عليه جزئياتها وتفصيلاتها .

.. ..

وفى المبحث الأول : يقدم المؤلف تحديدا لمعنى الدين اللغوى ، فيؤكد أصالة مادة (الدين) فى اللغة العربية ، بخلاف ما ظنه بعض المستشرقين من أنها دخيلة معربة عن العبرية أو الفارسية ، ويضيف أن كلمة الدين عند العرب تشير الى علاقة بين طرفين ، يعظم أحدهما الآخر ، ويخضع له ، فاذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا ــ واذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمــرا وسلطانا وحكما والزاما ، واذا نظر بها الى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذى يعبر عنها .

أما المعنى العرفى للدين فيعبر عنه علماء المســـــلمين بأنه (وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات ، والى الخير فى السلوك والمعاملات) .

أما الغربيون فيعبرون عنه تعبيرات كثيرة تتراوح بين تضييق دائرة الدين كتعريف (ماكس ميلر) الدين بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، وبين ابعاد فكرة الألوهية من التعريف كقول (اميل دور كايم) الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والاعمال المتعلقة بالاشياء المقدسة أى المعزولة المحرمة ــ اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة ــ ويستنكر د. دراز ما ذهب اليه (دور كايم) ، ويؤكد مع (أرنست شلايرماخر) بأن حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة والخضوع لها خضوعا كليا .

غير أن ثمة فروقا بين الخضوع الدينى واللادينى يتمثل فى صفات الشىء الذى يقدسه المتدين ويخضع له وطبيعة هذا الخضوع ذاته :

(فالقوة التى يقدسها المتدين ليست فكرة مجردة وصورة عقلية خالصة ، بل هى حقيقة خارجية .. وليست مادة يقع عليها الحس بل هى سر غيبى لا تدركه الأبصار .. وهى تتصرف بالارادة لا بالضرورة كالمغناطيس والكهرباء ــ ولها عناية مستمرة بشئون العالم تدبره ، ولها تجاوب نفســى مع نفوسه وهى قوة علوية سبحانية قاهرة غير مقهورة) .

وهذا ما يفرق بينها وبين كل من القوى المادية التى يخضع لها العالم ــ والقوى السرية التى يدعوها الساحر أو الكاهن ويحاول تسخيرها .

وفيما يتعلق بطبيعة الخضوع الدينى ، فان خضوع المتدين شعورى اختيارى مملوء بالأمل فى ذات المعبود وقدراته ــ وليس خضوعا آليا لا شعوريا قسريا يدفع لليأس والاستسلام ، أو الركون الى الأمن الغافل ، الذى تبعثه العادة الجارية ، شأن الخضوع للقوانين والظواهر الطبيعية .

وخلاصة القول فى معنى الدين أنه من حيث هو حالة نفســـية بمعنى التدين هو (الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شـــعور واختيار ــ ولها تصرف وتدبير للشـــئون التى تعنى الانسان اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة وفى خضـــوع وتمجيد) .

ومن حيث هو حقيقة خارجية موضوعية هو (جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلــك القوة الالهية ، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها) .

وفى المبحث الثانى : يعرض المؤلف لعلاقة الدين بأنواع الثقافة والتهذيب من أخلاق وفلسفــة وغيرهما .

١ ــ الدين والاخلاق من الناحية التجريدية .. يمكن القول أنه لما كان الدين هو معرفـــة (الحق) الأعلى وتوقيره ، ولما كان (الخلق) هو قوة النزوع الى فعل الخير ، وضبط النفس عن الهوى فان الدين والخلق حقيقتان مستقلتان ، يمكن تصور احداهما بدون الأخرى ، فتختص أولاهما بالفضيلة

النظرية ، والأخرى بالفضيلة العملية ، ولكنهما يلتقيان فى نهايتهما ، لأن الدين لا يقرر الألوهيـــة فقط ، بل هو مصدر حكم وتشريع أيضا ، لأن القانون الاخلاقى الكامل هو الذى يرسم طريق المعاملة الالهية والانسانية معا .

ومن الوجهة الواقعية :

فاننا نرى أن الشعور الأخلاقى أقدم وأرسخ فى نفس الطفل من الشعور الدينى ، ولا يشعر الطفل بحاجة الى تعليل ظواهر الكون ، وتقديس سر الوجود الا فى دور متقدم ، وفى المجتمعـــات المختلفة تمتزج الاخلاق بالدين ، أو ينفصلان على درجات متفاوتة .

أما من الناحية اللغوية :

(فانه يلوح لنا أن هاتين الكلمتين ـــ الدين والخلق لا تزالان تخضعان فى استعمالنا للقاعدة المعروفة فى الكلمات العربية التى من أسرة واحدة مثل (الرأفة والرحمة) ، (والبر والتقوى) ، (الايمان والاسلام) وغير ذلك ـــ وهى أن هذه الكلمات التوائم كلما اجتمعت فى العبارة افترقت فى المعنى ، وكلما افترقت فى العبارة اجتمعت أو مالت الى الاجتماع فى المعنى بقدر الامكان) فـــاذا قلنا (فلان ذو دين وخلق) قصدنا بالدين الجانب الالهى ، وبالخلق الجانب الانسانى ـــ أما اذا قلنا (فلان ذو دين) أو (فلان ذو خلق) كان المعنى غالبـــــا أنه يقوم بالفروض الالهية ـــ كما يقوم بالواجبات الانسانية بالتبعية .

الدين والفلسفة :

يتفق الدين والفلسفة فى موضوع البحث فكلاهما مطلبه معرفة أصل الوجود وغايته ، ومعرفة سبيل السعادة الانسانية فى العاجل والآجل ـــ ولكنهما رغم ذلك قد يتفقان أو يختلفان فى النتائج بأقدار مختلفة فهناك الفلسفات المادية التى لا تعترف بشىء فى الوجود وراء الحس والمشاهدة ، مخالفة بذلك جميع الأديان وسائر الفلسفات ـــ وهناك فلسفات روحية رغم اقرارها للالوهية فان بعضها قد تنكر قيام الاله ببدء الخلق من العدم ، قائلة بأنه قام بتنسيقها كصانع ماهر ، بعد أن وجدها أمامه ، كما يقول الافلاطونيون ، وبعضها الآخر قد ينكر عنصر الربوبية أى عناية الالـــــه المستمرة بشئون خلقه مشبها اياه بالبناء الذى تنقطع صلته بالبيت بعد اتمام بنائه ، كما يقول أبيقور ، وعليه فليس ثم ما يبرر أن يرجو الناس خيرها أو يخشوا غضبها .

وحتى الفلسفات التى تلتقى مع الديانات فى الموضوع وفى الأصول العامة لا تزال تقوم بينها فروق كثيرة .

١ ـــ فالفارابى :

يقول نقلا عن قدماء اليونان ان الفلسفة تعتمد فى اثباتها على البراهين اليقينية ، أما الأديان فأسلوبها اقناعى وتمثيلى ....

وهذه التفرقة لا تنطبق على كل الأديان ، ولا على جميع الفلسفات ، فالاســـلام يعتمـــد على الوسائل الثلاث ((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)) كما

أن التعارض بين الفلسفات دليل واضح على أنه ليس كل واحد منها يمثل الحقيقة المطلقة ، أو يقول فيها الكلمة الأخيرة .

٢ ــ وابن سينا :

يشير الى أن الاديان تولى الناحية العملية عناية أشد من النظرية ، وهذا وان كان منطقيا بوضوح فى الاسلام ، فليس ذلك شأن باقى الديانات والفلسفات .

أما علماء الغرب فيرون الفرق بين الدين والفلسفة من الوجوه الآتية :

١ ــ مشكلات الفلسفة يحلها الأفذاذ المستنيرون ، ومسائل الدين تحلها الجماهير ــ ولذلك كانت نشأة الأديان وتاريخ واضعيها غامضة .

٢ ــ الدين يورث عن السلف ، أما الفلسفة فمصدرها عقل الفيلسوف .

٣ ــ الدين يميل للثبات وعدم التطور ، والفلسفة متجددة .

٤ ــ الدين يحتل مكان الصدارة بحكم شيوعه وأسبقيته الزمنية .

٥ ــ الدين بعكس الفلسفة فى حاجة الى التجسيد والمظاهر الاجتماعية والطقوس .

٦ ــ الدين يعيش بسلطان ونفوذ الدولة ، والفلسفة لا تعيش الا فى جو الحرية .

ويفند د. دراز هذه الدعاوى بردوده الآتية :

١ ــ هذه الفروق لا تصور الديانة والفلسفة فى جميع أدوارهما ، وانما فى حالتهما الحاضرة فقط ، وفى أوروبا المسيحية بالتخصيص مما يجعل المقارنة غير صائبة .

٢ ــ الديانات أيضا تعرف الأفذاذ فضلا عن أن وضوح تاريخ الاسلام يؤكد أن القول بغموض تاريخ مؤسسى الديانات ليس قاعدة عامة .

٣ ــ الفلسفة والعلوم أيضا ــ وليس فقط الدين ــ يميلان الى الثبات الذى وصل الى الركود فى أحيان كثيرة .

٤ ــ الأديان العامة فقط ينطبق عليها حديث المظاهر الاجتماعية فى الشعائر ، بعكس الأديان الفردية التى لا يتخذ أصحابها شعارا خاصا ، مثلما كان الحنفاء يفعلون قبل الاسلام ، فضلا عن أن بعض الفلسفات مثل مذهب (أوجست كونت) له نظمه وشعائره المماثلة .

٥ ــ الأديان دائما على الأقل فى أول عهدها ، تقوم بالرفق والتسامح ، وتؤكد حرية الضمير ، ومن المشاهد أن كل الأمم فى كل العصور كانت تضم ديانات وعقائد شتى ، والذى يميز الأديان ، ولا تطمح الفلسفة اليه هو ما لها على نفوس أتباعها من سلطان ، يقوم على الايمان الذى يمثل غاية الدين ، وليس فقط على المعرفة التى هى غاية الفلسفة .

((الفلسفة تعمل اذا فى جانب من جوانب النفس ــ والدين يستحوذ عليها فى جملتها ــ الفلسفة ملاحظة وتحليل وتركيب ، فهى صناعة تقطع أوصال الحقيقة وتزهق روحها ، ثم تؤلف بينها لتعرضها من جديد فى نسق صناعى على مرآة الفطنة ، فتنطبع على سطح النفس قشرة يابسة ــ أما الدين فهو حداء ونشيد يحمل الحقيقة جملة ، فيعبر بها هذه القشرة السطحية ، لينفذ منها الى أعماق القلوب وأغوارها ، فتعطيها النفس كليتها وتملكها زمامها) .

فالفرق الدقيق بين الدين والفلسفة وهو أن غاية الفلسفة نظرية حتى فى قسمها العملى ، وغاية الدين عملية حتى فى جانبه العلمى ــ وأول مظاهر ذلك الفرق أن الدين ليس ايمانا ومعرفة فحسب بل هو فوق ذلك وهو ما تفتقده الفلسفة تماما ــ التفات روحى متبادل بين المتدين وما يؤمن به ، وثانى هذه المظاهر هو ميل الفكرة الدينية ــ بعكس الفلسفة أيضا ــ الى التدفق فى الميدان الاجتماعى .

فاذا انتقلنا الى المقارنة بين الفلسفة وبين الاديان السماويـــة رأينا أن (الفلسفـة فى كل صورها عمل انسانى يتحكم فيه كل ما فى طبيعة الانسان من قيود وحدود ، وتدرج بطىء فى الوصول الى المجهول ، وقابلية للتغير والتحول ، وتقلب بين الهدى والضلال ، واقتراب أو ابتعاد عـــن درجة الكمال) .

((أما الأديان السماوية فانها (صفة الهية) لها كل ما للالهيات من ثبات الحق الذى لا تبديل لكلماته ، وصرامة الصدق الذى لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هى فوق ذلـــك (منحة كريمة) تصل الى حامليها وسفرائها عفوا بلا كدح ولا نصب — وتغمرهم بنورها فى فترات خاطفة كلمح البصر أو هو أقرب .)

((فاذا انفردت الفلسفة فى حكم لم يؤمن عليها العثار ، واذا التقى العقل والوحى على أمر فقد اتصلت مشاعر الليل بضوء النهار ((نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء)) .

الدين وسائر العلوم :

كل العلوم تبحث عن الكائنات ، وليس شىء منها يبحث عن مبدئها الأول وغايتها القصوى ، كما يبحث الدين — غير أنها كلها تستطيع أن تزجى لهذا المطلب خدمة ما من قريب أو بعيد ، ولن يستغنى الدين عن العلوم الا لو استغنت المقاصد عن وسائلها ومقدماتها — وليس ثم تعارض أو تناقض حقيقى بين الدين والعلوم — فليس يعقل أن يقوم ذلك بين أمرين لا اشتراك بينهما فى موضوع واحـــد .

. . . .

ويخصص المؤلف البحث الثالث للحديث عن نزعة التدين ومدى اصالتها فى الفطرة فيقول :

ان المفكرين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ادعوا أن الديانات والقوانين ما هى الا منظمـــات مستحدثة أخذ عنها الكهنة الماكرون فصدقهم الحمقى والسخفاء غير أن الرحلات التى اكتشفت العقائد والاساطير المختلفة أثبتت أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل منها أمة قديمة أو حديثة ، همجية أو متقدمة ، وأثبتت كما يقول برجسون انه (وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنـــون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة) .

وفى مجال بحث ((مصير الديانات أمام التقدم العلمى)) يرد المؤلف على نظرية (أوجســت كونت) القائلة بأن العقلية الانسانية مرت بأدوار ثلاثة هى الفلسفة الدينية ثم التجريدية ثم الواقعية وأن الأديان وان كانت عريقة فى القدم الا أنها قد شاخت ومصيرها الى الفناء — فيقول د. دراز : ان هذه المراحل الثلاث توجد متعاصرة ومتجاورة ومتكاملة فى كل شعب بل فى نفسية كل فرد — وأنها لا تمثل مراحل منتهية ، وانما قد تمثل سلسلة دورية تعود الى الظهور متتابعة كلما انتهت دورتها ، وأن الترتيب الصحيح للحاجات النفسية على العكس تماما مما تخيله الفيلسوف ، وهو حاجة الحس أولا ثم حاجة العقل القانع فحاجة العقل المتسامى .

ويضيف د. دراز ان اتساع نطاق المعلومات كان بنفسه اتساعا لنطاق المجهولات ، فلا يسع العقل الا التسليم بوجود حقيقة كبرى واله أزلى باق ((وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) وأى شهادة على أن نهاية العلم البشرى ليست هى اطفاء غريزة التدين بل زيادة اشعالها من أن (كونت) نفسه الذى كان يتنبأ بفناء الديانات نتيجة لتقدم العلوم قد عاد فى آخر أمره متصوفا عجيبا ، وواضع ديانة جديدة على النظام الكاثوليكى .

(ان هذا الشوق الغريزى الى الأزلى الأبدى — وهذا الطلب الحثيث للكلى اللانهائى لـــه دلالتان عميقتان ، احداهما دلالة على مطلوبه لا كدلالة الحركة القسرية على مصدر جاذبيتها كما يقول أرسطو بل كدلالة الأثر على صانعه أو الخاتم على طابعه (حسب تعبير ديكارت) ، وثانيتهما دلالة

على أن فى الانسان عنصرا نبيلا سماويا خلق للبقاء والخلود ، وان تناساه الانسان وتلهى عنه حينا قانعا بالدون من الحياة الجثمانية المنحطة .)

فالانسان كما صح أن يعرف بأنه حيوان مفكر ، أو مدنى بطبعه ، يسوغ لنا كذلك أن نعرفـه بأنه حيوان متدين بفطرته .

ونستطيع أن نلخص وظيفة الأديان فى المجتمع كما فصلها المؤلف فيما يلى :

١ ــ الفكرة الدينية هى الغذاء الوافى لقوى النفس المختلفة والمداد الخالد لحيويتها .

٢ ــ ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها فى كفالة احترام القانـــون ، وضمان تماسك المجتمع واستقراره .

٣ ــ الأديان تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة .

أما البحث الرابع فيفرده المؤلف لمناقشة (نشأة العقيدة الالهية) فيقول : ان ظاهرة التدين تستند فى أصلها الى قانونين بديهيين أولهما أن كل شىء ممكن لا يحدث بنفسه من غير شىء ، وهذا هو قانون السببية ــ وثانيهما أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد يهدف الى غاية تؤدى الى غيرها ، وهكذا حتى تنتهى الى كلية ثابتة هى غاية الغايات ــ وهذا هو قانون الغائية .

ويقول المؤلف : انه من الناحية التاريخية للمسألة الدينية ، فان ثمة ثلاث نظريات أو مذاهب تعالج نشأة العقيدة الالهية .

١ ــ مذهب التطور التقدمى أو التصاعدى ..

ومضمونه ان الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وترقى حتى وصل الى كمال التوحيد الذى يعتبره هذا المذهب عقيدة جد حديثة .

٢ ــ نظرية فطرة التوحيد وأصالته ..

وملخصها أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر ، وما الوثنية الا عـــرض طارىء أو مرض متطفل ــ ويؤيد هذه النظرية مشاهير علماء الأجناس والانسان والنفس ،منهـم (لانج) ، و (بروكلمان) وغيرهما .

ويقف التحليل النفسى وشواهد التاريخ والتطور الصحيح فى صف النظرية الثانية معارضا للنظرية التطورية وان كان ذلك لا يرفع نظرية الفطرة الى صف الحقائق التاريخية المفروغ منها .

٣ ــ نظرية تقرر أن الرشد والضلال فى الفكرة الدينيـــة ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط ، بل هما متعاصرتان فى كل أمة وجيل ..

وهذه أقرب النظريات تصويرا للواقع المعروف .

أما الكتب السماوية فتؤكد أولية العقيدة الالهية الصحيحة لا فى الغريزة فحسب « فطرة الله التى فطر الناس عليها » بل فى التطور الزمانى كذلك « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا » ، « كل مولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وينتقل المؤلف الى عرض النظريات التى حاولت تحديد ديانة الانسان الأول قياسا على ديانات القرون الماضية أو الأمم الهمجية ، فيقدم لنا نظريات تنتظمها عدة مذاهب هى المذاهب الكونية أو الطبيعية والروحية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والتعليمية ، وذلك على النحو التالى :

١ ــ المذاهب الكونية أو الطبيعية ، تضم مذهبين :

أ) مذهب الطبيعة العادية ــ وأشهر أعلامه (ماكس ميلر) وفحوى المذهب أن العامل الأول

فى اثارة الفكرة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة ولا سيما الافلاك والعناصر ..

وتتولد العقيدة الالهية والحركة العبادية من تزاوج مبدأين نفسيين أحدهما غريزة عقلية ، وهى غريزة التطلع لفهم الطبيعة . والثانى حاسة وجدانية وهى حاسة التذوق الفنى لما فى الطبيعة من جمال وجلال ، ولا يزال هذا المذهب أصح المذاهب وأقواها رغم أوجه النقد التى قدمها اليـــه (دور كايم) والتى تقوم فى معظمها على فكرة ان استمرار الطبيعة على نسق واحد يجعلها أمرا مألوفا . لا يلفت النظر . ولا يحتاج الى تعليل .

ب) مذهب الطبيعة الشاذة العنيفة ، ويعزو الشعور الدينى الى تأثر المشاعر الغافلة بحوادث الطبيعة الشاذة والعنيفة ، مثل العواصف والزلازل والفيضانات وما اليها .

٢ ــ المذاهب الروحية أو الحيوية :

وتقول ان الاصل كان عبادة أرواح الموتى ، ومن أعلام هذه النظرية تيلور ، هربرت سبنسر فالتصور الطبيعى لظاهرة الموت أنها انفصال لعنصرى المادة والروح يرجع به كل منهما الى طبيعته وبيئته فتعود المادة الى عالمها . وتأخذ الروح صورة أخرى من صور الوجود الغيبى . وهكذا ينشأ الاعتقاد بوجود أرواح مستقلة عن الابدان سواء أكانت فى الأصل أرواحا انسانية انتقلت عن أبدانها أم كانت منذ بدايتها أرواحا مستقلة كالجن والملائكة أم كانت روحا أعلى من ذلك وأسمى . وهذه الأرواح لها حرية العمل فى الميدان الذى تختاره ان نفعا وان ضرا من حيث لا يشعر بها أحد .

وقد تولدت العقيدة الالهية عن التجربة الروحية وفق تفسير تيلور على مرحلتين .

١ ــ الاعتقاد فى بقاء أرواح الموتى تفسيرا لرؤيتهم فى الحلم كما يرى الأحياء .

٢ ــ الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر .

٣ ــ المذاهب النفسية :

وترجع الوصول الى العقيدة الالهية نتيجة لتجارب الانســـــان النفسية ، بخلاف المذاهـــب السابقة ويتفرع عنها .

١ ــ نظرية ساباتيه : وتتلخص فى أن الشعور الدينى ينبثق من شعور الانسان منذ نشأته بالنزاع الحاد بين شعوره الذاتى بالأشياء ، وبين قصوره الذى تكشفه التجربة الخارجية . هــذا النزاع والتمزق الذى ينتهى به الى الشعور بخضوع القوتين معا وتبعيتهما المطلقة لسطان قوة عاقلة عليــا .

٢ ــ نظرية بيرجسون : وتدعى أن المحظورات الاجتماعية قد صورت فى النفوس بصــورة مخيفة تجعل من المخاطرة انتهاكها ــ وبالغت الفطرة الانسانية فى تصويرها حتى خيلت للنفس أن هذه المحظورات يقوم على حمايتها حارس معنوى آمر ناه محاسب ، وذلك هو معنى الاله ، وهو عند بيرجسون وان كان معنى وهميا الا أنه وهم تفرضه الحياة ومتطلبات الحياة اليومية .

٣ ــ نظرية ديكارت : وترجع العقيدة الالهية لدى الانسان الى ما فى نفسه من تطلــع الى (الكمال) الذى ينقصه ، وما هذا التطلع الا صورة منعكسة على مرآة النفس من حقيقة ايجابية وذات خارجية هى مادة الكمال المطلق ومصدره وهى المثل الأعلى .

٤ ــ المذهب الأخلاقى :

ذهب (عمانويل كانت) الى أن وجود (الذات الالهية) لا يثبت بالبرهان أو بالتجربة لأنـــه بديهية مسلمة تعتمد على مقدمات ثلاث :

١ ــ القانون الاخلاقى الذى يخضع له الانسان منذ طفولته . ويجعله قادرا على استحسان الأفعال الحسنة الواجبة الأداء . واستهجان الأفعال القبيحة الواجبة الاجتناب ــ هذا القانون الذى يعبر عن ضرورة تحقيق الخير المطلق ، وأداء الواجب للواجب وبالواجب أى تحت سلطان فــكرة الواجب لا حب الواجب .

٢ ــ ازاء استحالة تحقيق الخير المطلق فى حياتنا القصيرة ، فلا بد من قبول فكرة خلود الروح ليصح فى العقل وجود ذلك القانون الأخلاقى .

٣ ــ فاذا حققنا (الخير المطلق) بتحصيل الفضيلة الكاملة فقد بقى أن نحقق (الخير الأعلى) وذلك هو جماع الفضيلة والسعادة اللتين قلما يلتقيان .. فلا بد اذا من التسليم بوجود الله تعالى تصحيحا لمعقولية القانون الأخلاقى .

ويدحض د. دراز مذهب (كانت) الاخلاقى بقوله :

١ ــ القانون الأخلاقى لا يلزم كل العقول فضلا عن قلبه للاوضاع حين يفضل من يفعل الواجب وهو ممتثل كاره على من يفعله عن أريحية ورضى .

٢ ــ الأساس الذى بنى عليه فكرة خلود الروح واه ضعيف لأن الخير المطلق ان لم يكن ممكنا فى هذه الحياة لم يكن واجبا ــ وان كان ممكنا لم يكن هناك حاجة الى فرض الخلود .

٣ ــ (كانت) يذكر السعادة بمعناها الدارج ، وهو تحقيق المطالب المادية فى حين أن الفضلاء يسعدون بارضاء ضميرهم ولو فى ظل الحرمان والتضحية .

٥ ــ المذهب الاجتماعى :

يخالف (دور كايم) الجميع زاعما أن التدين ليس حالة نفسيـــة فطرية ، وانما هو وليد أسباب اجتماعية ويزعم دليلا على ذلك أن العشائر البدائية التى تدين بنظام (الطوطم) لا تـــدرك حقيقة التدين الا فى حفلاتها الصاخبة المتهتكة التى تذوب فيها شخصيات الأفراد الفردية فى شخصية الجماعة وهو مبدأ الدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تعبد نفسها من حيث لا تشعر .

ويرد على هذا التفسير الاجتماعى للتدين بالحجج التالية :

١ ــ المعلومات التى يجمعها الرحالة عن البدائيين ليست فوق مستوى الشكوك إما لقصور أيهما أو كليهما أو سوء نية أو لقصور وسائل التعبير والادراك عند البدائيين ذاتهم .

٢ ــ ان مما يجافى المنطق السليم أن تتخذ نتيجة البحث فى العشائر البدائية قاعدة عامـــة تعرف منها حقيقة الدين ــ شأنه فى ذلك شأن من يحدد حقيقة الانسانية من النظر فى أول أطوار الجنين .

٣ ــ ان نظام الطوطم باعتراف (لانج) ، (فريزر) ليس نظاما دينيا ، وانما نظام مدنى قضائى اقتصادى يعرف معتنقيه أنسابهم وينمى فيهم الولاء للمجتمع .

٤ ــ من المخالف للمنطق أيضا أن تتخذ حالة استثنائية من حياة هذه العشائر وهى حالـــة الصخب والمجون والاباحة أساســا للحكم ، ويهمل ما وراء ذلك من معتقدات وعبادات تكاد تصل الى التوحيد .

٥ ــ لا يكفى أن تحدث الظواهر الدينية فى جماعة وتختلف باختلافها لكى تكون ظواهر اجتماعية حقيقية ، واذا كانت الطقوس الدينية ذات طابع الزامى جماعى ، فان الاعتقادات والتصورات تبقى دائما لأفكار الفرد ووجداناته .

٦ ــ التاريخ يثبت دائما أن الجماعات تقاوم كل ديانة جديدة يحمل لواءها فى البدء أفراد أعلام ــ ولم يكن موقف أى جماعة فى بدء أى دين أن تحمل الأفراد عليه وتلزمهم به .

٧ ــ اذا كانت فكرة الاله تكبر مع كبر حجم الجماعة كما يزعم (دور كايم) فيتطور اله العشيرة الى اله الفصيلة الى اله القبيلة الى اله الشعب فمن أين جاءتنا فكرة الاله الأكبر فاطر السموات والأرض وليس لها مثال من تجمع الجماعات أو اتحادهم .

ورغم ما للجماعات من أثر خطير فى التمهيد لنشأة الأديان والتمكين لها ، فليس لنا أن نزعم أنها تخلقها من العدم وتبرزها الى الوجود ، الا اذا صح أن نزعم أن المعدة هى التى تخلق الطعام وأن البصر هو الذى يحدث الضياء .

٦ ـ المذهب التعليمى أو مذهب الوحى :

تشترك كل المذاهب السابقة فى أن العقيدة الالهية وصل اليها الانسان بنفسه عن طريق عوامل انسانية فردية أو جماعية ، أما المذهب التعليمى فيقرر أن الأديان هبطت الى الانسان ، ولم يصعد هو اليها ، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل بل بنور الوحى .

هذا المذهب لم يزل سائدا عند كبار رجال الدين فى أوروبا ، كما أننا نجد فى الكتب السماوية مصداق الجانب الايجابى منه .

والنظرة الجامعة لكل هذه المذاهب تقودنا الى حقيقتين :

١ ـ ان آيات الألوهية مبثوثة فى كل شىء « ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم » .

٢ ـ ان كل فئة من الناس لها طريقها الخاص فى الاسترشاد ببعض تلك الآيات قبل بعض « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » والقرآن يجمع الجوانب الايجابية لكافة المذاهب المتقدمة ويزيد عليها .

١ ـ فيقول فى مذهب الطبيعة العادية .. « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها فروج » ويزيد على هذا المذهب عنصرين .

أ) عنصر الاختلاف بين المتشابهات « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » .

ب) عنصر الحياة « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » .

٢ ـ وفى مذهب الطبيعة الشاذة « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » .

٣ ـ وفى المذهب الروحى .. « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » .

٤ ـ وفى المذاهب النفسية .. يورد تأكيدا لعجز الانسان أمام المقادير العليا « أم للانسان ما تمنى . فلله الآخرة والأولى » .

ويزيد القرآن عنصرا جديدا دليلا على الألوهية هو تحول الارادات الانسانية عن الثورة الى السكون وعن الكراهية الى المحبة .. « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

٥ ـ والمذهب الأخلاقى .. نجد لبه وجوهره فى القرآن « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » .

٦ ـ والمذهب الاجتماعى نراه فى القرآن حين يذكر ما للبيئة من سلطان على الأفراد يكاد يبلغ الاستبعاد الفكرى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ويعلن القرآن طريق التحرر من هذا الأمر ، وهو التفكير الفردى الهادىء القائم على البداهة والمنطق السليم .

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

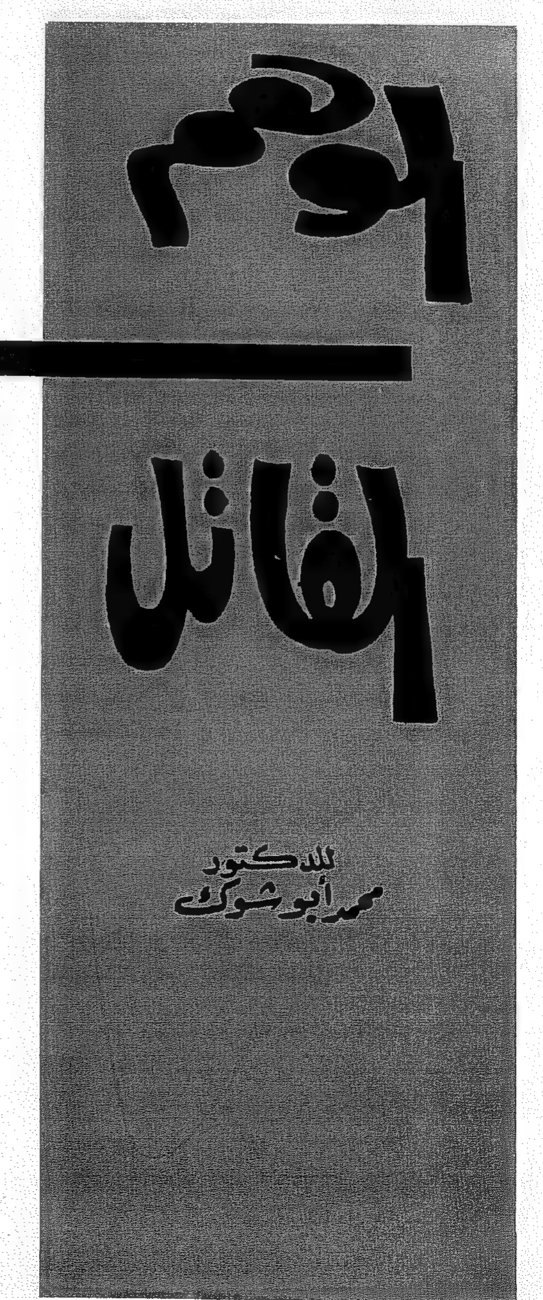
٧ ـ والمذهب التعليمى سار فى القرآن كله حين يقرر أن الرحمة الالهية لم تكتف بدلائل العقل حتى أيدتها بشواهد النقل ، وانها قطعت حجة كل غافل وكل متواكل فأرسلت رسلا مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ويختم المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز بحثه عن تاريخ الأديان بأحسن ما يختم به مثل هذا البحث فيقول :

« وانه لن يسع الباحث المنصف متى تحقق من هذه الاحاطة العلمية الشاملة الا أن يرى فيها آية جديدة على أن القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد ، ولا مرآة لعقلية شعب ، ولا سجلا لتاريخ عصر ، وانما هو كتاب الانسانية المفتوح ، ومنهلها المورود ، فمهما تتباعد الأقطار والعصور ، ومهما تتباعد الأجناس والألوان واللغات ، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات سيجد فيه كل طالب للحق سبيلا ممهدا يهديه الى الله على بصيرة وبينة .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .... ! »





دخل علـى حجرة الفحص ـ وهو يرتجف ـ شاحب اللـون ـ تختلج الكلمـات فى نفسه ـ ويكاد الدمع يذرف من عينيه ، لولا انه اخذ يتمالك أعصابه ـ ويجمع قواه ليقول « لم أنم الليل يا طبيب فأنـى أحس بألم فـى منطقة القلب ـ وأخـاف أن تحدث لى جلطة أو سكتة قلبية ـ » أرجوك يا طبيب .

وآخر لا أنساه يكـاد الهلع يأخذ بقلبه ، وقد انتابه الخوف واخذ يسرد قصته ـ وما حـدث لـه فى أيامه الاخيرة من فقـدان لشهية الاكل بل وعدم قدرته حتى للنظر الى الطعام ـ ويخشى أن يكون عنده سرطان .

وقصة ذلك الذى توفى لـه احد أقربائـه من جلطـة بالقلب وأحس بوخزة بسيطة حول القلب وظن ذلك انما هى الجلطة القاتلة ، فذهـب لتوه الى المستشفى ، وأخذت أقنعه بشتى الوسائل أن هـذا ليس هو مرض الجلطة ، وأنه ألم فى عضلات

الصــــدر يشبه الروماتيزم — ولكن أنى لـــه أن يقتنع ، وأنـــى لنفسه السقيمة أن تعـود الى رشدها — وأخذ كل يوم يشكو من عرض جديد ، ويأبى الا أن يساعده مساعد فـــى حركاته وسكناته ، فـــى إلباسه ، وإطعامه — وظل طريح الفراش من الوهم لا يقـــدر علـــى شيء الى أن انتابته نوبة التهــاب رئوى شديد . وقضى الله أمرا كان مفعولا .

وأمثال لا تحصى ولا تعد — يقابلها الطبيب منا كل يوم — يا لله — خوف يملـــك القلـــوب — ورعب يفتـــت الاكباد — وسهد وأرق — ونفور اى نفور من الحياة — وضاقت الدنيـــا على سعتها بهـــؤلاء واولئك — ولم يجدوا ملاذا لهم الا عيادات الاطباء يترددون على هذا وذاك لعل الواحد منهم يستقر على قـــرار — وأنى له ذلـــك .

ولعلنى لا أكون مبالغا عندما أقول ان ما يقـــرب مـــن نصـــف المرضى المـــترددين علـــى عيادات الاطبـــاء يتوهمـــون أمراضا لا تمت الـــى ما يشكون منه بصلة — كلها أوهـــام فى أوهـــام ثم انها تكـــون الطامة الكبرى اذا قلت لاحدهم هـــذا وهم فيقول « كيف يكون ذلك يا طبيب ، وأنا أعلم ما فى جسمى وقرأت عن هذا المرض » — وكأنه هو ، ولسان حاله يقول « لا تنكر علـــى مرضى ودعنى أذهب الى غيرك فلعلنى أجد عنده ما يستهوى نفســـى ويشبـــع رغبتى ، ويجعلنى على حق » .

واذا تعرضت من الناحية الطبية ، أرى أن المقالات والمقـــالات لا تكفى للامراض غير العضويـــة — أو ما يسمونهـــا بالامراض التـــى تعترى عمل العضو Functional Diseases فكل جهاز فى الجسم يمكن أن يصاب بمثل هذه الامراض .

ففى **الجهاز العصبى** : الصداع البسيط الذى يحسبه صاحبه انـــه ناتج عن سرطان بالمخ — والاحساس بخـــدور فى اليد أو الرجل أو اى جزء فـــى الجسم — أو ضعف أحد الأطراف والتوهم بأن الشلل واقـــع لا محالـــة . الاضطرابات النفسية ، وهزات اليدين — والارق — وغير ذلك ، ورده كلـــه الى مرض خبيث بالجسم .

الجهاز الـــدورى : وخزات حول منطقة القلب وحسبها انها مـــرض الجلطـــة ، الدقات الزائـــدة التى تعترى القلب فـــى بعض الحـــالات والناتجـــة من اضطرابـــات نفسية والتـــدخين المـــفرط ، واحساس صاحبها أن قلبه فى حالة يرثى لها .

الغازات التى تملأ المعدة وتضغط على القلب فى الليل والنهار ويؤولها صاحبها ان المرض فى القلب — وانه يخـــاف أن لا يجد نفسه عشية أو ضحاها .

الجهاز الهضمى : القيء العصبى الذى يصيب المعـــدة خصوصا عند الفتيات المضطربات — الآلام البسيطة التى تعترى الامعـــاء وما يتبعها من امساك واسهال وتأويل ذلك الـــى وجود مرض خبيث قاتل .

ولو سرنا على هذا المنوال لوجدنا أنه مع كل جهاز يؤول المرض البسيط الى تأويلات ربما يرجع مصدرها الى شخص لا يمت الى الطب بصلة ، أو آخر يهـــول من مرضـــه أو مرض

صاحبه ، بانيا ما يفتى به على خبرة خاطئة — أو فكرة عقيمة — أو سمع من هــذا أو ذاك — والعجيب فــى الامر أن المريض يسمع لهذه الاقوال وهذه القصص وتــؤثر فى نفسه ، وتعمل عمل السحر فيه — ونــراه لا يستجيب لما يقــول طبيبه ، وكأنه فى واد وطبيبه فى واد آخر . ولقد حاولت كثيرا مع نفسى ومع المرضى أسأل هــذا السؤال ، لماذا يسمع المريض كلام الناس ، وما يقولون — ولا يلقى بالا لكلام طبيبه ؟ — واخيرا أرجعت الامر الى شيئين رئيسيين أولهما — عدم الادراك ، والفهم ، وفهم الحياة ، والخبرة — والعلم — والثقافــة وما الى ذلك من الامور التى تجعل الفرد على جانب كبير من الثقافــة ، ليميز الخبيث من الطيب ، ويأخذ الطيب ويترك ما دونه .

وثانيهما — عدم الثقــة المتبادلة بين المريض والطبيب والتى لا بد وأن تتطور وتتعمق حتى يجد المريض أن لا سبيل له فــى معرفة مرضه الا طبيبه الذى يعالجه — ويفهم ما به من أعراض وعلامــات تلك الامراض .

وهنا أقول لكى يثق المريض فــى طبيبه لا بد لذلك الطبيب أن يجيد فن الاقناع سواء بالحجة — أو بالفحص الدقيق — أو بالقيام بالوسائل التى تؤكد المرض أو تنفيه ، بما فى ذلك تحويل المريض الى المختبر للفحص اللازم للدم أو البول أو البراز وما الى ذلك — أو ارساله الى الاشعة أو تخطيط القلب أو غير ذلــك مــن الوسائل التى فى ايدينا ، حتى نكون قد قمنا بواجبنا خير قيام ، فيحس المريض أن طبيبه عمل لــه اللازم ويكون اقتناعه سهلا ، بدل أن نتركه يتخبط وينتقل مــن عيادة الى عيادة ومن طبيب الــى طبيب ، وعندما تعوزه الحيلــة يسمع الــى كلام مجرب ، أو عراف أو خبير .

أما قول الطبيب لمريضه — دون فحصه ، ودون القيام بواجبه تجاهه ان هــذا وهم ، فهــذا أول الطريق الى التخبط والتيه الذى لا يعلم مداه الا الله .

والذى يزيد الطين بلة — أن يحاط المريض بزوج أو زوجة — أو قريب لــه — يزيد من توتره واضطرابه — ولعل ذلك القريب يحسب بفعله هذا انه يفيد المريض ، بل على العكس فانه بفعلته هــذه انما يدفع بالمريض الى الخوف الشديد القاتــل . ولا أنسى ذلك المشــهد حينما جلــس الزوج بجوار زوجته وهى تشــكو من مرض بسيط ألم بأمعــائها وهو يذكرها بهــذا المرض وذاك ويقول لها « قولى للطبيب أن عندك صداع ، وعندك آلام فــى المفاصل ، وعندك أرق ، وعنــدك امساك ، وعندك وعندك » — حتى اننى ضقت ذرعا وقلت له هــل أنــت المريض ، أم هى ؟ دعها تقول ما تشــاء وانــى انصت لها ولا تبلبل أفكارها وتجعلها تحس كأنها حطام منهــار تقترب من القبر .

— ثم لو امعنا النظر — لمعرفــة أسباب هــذا التــوتر العصبى — والخوف الشديد من المرض — لوجدنا أن الامــور تتكشف عن كثير مــن الاسباب التى تدعو الى ذلك .

أولا : التوتر النفسى الذى يسود مجتمعاتنا الان — والانغماس الشديد فى ملذات الحياة ، والتعلق بأسبابها — والتكالب علــى جمــع الثروات والسعى وراء الشهوات .

ثانيا : فقدان الثقة بالنفس — والثقة بين المخلوق والخالق — وكأن الانسان فى هذه الحياة أصبح هو الذى بيده زمام كل شىء — يقول أنا سأصنع هذا وذاك — وهذه خططى ومستقبلى — ولم يحسب حساب ربه الذى بيده مقاليد كل شىء — فاذا اصيب بأمر أبعده عما خطط ورسم ، ضاقت الدنيا فى وجهه — ولعن الايام — وبدأت الامراض ، وتعقدت الامور — واصبح فى دوامة — وحلقة مفرغة لا تنتهى — نوائب تجره الى أمراض — وأمراض تجره الى نوائب وهكذا دواليك .

ثالثا : عدم الرضا — والقناعة ، وشكر الله على ابتلائه — والاحساس بالسكينة والارتياح — كل هذا يدعو الى التذمر من الحياة ، واضطراب النفس ، وما يدعو الى الخوف والهلع واستحكام المرض . وانى هذا ممن يرضى بكل ابتلاء وكل مصيبة ، ويستسلم لقضاء الله وقدره . شاكرا فى كل مصيبة تصيبه ، مهونا على نفسه انه لعل الذى أصابه أهون مما أصاب غيره — متمثلا بحديث رسول الله ما معناه « لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع » .

والامثلة واضحة أمام اعين الاطباء كل يوم ، فهذا الذى يرضى بما قسم له تجده يتحمل مرضه بصبر وشجاعة ، مما يساعد على سرعة الشفاء ، والتماثل له فى أقرب وقت ممكن — أما هذا الذى يرتعد من مرض يسيط ألم به — ويجعل من ذلك البسيط الشىء الكبير ، وينظر الى الدنيا بمنظار اسود — ويعقد الامور — ترى أن مرضه يزداد سوءا على سوء ، بل وان المضاعفات التى تحدث فى بعض الامراض ، لا تكون الا مع هؤلاء — والادهى والامر ، اذا كان هذا من المحظوظين — الذين يلتف حولهم الاصدقاء والاطباء — يوصون هذا الطبيب وذاك — ويدللون مريضهم كل تدليل — اذا قال « آه » أحسها غيره آهات — واذا لم ينم قليلا — سهر حوله الليل كله غيره — مما يجعل بعض ضعافى النفوس من المرضى يهولون من مرضهم — ويتظاهرون وكأن العلاج لا يفيد فيهم — وبالتالى يبلبل فكر الطبيب المعالج ويبدأ فى تغيير ما وصف من علاج ، بل وبعض الاطباء يتخبط بتخبط مرضاهم ، مما يؤدى الى عواقب وخيمة .

اقول اذا تسلحنا حقا بسلاح الايمان بالشفاء والامل وأن الاجل مكتوب ، ازدادت قوتنا على احتمال المرض ، ولم يجد الهلع والخوف الى نفوسنا سبيلا .

هذه بعض النقاط تعرضت لها ، آملا أن يهدأ كل مريض نفسا ، عندما يصاب بمرض — ولا يدع للخوف والهول الى نفسه سبيلا — وفى الوقت نفسه لا يهمل فى نفسه ، ويثق فى أطبائه ويرضى بقضاء الله وقدره — فكل هذه من العوامل المساعدة على سرعة الشفاء . وكم من مريض — كما قلت — بهذه الصفات تغلب على مرضه فى أحلك الساعات — وكان نعم الصابر الحامد الشاكر .

كثيرا ما يبتلى الانسان بالاوهام اكثر مما يبتلى بالحقائق ، وكثيرا ما ينهزم الانسان من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ، وهذه الاوهام تتكاثر وتتراكم مع ضعف

الثقة بالله وبالنفس ، والمؤمن القوى الايمان يعيش بمنجاة من هذه الاوهام القاتلة ، والى هذا يشير القرآن الكريم الى أثر الايمان فى التخلص من عواقب الهموم والاوهام « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

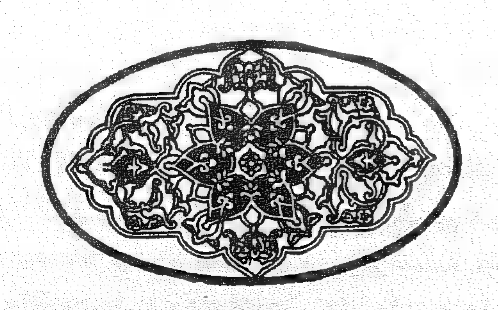
وقد فطن الشاعر العربى الى هذا فقال :

وما الخوف الا ما تخوفه الفتى
وما الامن الا ما رآه الفتى أمنا

ولا شك أن أعصاب الناس فى هذا العصر تكاد تحترق فى السباق على حطام الدنيا وقد أثر هذا فى النفوس والاجسام تأثيرا بليغا — كتب « ديل كارينجى » فى هذا المعنى يقول : عشت فى نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة ، فلم يحدث أن طرق بابى أحد يعانى من مرض القلق والوهم الذى سبب فى الاعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر أكثر مما سببه الجدرى بعشرة آلاف ضعف .

ويقول الدكتور (و. س. الفاريز): اتضح أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لعلتهم اساس عضوى البتة ، بل مرضهم ناشىء عن الخوف والقلق والبغضاء والاثرة المستحكمة وعجز الشخص عن الملاءمة بينه وبين نفسه والحياة .

ان الايمان بالله يجتث الوهم من نفس المؤمن ، ويملأ حياته بالراحة فى يومه والرضا عن غده « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .





يا شباب المسلمين في كل ارض
قد اصبح الأمر جدا ما بعده جد
وهذا نداء اليكم من صميم القلب
وبلاغ اليكم منذرا بين يدى افدح خطب ...

• • • • •

قبل أربعين سنة فى فلسطين كان الأمر كله مظاهرة تهدر لساعة او ساعتين ، واطلاق الرصاص من رشاش او اثنين ، ويهود قلائل مستضعفون ، ما ان يسمعوا ضجة حتى يهرعوا مختفين ، ثم يزج ــ ان شق الأمر ــ بعض عشرات منافى السجون ، وقد يعلق على حبل المشنقة شهيد او اثنان فان كثروا كانوا ثلاثة .. وكان الجدل يدور . هل يسمح لبضع عشرات من ألوفهم أن يتخذوا لهم ركنا تكاثروا فيه من الارض عسى أن يجعلوا من المكان رمزا لوجود لهم فى الدنيا ، ووطنا مصغرا يعبرون منه الى المباكى والذكريات العتيقة .

• • • • •

ثم كشفت الأربعينيات قبل حوالى ثلاثين سنة بعض ما كان خافيا .. فاذا الأمر امر دولة فى معظم المأهول والقفار من فلسطين . واذا هو منطق جائر فى التمزيق والتقسيم . وجيش خفى كان معدا ليوم معلوم .. ودراسة فادحة فى الترويع والترحيل . وعدوان حتى على ما يزيد على جور

التقسيم واذا ثمة مدافع بدل البنادق ، وقنابل حيث كان يطلق رصاص وفترة انتظار مطئوبة حافلة بالحيرة والغثيان ، ثم اذا طائرات حيث لم تكن طائرات من قبل ولا مطارات ، واذا فى مواقع السيارات دبابات وآليات ، واذا مفاجاة المفاجـآت ، وماتم المآتم مما علمتم في حزيران ..

ثم ما الذى يحاولونه او ينفذونه الآن ..
ان حريق الأقصى هو عنوان الكتاب الرهيب بكل ما فيه مـن سطور سوداء .
الدور البارزة تصفى بالنسف والتقويض

الرجال الذين عرفوا النضـال يوما مهما كـان بعيدا من قبل يعذبون أو يقتالون او يطردون أو يجوعـون أو يخـادعون بالاغراء عسى أن تملأ معدهم بما يسد فراغ أرواحهم ..
وكل معالم الثقافة الاسلامية ، والآثار الاسلامية ، والنفوس المتشبثة ولو باشكال الاسلام الظاهرية ، وكل شىء يمت بصلة الى الاسلام يمحى ويزال فى جهد دائب موصول بالليـل والنهار ...
واسباب الحياة الاقتصادية لضفة الأردن الشرقية شرع فى تحطيمها ابتداء من الغور ومزارعه ، واستمرارا بالعدوان على اربد وأراضيها وهى منطقة الخصب الثانية بعد الغور .
وبالتالى يجرى الاعداد لمرحلة غثيان وتقويض من الداخل قبل حلول المرحلة التى ينشد الصهاينة أن تضعهم علـى اطراف بادية الشام من تبوك حتى مشارف الفرات ...

يا شباب المسلمين وانادى الشباب الأن المتصدين للمرحلة المقبلة وأهدافها هم الشباب ...
لا تخدعنكم المسافات فقد ثبت بطلان المسافات ...
ولا يخدعنكم الأمان الزائف ، فانه أمان الخراف التي انما تحيا الى أن يصل اليها دور العرض على سكين الجزار .
لا يخدعنكم ثراء ولا اكتفاء فان جمال الصوف على الحملان ما رفع يوما عنها أنياب ذئب من الذئاب .

* * * * *

يا من يعيشون على بقايا ميراث الذمم من حضارة النور ايام مجد الاسلام
ان للطامعين حضارة من دخان المصانع
سفاحة لا ترتوى الا بالدماء
سوداء لا ترضى بغير حشرنا تحت خيام سوداء
منزوعة من جسد الربا لا تلذ الا لحوم الضحايا والتعساء
مجرمة بربرية مهما بدت براقة لامعة ، منبتة الجذور فى ارض الرحمة
ساخرة بكل قيم الانسانية ، مقطوعة الصلة بالسماء ...

* * * * *

برابرة هؤلاء يا شباب الاسلام فاحذروا وتنبهوا واعملوا
قطعان غاب هؤلاء ان لم يردعوا بالضرب الصاعق فلن يرعووا
كل دينار ينفق فى الترف سينقلب الى لعنة من الهلع فى ساعات الروع .
كل ساعة من العمر تضيع فى اللهو سوف يحيا أمثالها فى ضمائركم لسعا من الندم .
لن ينفع بعد اليوم ناد ولا سمر .
ولن ترد البأس قصور ولا دور ولا شوارع حسان
وانما يفل الحديد الحديد ، ويرد الأزيز المتفجر باللهب بازيز يمزق غلاف الجو ..

* * * * *

خذوا العلم وأنتم تسائلون انفسكم كيف نفيد منه فى المعركـــة
عيشوا الحياة ولكن باعين على العدة والعتـــاد والاستعـــداد
متفتحة ..
سائلوا انفسكم فى كل صباح ومساء ..
ماذا فعلنا لكى نكون جاهزين للمعركة ؟
كيف اعددنا اجسامنا للزحف بين سحب اللهب وتحت انقاض
الخرائب
وهذا القرآن لم نحمله ان لم ندافع عن وجوده ؟
وهذه الجوامع لم ندخلها ان لم نتلقن فيها دروس العزة والجهاد
والجامعات والمخابر لم ننشئها ان لم نتعلـــم فيها صنعـــة
ترد عنا بطش العاديات .
وهذه السيارات لم نركبها ان لم نعرف كيف نحيلها الى مدرعات
وآليـــات .

. . . . .

والله انهم لا يقصدون النيل والفرات ليقفوا عند النيل والفرات
وايم الله انهم يبغون محـــو الاسلام وكل آثاره فى الأرض ..
وانهم يقصدون كل شىء فى وجودنـــا وكياننا ..
وما مسافة ببعيدة اليوم على آلـــة او طائرة ...
فعيشوا للمعركة وكأن غـــــدا المعركة
وادركوا ابعادها والا تخطتكم وانتم ساهون
وكافحوا شرور الفساد والالحاد والتخنث والترف والا فسدتم
من الداخل وتقوضتم وهيئتم لعدوكم ..
فالله الله فى دينكم ، الله الله فى صميم وجودكم .

. . . . .

حكم الاسلام

في الصلح مع اسرائيل

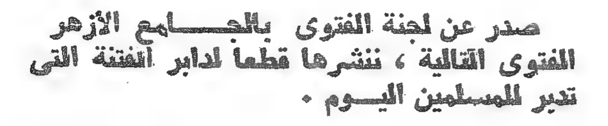
والتعاون مع حلفائها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ــ فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم اليها عن حكم الشريعة الاسلامية فى ابرام الصلح مع اسرائيل التى اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالا وشيبا وشبانا فى آفاق الارض ، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة ، وعن حكم التوادد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسى والمادى لاقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الاسلامى بين دول الاسلام ، وعن حكم الاحلاف التى تدعو اليها دول الاستعمار ، والتى من مراميها تمكين اسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها الى أهلها ، وحيال المشروعات التى تحاول اسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين اليها ، وفى ذلك تركيز لكيانها ، وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ، ويزيد فى تهديدها لهم ، ويهيىء للقضاء عليهم .

● ● ●

وتفيد اللجنة ان الصلح مع اسرائيل ــ كما يريده الداعون اليه ــ لا يجوز شرعا ، لما فيه من اقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه ، وقد اجمعت الشرائع السماوية والوضعية على



صدر عن لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الفتوى التالية ، ننشرها قطعا لدابر الفتنة التى تدبر للمسلمين اليوم .

حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب الى أهله ، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففى الحديث الشريف : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) وفى حديث آخر : (على اليد ما اخذت حتى ترد) ، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم : على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الاسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف السنتهم والوانهم واجناسهم لرد هذه البلاد الى أهلها ، وصيانة المسجد الاقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشاهد الاسلامية ، من أيدى هؤلاء الغاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . ومن قصر فى ذلك أو فرط فيه ، أو خذل المسلمين عنه ، أو دعا الى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربى الاسلامى ، فهو — فى حكم الاسلام — مفارق جماعة المسلمين ، ومقترف أعظم الآثام . كيف ويعلم الناس جميعا أن اليهود يكيدون للاسلام وأهله ودياره أشد الكيد ، منذ عهد الرسالة الى الآن ؟ ! وأنهم يعتزمون الا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وانما تمتد خططهم المدبرة الى امتلاك البلاد الاسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات ، واذا كان المسلمون جميعا — فى الوضع الاسلامى — وحدة لا تتجزأ بالنسبة الى الدفاع عن

بيضة الاسلام ، فأن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر ، والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية ، وتمدها بالمال والعتاد ، وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار ، فهو غير جائز شرعا ، لما فيه من الاعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الاسلام ودياره ، قال تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله — سبحانه — فى آية واحدة جميع ما يتخيله الانسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء ، وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك ، واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعالى : «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها امدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت اقدامهم بالرأى والفكرة وبالسلاح والقوة : سرا وعلانية مباشرة وغير مباشرة ، وكان ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من اعذار ومبررات .

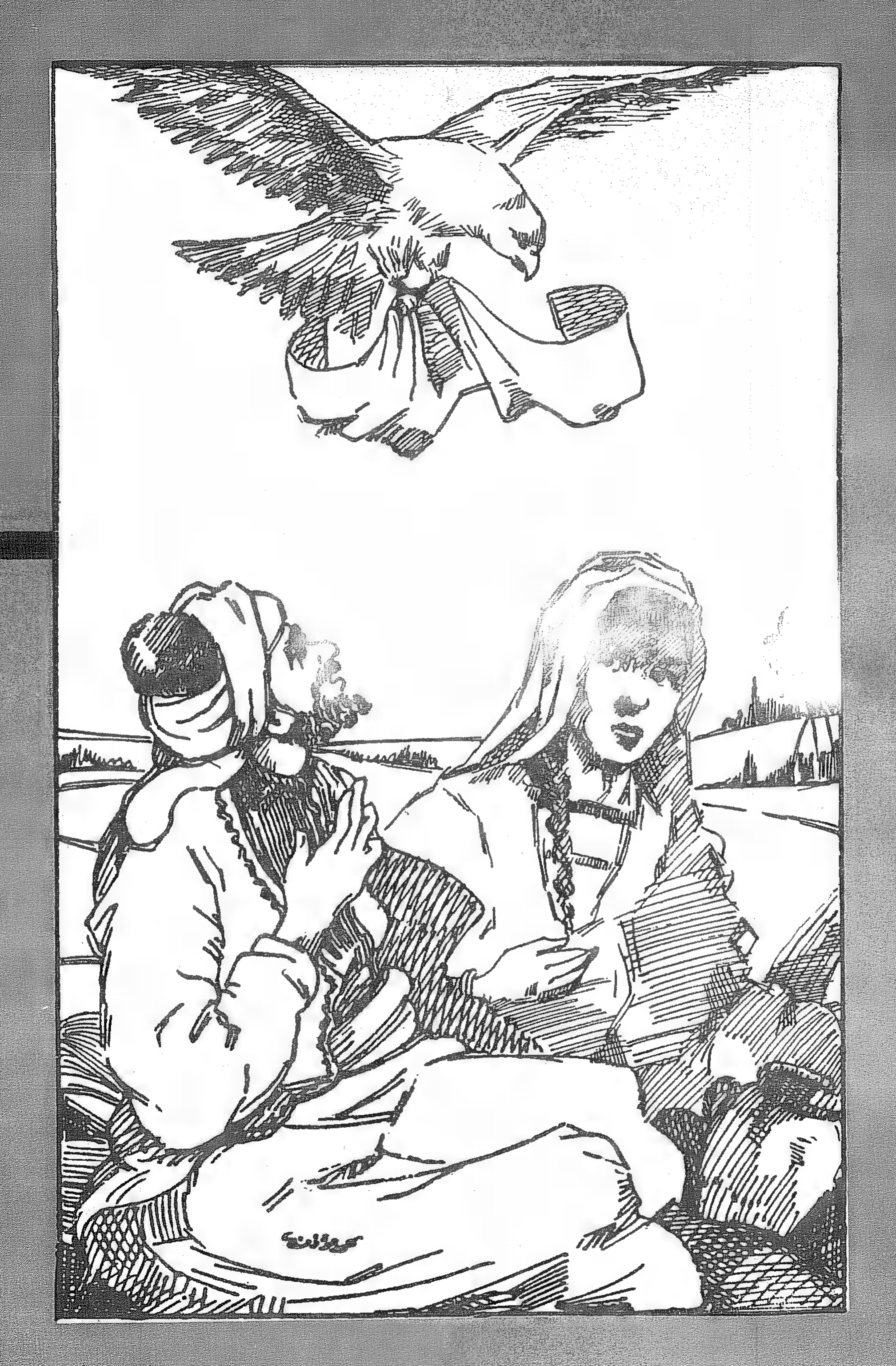
ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف — التى تدعو اليها الدول الاستعمارية ، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الاسلامية ، ابتغاء الفتنة ، وتفريق الكلمة ، والتمكين لها فى البلاد الاسلامية ، والمضى فى تنفيذ سياستها حيال شعوبها — لا يجوز لأية دولة اسلامية أن تستجيب لها

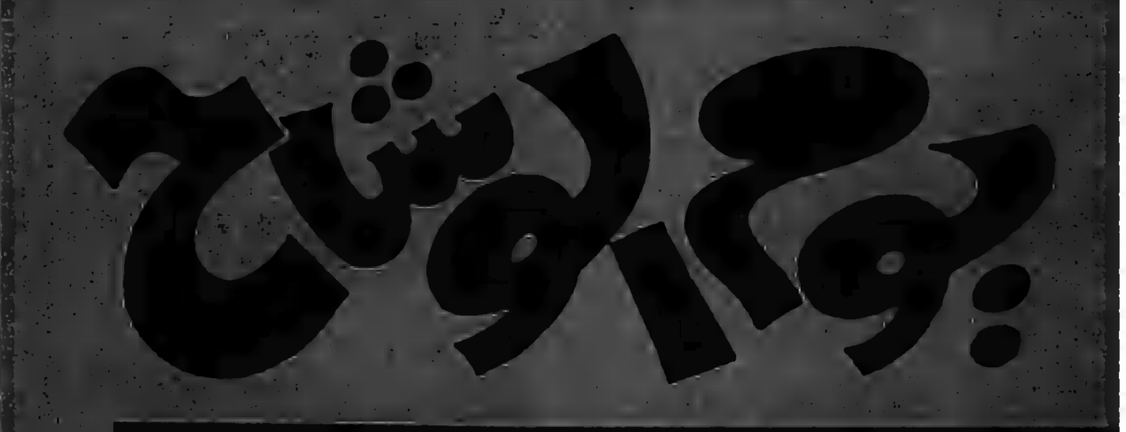
وتشترك فيها ، لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلاد الاسلامية ، وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية الى الصهيونية الباغية ، نكاية فى الاسلام وأهله ، وسعيا لايجاد دولة لها وسط البلاد الاسلامية ، لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعا ، والتى قال الله تعالى فيها : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، وقد أشار القرآن الكريم الى أن موالاة الأعداء انما تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها الى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا اسرائيل — ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التى لا يراد بها الا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الارض ، حتى تعيش كدولة تناوىء العرب والاسلام فى أعز دياره ، وتفسد فى البلاد أشد الفساد ، وتكيد للمسلمين فى اقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ، ويقفوا صفا واحدا فى الدفاع عن حوزة الاسلام ، وفى احباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة ، ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها ، فقد ارتكب اثما عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدوا به — وهو القدوة الحسنة — فى موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه — رضوان الله عليهم — من ديارهم ، وحالوا بينهم وبين أموالهم واقامة شعائرهم ، ودنسوا البيت الحرام ، بعبادة الأوثان والاصنام ، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لانقاذ حرمه من أيدى المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون ، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم اظافر الشرك والطغيان .

البقية ص ١١٩





للأستاذ : علي أحمد باكثير

— ١ —

في ديار بني غطفان .

مرجانة : (في المرعى) متى جئت الى ديار غطفان يا سهل ؟

سهل : منذ يومين يا مرجانة .

مرجانة : ولم تشأ أن تلقاني الا اليوم ؟

سهل : أردت أن ألقاك وحدك ولم يتح لي ذلك الا اليوم في هذا المرعى الجميل .

مرجانة : انه ليس بمرعى جميل يا سهل ولكني لم أجد غيره .

سهل : فهو جميل بوجودك فيه يا مرجانة .

مرجانة : كنت أظن أن الدين الجديد قد صرفك عنا .

سهل : كلا يا مرجانة ما زادني الاسلام الا حبا لك وهياما بك .

مرجانة : انما قلت هذا لترغبني في دينك .

سهل : بل هو الحق يا مرجانة ، لقد ذهبت الى المدينة ورأيت محمدا صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وصليت خلفه فزادني ذلك ايمانا ويقينا ، وكنت حريا أن أعيش بالمدينة واستقر بها لولا أن طيفك كان يناديني كل ليلة ويدعوني لأعود اليك .

مرجانة : لا تكذب يا سهل ، لعلك انما عدت الى غطفان اذ لم تجد في المدينة عملا يقيم أودك .

سهل : بلى يا مرجانة ان العمل هناك لكثير ثم ان المسلمين ليسوا كهؤلاء المشركين انهم يتواسون فيما بينهم فلا يجوع فيهم فقير ولا ابن سبيل .

مرجانة : ومع ذلك فقد عدت الى هذه الديار ديار المشركين .

سهل : من أجلك وحدك يا مرجانة !

مرجانة : وماذا تريد مني ؟!

سهل : أن تسلمي مثلي فأتزوجك !

مرجانة : ومواليّنا آل عقيل الذين أعتقوني وأعتقوك ؟

سهل : ما بالهم ؟

مرجانة : الا ترى أنهم قد احسنوا الى واليك ؟

سهل : بلى يا مرجانة .

مرجانة : أفيكون جزاؤهم ان نصبا عن دينهم وننحاز الى أعدائهم المسلمين

سهل : ان هي الا أعوام معدودة يا مرجانة حتى يدخل العرب جميعا في هذا الدين فيكونوا من انصاره لا من اعدائه .

مرجانة : الا غطفان .

سهل : وغطفان

مرجانة : فلننتظر حتى يسلم موالينا فنسلم معهم .

سهل : لقد انتظرنا طويلا يا مرجانة قبل العتق وبعد العتق .

مرجانة : فما كفتك تلك الحوائل كلها حتى أضفت اليها هذا الحائل الجديد .

سهل : في وسعك ان ترفعي هذا الحائل بكلمة واحدة .

مرجانة : كيف ؟

سهل : بان تشهدي الا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

مرجانة : هيهات يا سهل ، لا تحاول أن تستدرجني فمهما تفعل فلن اسلم أبدا حتى يسلم موالينا .

سهل : يا مرجانة انهم وما يعبدون من دون الله لن يغنوا عنك غدا من الله شيئا .
لقد حدثتني ذات يوم انك كنت على دين المسيح عيسى بن مريم اذ كنت بين أهلك في الحبشة .

مرجانة : أجل قبل ان يخطفني اللصوص ويبيعوني في سوق الرقيق وكان اسمي هيلانة فجعلوه مرجانة .

سهل : فالدين الذي كنت عليه أقرب الى الاسلام من دين هؤلاء الذين يعبدون الأوثان

مرجانة : اني والله لا أعبد أوثانهم يا سهل ولا أدين دينهم ولكني لا أستطيع ان أدخل في دين جديد يحاربهم ويحاربونه .

سهل : اذن يطول عذابي بسببك يا مرجانة فلا أنا قادر في المدينة على بعدك ولا أنا قادر هنا على قربك .

مرجانة : ماذا يمنعك من البقاء هنا يا سهل وستجد من ياجرك أجرا حسنا ان شئت من موالينا أو من غيرهم .

سهل : كلا يا مرجانة لا استطيع بعد ما عشت بين المسلمين في سكينة وطمانينة ان اعيش هنا في قلق وخوف .

مرجانة : تخشى أن يكتشفوا انك مسلم ؟

سهل : أجل وانما انا عتيق من عتقائهم ولا حامي لي فيهم ولا نصير .

— ٢ —

في مراعي آل عقيل بديار غطفان

مرجانة : عنبرة ماذا جاء بك هنا !

عنبرة : بدا لي اليوم ان أرعى غنمي في مراعيكم يا آل عقيل لأكون معك يا مرجانة فهل من مانع ؟

مرجانة : لا مانع عندي يا عنبرة ولكني اخشى ان يغضب موالي آل عقيل لما بينهم وبين مواليك من عداوة .

عنبرة : غدا تاتين أنت بغنمك الى مراعينا فلا ظلم على موالينا ولا ظلم على مواليك اشتهي يا مرجانة ان نرعى معا في كل مكان لنتحدث معا وتؤنس احدانا الأخرى .

مرجانة : لا بأس عندي يا عنبرة . وي . من هذه الصبية الحلوة !

عنبرة : هذه دعد احدى بنات مولاي امرتني أمها ان اسرح بها في المرعى ليشتد عودها وتحسن صحتها .

مرجانة : اتخرجين بها كل يوم ؟

عنبرة : نعم .

مرجانة : حاذري عليها يا عنبرة لا تنفلت هنا أو هناك فتضيع منك .

عنبرة : صدقت انها شقية لا تسمع الكلام .

مرجانة : وهذا الوشاح الأحمر ما كان ينبغي ان ترتديه

عنبرة : تخشين عليه من اللصوص ؟
مرجانة : وعليها هى فان اللص قد يقتلها من اجله .
عنبرة : اتسمعين يا دعد ؟ لا تنطلقى بعيدا عنى . العبى دائما بالقرب منى .
دعد : لا شأن لك أنت . أنا العب كيفما أريد .
عنبرة : اسمعت يا مرجانة ؟
مرجانة : لا حق لك يا دعـد . يجب ان تسمعى كلامها من أجل مصلحتك .
دعد : وأنت أيضا لا شأن لك .
عنبرة : انتظرى يا دعد .
دعد : (صوتها من بعيد) ماذا تريدين ؟
عنبرة : العبى كيفما شئت عندك ولا تجاوزى ذلك التل .
مرجانة : لو كنت مكانك يا عنبرة لما قبلت أن اسرح بها معى فى هذا الخلاء البعيد .
عنبرة : أنت معتوقة يا مرجانة ففى وسعك ان تقبلى أو ترفضى . اما انا فعلى أن أطيع وليس لى أن اعترض على شىء .
مرجانة : قولى لهم انك عليها تخافين .
عنبرة : فسيتهموننى بانى لا أريد أن اتعب نفسى . انك لا تعرفين آل خيثمة انهم ليسـوا كآل عقيل .

مرجانة : أجل يا عنبرة آل عقيل احسن الناس لمواليهم لقد مكثت امة عندهم اكثر من تسع سنين فوالله ما رأيت منهم الا العطف والاحسان .
عنبرة : يكفى انهم أعتقوك .
مرجانة : هذا ديدنهم يعتقون كل عبد أو أمة يجدون منه أو منها الاخلاص فى خدمتهم
عنبرة : أما آل خيثمة فمن أخلص لهم أبقوه فى رقهم والا باعوه .
دعد : عنبرة . تعالى يا عنبرة .
عنبرة : ماذا تريدين ؟

دعد : استحى ان أقول لك أمامها .
مرجانة : لعلها تريد قضاء حاجة .
عنبرة : أجل هو ذاك . اخلعى وشاحك يا دعد ... هاتى ضعيه هنا بجنب مرجانة اجعلى بالك منه يا مرجانة . سنمضى الى خلف ذلك التل ثم نعود .

مرجانة : انا باقية هنا ولن اتحرك حتى تعودى بالصبية .
سهل : (يظهر فجاة ويهمس) مرجانة .
مرجانة : من ؟ سهل ؟
سهل : عنبرة مولاة آل خيثمة كانت عندك ؟
مرجانة : نعم ماذا جاء بك ؟ اتريد منها ان تتحدث عنا فى الحى كله ؟
سهل : كلا يا مرجانـــة لن أمكث عندك الا قليلا قبل ان تعود بالصبية .
مرجانة : لو التفتت وراءهـــا الآن لرأتك عندى .

سهل : اذن انبطح على الارض فلا ترانى .
مرجانة : بربك وبدينك هذا الجديد ماذا تريد؟
سهل : لا أريد منك شيئا غير أن تشـــهدى الا اله الا الله وان محمدا رسول الله .
مرجانة : كلا لن أفعل . قلت لك لن أسلم حتى يسلم موالى آل عقيل .
(يسمع حفيف أجنحة طائر ينقض من الجو)
سهل : ما هذا ؟
مرجانة : ويلتاه . الحديا خطفت الوشاح فطارت به .

سهل : ظنته قطعة لحم .
مرجانة : ماذا اصنع الآن ؟
سهل : اخبريها بالحقيقة .
مرجانة : ربما تظن انى ..
سهل : سأشهد أنا لك بما رأيت .
مرجانة : كلا لا أريدها ان تراك عندى
سهل : من الخير لك الآن ان ابقى .
مرجانة : كلا ان كنت تحبنى يا ســـهل فانطلق من هنا واسرع .

سهل : حبا وكرامة يا مرجانة . استودعك الله
مرجانة : وى . ها هى ذى مقبلة . اخشى ان تكون قد لمحته وهو ينطلق . أن لم تره هى فربما تراه الصبية . يا ليتنى تركته يبقى ليشهد لى . هل أناديه ليعود ؟ كلا لن يسمعنى فقد ابتعد .

عنبرة : من ذا كان عندك يا مرجانة ؟
مرجانة : لا أحد .
عنبرة : لكنى لمحت شبح رجـــل ينطلق

كالهارب . ألم يمر بك . ؟
مرجانة : لا ..
عنبرة : ألم تريه ؟
مرجانة : لا ..
عنبرة : لا بد انه مر من خلفك . تعالى يا دعد . ارتدى وشاحك .
دعد : أين هو يا عنبرة ؟
عنبرة : أين هو يا مرجانة ؟
مرجانة : أنا فى غاية الأسف يا عنبرة لم أشعر الا وقد انقضت عليه فطارت به .
عنبرة : من هى ؟
مرجانة : الحديا يا عنبرة .
عنبرة : اتريدين ان تقولى ان الوشاح قد خطفته حديا فطارت به .
مرجانة : أى والله يا عنبرة . الوشاح أحمر اللون . حسبته قطعة لحم .
عنبرة : والرائحة الا تعرف الحديا رائحة اللحم . ؟
مرجانة : لا بد انها الآن قد القته فى مكان ما حين اكتشفت حقيقته .
عنبرة : ولماذا لا يكون ذلك الرجل الذى كان عندك هو الذى اختطفه فطار به ؟
مرجانة : ما هذا الذى تقولينه يا عنبرة ؟ تريدين أن تتهميني ؟
عنبرة : لو كنت بريئة لما أنكرت ذلك الرجل الذى انطلق من عندك كالهارب .
مرجانة : فسأخبرك الآن من هو . انه صاحبى سهل الذى يريد ان يتزوجنى . وقد كرهت أن تريه هنا عندى فتحدثى الناس بذلك فأمرته فانطلق .
عنبرة : انك لتحسنين التلفيق يا مرجانة ولكنك لن تستطيعى ان تقنعى أحدا بتلفيقك .
مرجانة : يا ليتك ما جئت الى مرعانا اليوم . لقد كنت شؤما على ..

— ٣ —

عقيل : يا خيثمة بن سنان لا نكرهنا على مالا نريد من أجل وشاح تافه .

خيثمة : يا عقيل بن زيد ان اجتراء مواليكم على سرقة وشاح ابنتى ليس بالأمر التافه

عقيل : هذا لو وقعت السرقة فعلا ولكنها لم تقع .
خيثمة : فاين اذن ذهب الوشاح ؟
عقيل : خطفته الحديا فطارت به .
خيثمة : امثلك يا ابن زيد فى سنك وعقلك يصدق مثل هذه الفرية
عقيل : يا ابن سنان انك لا تعرف هذين المعتوقين . لقد لبثا عندنا دهرا طويلا فما جربنا عليهما كذبا قط ولا رأينا منهما اى سوء . هذا حين كانا رقيقين فكيف الآن وقد صارا عتيقين ؟
خيثمة : لعلهما يعفان عن سرقة مواليهما ولا يجدان بأسا فى سرقة غيرهم .
عقيل : ان عفا عن سرقتنا فهما عن سرقة غيرنا أعف .
خيثمة : فلعلهما كانا يسرقان منكم وانتم لا تشعرون .
عقيل : كلا نحن اعرف بموالينا منكم .
خيثمة : انك تدافع عن هذين السارقين كأنما كانا من صميمكم .
عقيل : وانك حين تصر على تكذيبنى فيما أعرف من امانتهما وصدقهما لا توجه التهمة الى اثنين من صميمنا فحسب بل توجهها الى .
خيثمة : معاذ الله يا ابن زيد بل انت الذى شئت ان توجهها الى نفسك اذ تدافع عنهما بالحق وبالباطل .

عقيل : بل كنتم تريدون أن تسيئوا الى سمعتنا آل عقيل فلما اعياكم ذلك ووجدتموها ناصعة كالدينار عدتم الى حادث صغير يقع مثله كل يوم وفى كل مكان فاتخذتموه ذريعة للتشهير بنا ولكنا والله لن ننيلكم أبدا ما تبتغون .
خيثمة : لو كنا نريد ذلك كما زعمت لعمدنا الى افعالكم أنتم لا الى أفعال مواليكم .
عقيل : لو كان ذلك فى امكانكم لفعلتم .
خيثمة : سبحان الله ألم تستمهلونا ثلاثة أيام لتبحثوا عن الوشاح الذى زعمتم ان الحديا قد طارت به ؟
عقيل : بلى .
خيثمة : فها قد مضت الأيام الثلاثة ولم تأتونا بشىء .

عقيل : انما استمهلناكم رجاء ان تكون الحديا قد ألقته فى مكان قريب حين يتضح لها انه ليس بلحم فارسلنا مع سهل جماعة من خدمنا وعبيدنا عسى أن يعثروا عليه ولكنهم بحثوا عنه فى كل مكان فلم يجدوه .

خيثمة : أفليس ذلك دليلا على كذب سهل هذا وصاحبته مرجانة فيما روياه ؟

عقيل : كلا فمن الجائز ان تكون الحديا قد القته فى مكان بعيد أو فى مكان غير بعيد ولكن مر به أحد الناس فالتقطه .

خيثمة : أوليس من الجائز بالاحرى ان تكون مرجانة قد أخذته فاعطته لصاحبها ليبيعه فيقتسما ثمنه وثم دلائل تشير الى ذلك ؟

عقيل : أى دلائل ؟

خيثمة : ان سهلا ذهب للقائها فى المرعى ولم يظهر لها الا حين ذهبت عنبرة بالصبية لقضاء حاجتها فلما عادت وجدته يعدو هاربا ولم تجد الوشاح الذى وضعته بجانب مرجانة لترعاه وانها لما سألتها عن ذلك الهارب انكرت أنها تعرفه بل أنكرت أنها رأته هناك ثم عادت فقالت انه صاحبها سهل .

عقيل : انما كان ذلك كله لانهما كان يستحييان ان يتحدث الناس بما بينهما قبل ان يتفقا على الزواج ولذلك كرها ان تراهما عنبرة مجتمعين فلما اتهمتها عنبرة بالسرقة وكذبت قصة الحديا لم تجد بدا ان تعترف باهون الأمرين فتقول لها ان ذلك الهارب هو صاحبها سهل .

خيثمة : هذا كلام لا يقنع احدا ولا يرضيه .

عقيل : ما رأيك يا ابن سنان فى رجاء اتوجه به اليك حفاظا على السلام وقطعا لدابر الفتنة ؟

خيثمة : ما هو ؟

عقيل : ان تقبل منا وشاحا جديدا نشتريه لابنتك دعد ..

خيثمة : انك تهيننى بهذا الطلب يا ابن زيد كاننا لا نقدر ان نشترى لابنتنا وشاحا آخر وكاننا ما قمنا وقعدنا الا لنحصل على ثمن الوشاح الذى ضاع .

عقيل : فاى شىء اذن يرضيك ؟

خيثمة : لا يرضينى غير ان تسلموا الينا سهلا ومرجانة .

عقيل : لتصنعوا بهما ماذا ؟

خيثمة : لنعذبهما حتى يقرا بما ارتكباه فلا يعودا الى ارتكابه مرة أخرى .

عقيل : أما هذا فلا سبيل اليه أبدا .

خيثمة : اذن فانى منصرف الآن فلا تلومن الا نفسك

عقيل : اتهددنى ؟

خيثمة : لتصلن يدى اليهما بالحسنى أو بالقوة . (يخرج)

عقيل : دون ذلك وخرط القتاد .

مرجانة : مولاى هل لنا ان ندخل الآن ؟

عقيل : ادخلى يا مرجانة وادخل أنت يا سهل . اسمعتما ماذا قال خيثمة ؟

سهل : نعم سمعناه يا مولاى يهدد بالحرب.

مرجانة : دعنا يا مولاى نعترف له باننا أخذنا الوشاح فذلك ما يبغيه

عقيل : كلا لن ننيله ما يريد .

مرجانة : حتى لا تعود الحرب بين حييكما يا مولاى

عقيل : فلتعودن بيننا ان شاؤا جذعة .

— ٤ —

مرجانة : ماذا نصنع الآن يا سهل ؟

سهل : هكذا هؤلاء المشركون يا مرجانة ينزغ الشيطان بينهم من أجل نخوة أو نزوة فيتقاتلون ويتحاربون .

مرجانة : وأنتم يا بنى الدين الجديد الستم تقاتلون الناس ؟

سهل : كلا يا مرجانة انما يجاهد المسلمون فى سبيل الله لا بطرا ولا رياء ولا نخوة ولا كبرياء ولا علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين .

مرجانة : دعنى من هذا . انى أخاف يا سهل ان تكون الغلبة لآل خيثمة على آل

عقيل : فنكون نحن الذين سببنا لهم العــار والدمار .
سهل : اتريدين مخرجا من ذلك يا مرجانة ؟
مرجانة : نعم هل عندك من مخرج ؟
سهل : هلمى بنا نجأر بالدعــاء الى رب السماء ان يظهر براءتنا بآية من عنده .
مرجانة : كيف يا سهل ماذا نقول ؟
سهل : قولى : آلهى يا رب العالمين لئن اظهرت براءتى بآية من عندك لادخلن فى دينك دين محمد ولاكونن من المسلمين
مرجانة : آلهى يا رب العالمين لئن أظهرت براءتى بآية من عندك لادخلن فى دين محمد ولاكونن من المسلمين .
سهل : يدعو مبتهلا وحده) اللهم تقبـل دعاءها يا رب . انك سميع الدعاء . اللهم يا مطلعا على كل شىء يا عالما ببراءتها يا مالكا ناصية كل دابة فى الارض وكل طائر فى السماء يا قادرا على كل شىء اظهر براءتها بآية من عندك واجعلها من المسلمين ((آمين))
(تسمع جلبه وضوضاء من الخارج وأصوات مختلطة)
مرجانة : وى ! ما هذا يا سهل ؟
سهل : لا أدرى يا مرجانة .
مرجانة : عسى الا تكون الحرب قد قامت جذعة
سهل : ليس لنا ان نخرج من هنا الا باذن مولانا عقيل
مرجانة : يخشى علينا ان نقع فى أيــدى اعدائه .
سهل : لكنا نريد أن نعرف ماذا يدور هناك فى المرصة
عقيل : (صوته من بعيد) مرجانة . سهل مرجانة .
مرجانة : : هذا صوت مولانا ينادينا .
عقيل : مرجانة . سهل .
مرجانة : لبيك يا مولاى . ماذا جرى ؟
سهل : ما هذه الضوضاء . يا مولاى ؟
عقيل : الناس يتوافدون الى الرحبة من كل مكان ينظرون الى طائر يحوم فوق رؤوسهم يحمل فى منقاره شيئا أحمر كأنه الوشاح .
سهل : الله أكبر . هذه الآية من عند اللــه

عقيل : ماذا تقول يا سهل ؟
سهل : لا شىء يا مولاى لعلها الحديا التى خطفت الوشاح قد جاءت لتعيده الى مرجانة .
مرجانة : هل لنا ان نخرج الى الرحبــة يا مولاى ؟
عقيل : نعم ما جئت الا لادعوكمــا الى الخارج . هلما .

— ٥ —

(فى بيتهما بالمدينة المنورة بعد زواجهما)
مرجانة : ما رأيتك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الصباح فاين كنت يا سهل ؟
سهل : بل كنت هناك يا مرجانة .
مرجانة : ولكنى لم أرك .
سهل : غيرت مكانى اليوم فلم تستطيعى ان ترينى من صفوف النساء .
مرجانة : ان كنت تحبنى فصل دائما فى الموضع الذى استطيع ان اراك فيه
سهل : فيم يا مرجانة ؟ أليس فى وقوفك أمام الله ما ينبغى ان يشغلك عنى !
مرجانة : انى ازداد خشوعا فى صلاتى حين أراك يا سهل .
سهل : وكيف ذلك يا مرجانة ؟
مرجانة : ما ان أراك تصلى أمامى حتى أتذكر دعاءك وابتهالك يوم الوشــاح وكيف استجاب الله لى ولك .
ويوم الوشاح ....
الزوجان : (معا)

مــن تعــــاجيب ربنــــا
الا أنــــه من ملــة الـكفر نجانى

سهل : احقا يا مرجانــــة ان أم المؤمنين عائشة لا تمل سماع هذه القصة منك ؟
مرجانة : أجل يا ســـــهل ما ترانى أم المؤمنين فى مجلس لهـــا الا وتســتعيدنى روايتها ثم تنشد معى فى ختامها .
ويوم الوشاح من تعــاجيب ربنا
الا أنه من ملــــة الكفر نجانى .

——— ((ســـتار)) ———

بقية حكم الاسلام فى الصلح . . ص ١١١

وما أشبـــه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لا بـد من رعايتـــه ، وهو أن مكـة كـان بلـدا مشتركا بيـن المـــؤمنين والمشركـــين ، ووطنا لهم أجمعين ، بخـلاف أرض فلسطين ، فانها ملـك للمسلمين ، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ، ومع ذلك أبى الله تعالى الا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيهـا والمشركين ، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ــ صلى الله عليه وســـلم ــ بقتال المعتدين . فقال تعـالى : « واقتلوهـم حيـث ثقفتموهـــم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليـه بمثـل ما اعتدى عليكم » .

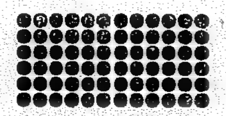
ومن مبادىء الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، واذا كانت ازالته واجبة فى كل حال ، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب والزم ، فان هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند اخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد ، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهى : احتـــرام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخـــلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

● ● ●

أما بعد ــ فهذا هو حكم الاسلام فى قضية فلسطين ، وفى شـــأن اسرائيل والمناصرين لهـــا من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريـده اسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنهـــا ، وفى واجب المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالازهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين ، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العـزة والكرامة ، وان يقـــدروا عواقب الوهن والاستكانـــة أمام اعتداء الباغين ، وتدبير الكـائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى ، وحق الأجيـــال المقبلة فى ذلك ، اعزازا لدينه القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الايمان به ، وعلى نصرة دينه وعلى العمل بما يرضيه . واللـــه أعلم .



الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

فوائد المصارف

السؤال :

هل يجوز لى شرعا أن أقترض من بعض المصارف المالية مبلغا بفائدة لكى أبنى به بيتا لسكناى وسكنى من أعول ، لأنى فى حاجة ماسة الى السكن ، ولا أستطيع بناءه الا بهذا الاقتراض ، وقد سبقنى الى هذا زملاء لى ، ألا يدخل هذا فى حالة الضرورة ؟ أم أن الضرورة فقط لسد الجوع .

عدنان أحمد أبو عيسى — دبى

الاجابة :

ورد هذا السؤال الى الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا وقد تفضل بالاجابة التالية :

ان من المحرمات ما لا يبيحه الاضطرار أصلا كقتل النفس بلا حق ، أما الاضطرار الذى يبيح بعض المحرمات القطعية كالربا وأخذ مال الغير دون اذنه فلا يختص بسد الجوع ، بل يدخل فيه أيضا الاكراه مثلا ، كما يدخل فيه أيضا دفع مخاطر عن النفس أو الولد أو الأهل يتوقف دفعها على فعل ذلك المحرم ، ولكن من الواضح أيضا أن الاضطرار لا يدخل فيه رغبة الانسان فى الاعتياض بمسكن مملوك عن السكنى بالأجرة ، فأغلب الناس يسكنون بالأجرة ولا يملكون مساكنهم ، وكذلك لا يتناول الاضطرار رغبته فى توسيع أعماله التجارية بل عليه أن يعمل برأس المال الذى يملك ، وبما يمكن أن يقترضه فوقه بطريق الحلال ، هذا ما عندى من علم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ميراث

السؤال :

توفيت سيدة وتركت أخوين شقيقين ، وأخا لأب ، وأبناء أخ شقيق ، فكيف توزع تركتها ؟

ع٠ ب — الكويت

الاجابـــة :

التركة كلها للأخوين الشقيقين تعصيبا ، ولا شىء للأخ لأب ولا شىء لأبناء الأخ الشقيق لأن الأخوين الشقيقين أقرب للمتوفاة منهم جميعا .

استقبال القبلة

الســـؤال :

تضطرنى ظروف عملى أن أكون أحيانا فى مكان ولا أعرف فيه القبلة ، فهل أؤخر الصلاة أو أصلى فى أى اتجاه .

حمد العلى ــ أبو ظبى

الاجابـــة :

استقبال القبلة شرط فى صحة الصلاة قال تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ولا يجب على المسلم التوجه الى القبلة الا فى الصلاة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة ، وكبر ،) فاذا عرف المصلى القبلة وجب عليه أن يتجه اليها فى صلاته ، أما اذا لم يعرفها ولم يجد من يدله عليها فانه يجتهد ويتحرى قدر امكانه ثم يتجه الى الجهة التى غلب على ظنه أنها القبلة ويصلى وصلاته صحيحة : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

فى الرضاع

الســـؤال :

رضعت من امرأة مسيحية ، فهل فى هذا الرضاع اثم ، وهل يحل لــى التزوج من احدى بناتها التى لم ترضع معى .

محمد حسين ــ بيروت

الاجابـــة :

أولا : لا اثم فى هذا الرضاع مطلقا على أحد لا على الرضيع ولا على أهل الرضيع ولا على المرضعة .

ثانيا : بهذا الرضاع تصبح المرضعة أما لك من الرضاع وتصبح بناتهـا أخوات لك من الرضاع فلا يحل لك التزوج من احدى بناتها ، ولا فرق فى هذا الحكم بين المرضعة المسلمة ، والمرضعة المسيحية ، فمن رضع من امرأة أصبحت أمه سواء أكانت مسلمة أم مسيحية ، وصار أولادها أخوة له من الرضاع سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين .

الكتب الجنسية

السؤال :

هل يحل للمسلم قراءة الكتب التى تتحدث عن الغريزة الجنسية وتصف الاتصال الجنسى .

س. ع. طرابلس لبنان

الاجابة :

قراءة هذه الكتب فى رأينا تؤدى الى الفتنة والوقوع فى المحرم ومقارفة المعاصى ، ولذا نفتى بحرمة قراءتها خوفا من الوقوع فى الحرام ، وما أدى الى الحرام فهو حرام .

واذا كانت هذه الكتب ثقافية فقط ، وليس المقصود منها الاثارة ، وأمن القارىء على نفسه الوقوع فى الحرام ، وقصد بالقراءة مجرد المعرفة ، فلا حرمة ، والحديث يقول : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » ، ويقول : « استفت قلبك » .

حقوق الناس

السؤال :

فيما مضى من عمرى ظلمت بعض الناس ، وأخذت من أموالهم بغير حق ، فهل يرفع عنى هذا الذنب التصدق على الفقراء بمقدار ما أخذت من أموالهم .

ح. ج ـ البصرة

الاجابة :

من أخذ مالا أو شيئا بغير حق وجب عليه أن يرده الى صاحبه بأى وسيلة من الوسائل وبهذا تبرأ ذمته ، وتبرأ ساحته أمام الله أحكم الحاكمين ، فحقوق العباد لا تسقط بالصدقة .

وننصح السائل بأن يبحث عن أصحاب هذه الحقوق ، ويردها اليهم بأى وسيلة والوسائل كثيرة ، فان عجز ولم يستطع الاهتداء اليهم ولا الى ورثتهم تاب الى الله تعالى واستغفر وتصدق بمثل هذه المبالغ التى يعتقد أنه أخذها بغير حق ، والمأمول فى الله عز وجل أن يغفر الذنب ويقبل التوبة .



ملابس النساء

تلقينا من القارئة سعاد طه بالكلية الطبية فى بغداد رسالة تقول فيها : شرعت منذ مدة فى لبس لباس محتشم فى رأيى وهو عبارة عن بنطلون ليس ضيقا وفوقه فستان ليس بالقصير ولا بالطويل ، ومعه ايشارب يوضع على الرأس ، وتسأل القرئة عن رأى الدين فى هذا الزى ..؟

□ □ □

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الاستاذ الشيخ زكريا البرى أستاذ الشريعة فى جامعة الكويت .

قال فضيلته :

لا يضع الاسلام قيدا على حرية المرأة فى لباسها وزينتها ، وانما يمنعها أن تخرج عن اطار الحرية الى ميدان الفوضى باتخـاذ أسباب الفتنـة لنفسها ولغيرها عن طريق اظهار مفاتن جسدها وأنوثتها للأجانب عنها بكشف أجزاء خاصة من جسمها أو ابرازها وتحديدها ومحاولة لفت الانظار اليها ، فلا يطلب منها زيا معينا ، وانما يطلب منها أن يكون الزى ساترا وغير معوق عن العمل والحركة فى المجتمع .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـارهن ويحفظن فروجهن ولا يبـدين زينتهن الا ما ظهر منهـا وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)) .

ويقول أيضا : ((يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)) .

والمرأة المسلمة فى المجتمع المعاصر بين حالتين : حالة الافراط والتفريط فمنهن من تبالغ فى الحجاب ، ومنهن الكاسية العارية التى تتبع فى ذلك (فتاوى) مصممى الازياء الذين لا يحجزهم دين ولا يحكمهم خلق فاضل ، ومن ورائهم هيئات وشركات تستفيد من ذلك ..!!

أما الزى الخاص الذى سألت عنه القـارئة فيبدو أنه زى لا يتفق اتفاقا كاملا ـ مع الاحكام الاسلامية اذا كان محددا للجسم ومبرزا للمفاتن ومشبها للنساء بالرجال ، ومع هذا فهو أقرب الى الاعتدال من الازياء الفاجرة الاخرى التى ابتدعها الغرب وسماها (مينى جيب) و (ميكروجيب) .

ومن عجيب الامر فى هذا العصر ـ وما أكثر عجائبه ! ـ أن بعض النساء تلبس فى بيتها ومع زوجها أزياء ساترة ولا تحرص على الزينة التى تسعد زوجها حتى اذا ما تهيأت للخروج اتخذت من مظاهر الزينة والاثارة والفتنة جميع أسبابها

وعكست القضية الشرعية والاجتماعية والعقلية ، وأصبحت الزينة مباحة الأجنبى حراما على الزوج الا بمقدار ما يشاركه فيه الاجنبى ، وأصبح زى المرأة وزينتها مرضا اجتماعيا انتقلت عدواه من المرضى الى الاصحاء حتى أصبح الخروج بالزى الاسلامى الساتر مدعاة للسخرية والاستهزاء ، ولم يعد فى مقدور فرد أو جماعة محدودة أن تعالجه وحدها ولابد فيه من تضافر جميع الجهود من كافة الهيئات والمستويات بصدق واخلاص .

العلماء .. فى المعركة ..!!

وقد وصل خطاب من القارىء عبد الله من — صور — لبنان يقول فيه : لماذا لا يشترك العلماء فى القتال ما دام الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا استبيحت أرض اسلامية ويضرب القارىء مثلا بالقراء والعلماء القدامى الذين (لم يتخذوا من علمهم — كما يقول — عذرا لأنفسهم بالتأخر عن القتال بحجة أنه يكفيهم عن الجهاد والقيام بالارشاد) .

وقد أجابك أيها الاخ فضيلة الشيخ محمد شعبان الاستاذ بجامعة الكويت قال :

من المبادىء التى قررها الاسلام أن الجهاد يصير فرض عين على كل مسلم قادر على الجهاد اذا احتل العدو أرضا من أرض المسلمين ، ودعت الحاجة الى تجنيده وان من يتأخر عن الجهاد فى هذه الحال يكون آثما أشد الاثم لا فرق فى ذلك بين عالم فى أى فرع من فروع العلم وبين غيره .

وفى الحالة التى يعيشها العالم الاسلامى الآن يجب الجهاد على كل قادر عليه حفظا لدينه وتحريرا لوطنه وصيانة لعرضه ، ومن دعى اليه فأبى استحق العقاب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

والجهاد أنواع : جهاد بالنفس للقادر عليه وجهاد بالكلمة ممن يجيدها أو ينتفع برأيه فى القتال وجهاد بالمال .

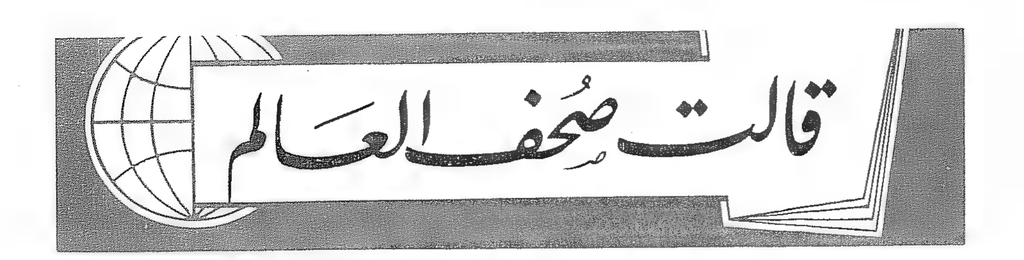
وليس الجهاد قاصرا على النوع الاول ، فان القادر على الكلمة قد يكون له من الاثر فى أحيان كثيرة ما ليس لحامل المدفع .

وما نعانيه الآن من حرب نفسية واعلامية لا هوادة فيها أساسها الكلمة ونشر الاخبار والدعايات ، ولها من الاثر ما لا يمكن انكاره ، بل ان ذلك يعتبر من أساليب الحرب الحديثة .

على أن الحرب الدائرة الآن لم يقل أحد انها فى حاجة الى رجال بقدر حاجتها الى السلاح لأنها حرب علم و (تكنولوجيا) قبل أن تكون حرب سيف ومدفع .

ومع ذلك فالذى يعرفه الناس جميعا أن جيش بعض البلاد العربية يضم الآن عددا كبيرا من المتخرجين فى جامعات دينية يقفون جنبا الى جنب مع اخوانهم المتخرجين من جامعات أخرى وغيرهم من بقية أفراد الجيش .

وهناك فريق آخر من العلماء يعيش فى الخطوط الامامية للجبهة واعظا ومرشدا وموجها روحيا ، فدعوى بعد العلماء عن المعركة ليست دقيقة فى الواقع ، ولا ننسى أن الفضل الاكبر فى تجاوز الهزيمة نفسيا ، والتقدم الى ما نحن عليه من استعداد الآن كان مرجعه الى الكلمة المؤمنة القوية التى كان على رأسها رجال الشريعة الاسلامية فى البلاد الاسلامية والله يوفق الجميع الى أداء دوره .



نشرت صباح الخير القاهرية الكلمة التالية للدكتور أحمد مهنا مدير ادارة البحوث والنشر بالازهر ردا على مقال الحلال والحرام المنشور فى المجلة المذكورة للدكتور مصطفى محمود

« رد الازهــر »

منذ بدأ النشر وأنا أتابع ما تكتب ، وقد رأيت من واجبى أن أعاود الكتابة اليك بعد قراءتى للحلقة الخامسة (الحلال والحرام) .

وأود أن أوضح لك أن الذى يدفعنى الى الكتابة هو اعتقادى بأن هناك — فيما كتبتم — ما يحتاج الى اعادة نظر ، ولا يخالجنى شك فى أنك لن تتردد — اذا اقتنعت بوجهة نظرى مرة أخرى ، ونحن جميعا يا أخى نخطىء ونصيب .

لقد بدأت الحديث فقلت : التحريم فى القرآن ليس لمجرد التحريم ، ولا التحليل لمجرد التحليل وانما « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** » .

وهو بدء واضح وجميل ولا يخالفك فيه أحد ، ولكنك عندما أردت شرح هذه القضية وتخيرت الآيتين الكريمتين : « **قل للمؤمنين يغضـوا من أبصـارهم** » ، « **وقل للمؤمنـات يغضضن من أبصارهن** » .

كمثال موضح جرى قلمك — بما نود أن تعاود النظر فيه فقد قلت :

« لو أخذنا الآية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحا فى الذهن فسوف نجـد أن الحياة الطبيعية فى زمننا (زمن المينى جيب .. الخ) أمر صعب والسير فى شارع مثل عمـاد الدين .. و .. و .. سيرا مطابقا لحروف الآية هو الممكن الصعب » .

وما أظننى فى حاجة الى اقامة الدليل على أن الذى يسير لهدفه فى أى شـارع ملىء بمـا تقول لن يقع فى المحظور مطلقا ، وانما الذى يقع هو ذلك الذى يكرس وقته ونشـاطه لتتبع النسـاء .

ولن أدعى أن السائر لهدفه لن يقع نظره على صاحبات المينى جيب والديكولتيه .. الخ ولكنى أؤكد أنها نظرة عابرة ليس من السهل تجنبها ، ولكنها لن تترك أثرا فى نفسه ، ولعل ذلك ممـا يشمله القول المأثور « لك الاولى وعليك الثانية » وهو ولا شك ينطبق عليه قولك « ولا ضرر فى انسان تقوده عيناه فى طريقه » واسمح لى أن أستعير تعبيرك « مجرد ارسال النظر لا ضرر منه ، ولكن الضرر فيما يجرى فى القلب والعقل نتيجة امعان النظر الخبيث . وقلت فى شرحك للآيتين :

« وغض البصر ليس فقط غض النظر عما يتعرى من الجسد ، وانما هو أيضا غض للبصر عما فى يد الناس من مال ونعمة .. الخ » .

وأنا لا أخالفك فى أن غض البصر عما فى يد الناس من مال ونعمة مطلوب وواجب لصالح الفرد نفسه ولكن الذى لا أوافقك عليه أن يكون ذلك من أهداف الآيتين موضوع الحديث فالآية الاولى تقول :

« **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ..** »

والثانية تقول :

« **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** » .

ولا شك أن الربط بين غض البصر وحفظ الفرج فى الآيتين يحدد المراد هنا ، وهو غض البصر عما يتعرى من الجسد ، ولا صلة بغض البصر فى الآيتين عما فى أيدى الناس .

ولسنا فى حاجة الى شرح الصلة بين الامرين (**غض البصر وحفظ الفرج**) فكلنا نعرف الوقاية خير من العلاج ، وأن الوسيلة الموصلة الى المحظور يجب أن تكون محظورة كذلك ، ومن هنا كان الارشاد الالهى الحكيم بغض البصر للمحافظة على الفرج ، وأرجو أن تسمح لى مرة أخرى فأستعير بعض تعبيراتك .

« والقرآن يفسر بعضه بعضا ولا ينبغى أن نلتقط منه نصا واحدا حرفيا نقول هذا هو الاسلام » .

وفى محاولة شرحك للفرق بين النظرة الحلال ، والنظرة الخبيثة عقدت مقارنة بين « رجل » متصوف عابد يرى قدرة الله فى كل شىء وابداع صنع الله على وجه كل شىء ..

وهو رجل قد غفل عن الخلق فلم يعد يرى الا الخالق و « رجل » آخر ينظر فيفكر فى اللهط ويسيل لعابه وتخرج عيناه من محاجرهما جموحا وشهوة .. الخ .

وكأنى بك لا ترى فى الوجود الا أحد هذين الرجلين فاما هذا الذى بلغ الذروة فى السمو واما ذاك الذى هبط الى أسفل الدرك .

وهذه النظرة — يا أخى — لا تمثل الواقع فى شىء ، فكلا الرجلين قليل فى الحياة العادية والكثرة الغالبة بين هذا وذاك ، والتشريعات العامة لا تكون للقلة وانما هى للجموع بقطع النظر عن الشواذ ، ولا أظن أن هذا المعنى جديد عليك .

ولعلنى لا أفتات على القرآن الكريم اذا قلت انه لم يفرض وجود « المدينة الفاضلة » فى هذه الدنيا وانما عالج أدواء الانسانية فى اطارها الحقيقى الذى يجمع بين من بلغ الذروة ومن هبط الى أسفل الدرك ومن هم هناك فى سفح الوادى ، وقد يلقى على هذا الذى نقوله بعض الضوء ، قول الله تبارك وتعالى :

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله .. »

وبعد أن تحدثت عن الاكمام الطويلة والاكمام القصيرة وعن البلاج وما يكون فيه من متعة بريئة ونظرة بريئة الخ .. قلت :

« وظروف المجتمعات تتغير ، ولهذا كان مدار الكثير من الآيات على ما فى القلب والنية والسريرة لنضع أيدينا على الجوهر حتى لا نتوه فى الحرفيات والتفاصيل وننسى اللباب .. »

وأعتقد أنك لا تخالفنى فى أن هناك اطارا عاما لكل مجتمع يرسمه دستوره . وتغير الظروف فى أى مجتمع لا ضرر منه ما دام داخل هذا الاطار الذى حدده المشرع ، أما اذا خرج عن الاطار العام فهو شذوذ ينبغى أن يقوم ويعالج ، والمجتمع الاسلامى ليس بدعا من المجتمعات الانسانية وقد رسم القرآن الكريم حدود الإطار الذى يجب الحفاظ عليه ، والخروج عن حدوده لا يبيح لنا الاعتذار بتغير الظروف وانما يوجب علينا الدراسة الفاحصة لتشخيص الداء ومحاولة علاجه .

أما القول بأن مدار الكثير من الآيات على ما فى القلب والنية والسريرة .. الخ . فهو وان كان صحيحا فى ذاته الا أن ربطه بما سقت من حديث يقلب معناه ويتعارض مع واقعه .

ان النصوص الدينية كلها سواء أكانت آيات كريمة أم أحاديث نبوية — عندما تتحدث عن أن المدار على ما فى القلب والنية والسريرة انما تعنى أن التظاهر بالطاعة مع اضمار ما يناقض هدفها يفقد العمل قيمته .. وليس هناك نص من هذه النصوص يتصل بالمعصية أو بالذنب فى قليل ولا فى كثير .

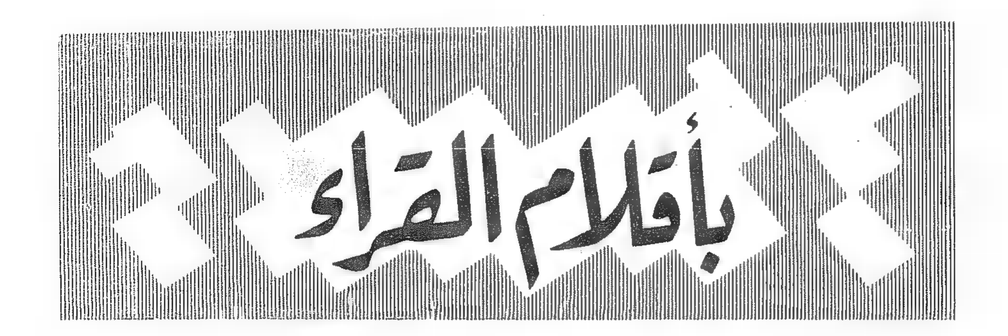
واسمح لى أن أستعير قولك :

« والايمان ليس صورا من خارج ولا أعمالا زائفة خالية من صادق النيات » وما أظن أنك تريد بالايمان هنا معصية أو ذنبا .

وبعـــد ..

فهذه بعض النقاط التى لفتت نظرى وليست كلها ، وأرجو أن تتكرم بنشر هذه الرسالة كاملة فى مجلة (صباح الخير) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



رســالة الدين

من كلمة للاستاذ على سيد حسن نقتطف الفقرات التالية :

ان حب الانسان البالغ للبقاء هو الذى يدفعه الى التعلق بالخلود ، أو على الاقل ، ان من يرغب فى الخلود لهو ضمنا يريد البقاء ، واذا تساءلنا عن سر هذه الرغبة الملحة فى البقاء أو الخلود لدى الانسان ، لوجدنا أن دافعها ومحركها الرئيسى هو حب الذات ، المتمركز فى فطرة الانسان .

ويتضح لنا من ذلك أن حب الانسان البالغ لذاته ، هو ما يدفع به الى حمأة السعى والكفاح من أجل بقائه ، وينتج عن ذلك استمرار الحياة على كوكبنا الارضى .

ولكننا يجب أن نلاحظ أن مشكلات الانسانية وأسباب مآسيها ، انما تنشأ من ذلك المنطلق أيضا ، ذلك أن الانسان سينصرف الى نفسه كلية ويعزف عن تحقيق مصلحة المجتمع ، فنراه يندفع من أجل ذاته محققا لها أقصى ما يستطيعه من المنفعة واللذة المادية ، دون أن يعبأ بالآخرين .

فاذا ما أردنا من ذلك الانسان أن يغير اتجاهه لصالح الجماعة ، علينا أن نضع المقيـاس الخلقى الكفيل بجعله يندفع نحو ذلك الهدف .

ان كل علاج لمشكلات الانسانية ينبغى أن يأخذ هذه الحقيقة (حب الذات) بنظر الاعتبار أما اذا سعى الانسان وراء التغلب عليها ، فان علاجه سيتحول الى علاج مثالى عقيم لا رصيد له فى الواقع العملى الذى يحياه الانسان .

وهنا تبرز أهمية الدين كوسيلة فعالة للربط بين حب الذات المتمركز فى فطرة الانسان ، وبين المقياس الخلقى الذى يجب أن يسير عليه الانسان فى واقع الحياة .

وبتعبير آخر : ان الدين يوحد بين المقياس الفطرى للعمل والحياة ، وهو حب الذات واشباع رغباتها وملذاتها ، وبين المقياس الذى ينبغى أن يقوم للعمل والحياة ، وهو المقياس الخلقى الذى يضع الصالح العام موضع الاعتبار ، فبدون المقياس الخلقى يصبح عمل الخير أسطورة مجردة .

واننا لنقع فى خطأ فادح عندما نجرد الانسان من هذا المقياس ، فنربطه بمفهوم مادى ، ثم نأمل منه أن يضحى بمصالحه الشخصية فى سبيل الغير ، اذ أنه سيصبح — فى هذه الحالة — وقد

رسخ فى ذهنه ، أن لا قيم فى الحياة الا القيم المادية الخالصة ، وأن ليس له الا هذه الحياة المحدودة والتى لا يعرف لها سوى اللذة والمتعة المادية .

ولعل هذه الحقيقة هى السبب فى ما أصاب ويصيب الماديين من فشل ذريع فى اقامة مفاهيم أخلاقية لا ترتكز على الفكرة الالهية .

ان الدين انما يوحد بين ذينك المقياسين ، لأجل أن تصبح الطبيعة الانسانية فى الفرد عاملا من عوامل الخير والسعادة للمجموع .

والدين عندما يفسر الحياة الدنيا على أنها مقدمة لحياة أخرى يكسب فيها الانسان على قدر ما يسعى فى حياته المحدودة فى سبيل رضاء الله ، فانه فى هذه الحالة سيؤدى بالانسان لأن يندفع لتحقيق مصلحة الجماعة ولخدمة الآخرين وفق شروط وطرائق يحددها الدين نفسه .

والانسان حينما يتجه لمثل هذا العمل انما يندفع اليه بسبب حبه لذاته ولأجل تحقيق الفوز فى الآخرة ، ولكنه فى الوقت نفسه — ومن حيث يشعر أو لا يشعر — يتبنى المصلحة الاجتماعية ويساهم فى تحقيق أهداف المجتمع .

عادات ومخترعات شرقية

وكتب الاستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول :

يظن كثير من الناس أننا مدينون للحضارة الغربية بكل شىء مهما دق أو جمل من شئون حياتنا ، وينسبون كل ما دل على الرقى الى أوربا وأمريكا ..

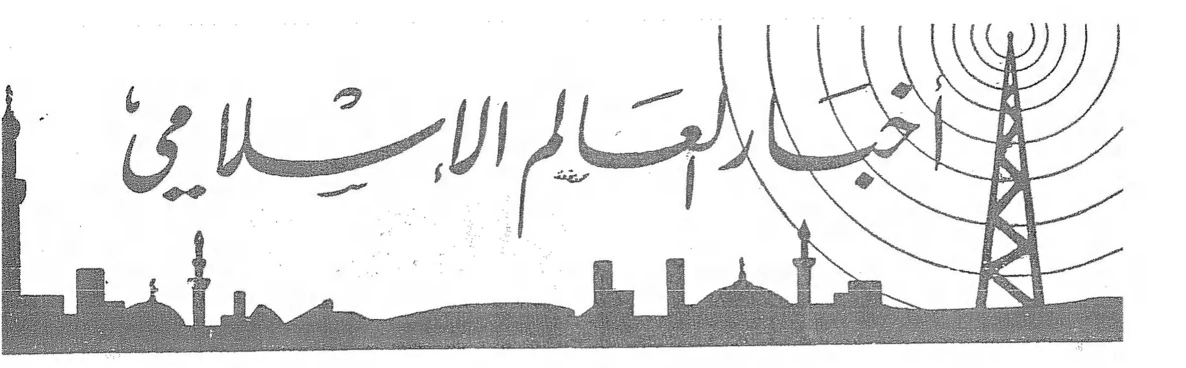
وقد آن الاوان لنعرف حقنا وماضينا حق المعرفة ونقدره حق التقدير ، وننفض عن أنفسنا هذه التبعية للحضارة الحديثة فلا نصدق كل ما يقال فى فضائلها ومميزاتها دون بحث ونظر وعرض على العقل .

وبعد قراءة عميقة فى كتب الرحلات العربية المشهورة تبينت أننا الاصل فى كثير من العادات والمخترعات ، بعد أن كنا نظن أنها وليدة القرن الرابع عشر الهجرى ، العشرين الميلادى .. ثم نقلها الغرب عنا بعد أن حسنها وجملها ووسمها بميسمه وطبعها بطابعه ، ثم جاءتنا مع الحضارة الحديثة مستوردة على الصورة التى ألفناها ..

ومن أولى منا بانصاف أنفسنا والتفتيش عن كنوزنا الضائعة وتراثنا المدفون وحضارتنا الرائعة بعد أن عاد الينا كل ذلك فى صورة أخرى ، وفى شكل غريب عنا .

ومن الدعاوى المجملة المعروفة ان نقول ان الحضارة الغربية مقتبسة من الحضارة الاسلامية فلا بد من التفصيل ومن معرفة مواضع النقل وأدلة الاقتباس وفى أى شىء كان ، والصورة التى ظهر عليها الشىء المنقول أو المقتبس ، ولا ريب فى أن هذه العادات التى رآها الرحالة فى بلاد الشرق كانت مبسطة اذا قيست بحالتها فى العصر الحاضر الا أن هذا لا ينفى أصالتها لدينا ، ونقل الغرب لها عنا ، وان كانت قد تطورت ونمت على يديه حتى أصبحت على ما نرى ..

وليس معنى هذا أن نغلق آذاننا وأن نعصب أعيننا عن الاستفادة والانتفاع بثمرات تجاربهم وعلومهم ما دام ذلك لا يجنى على عقيدتنا ، ولا يهدر شخصية الشرقى المسلم .. فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .. وليس للعلم وطن ، وليس للحكمة وطن انهما ملك للناس أجمعين .



اعداد : عبد المعطي بيومي

الكويت : أعلن سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء أن الكويت تبرعت لحركة الكفاح الفلسطينى بـ ١٥ مليون دينار .

▪ أدلى سعادة رئيس مجلس الامة الذى رأس وفد الكويت فى المؤتمر الدولى للبرلمانيين الذى عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى بتصريح جاء فيه : أن المؤتمر فضح الاعتداءات الاسرائيلية ، ونجح فى ابراز عدالة القضية الفلسطينية ، وقد لاحظنا أن كثيرا من أعضاء الوفود لا يعلمون شيئا عن وجهة النظر العربية .

▪ قام سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة القاهرة أوائل الشهر الماضى تفقد فيها القوات الكويتية وأجرى محادثات مع المسئولين ، وحمل رسالة من فخامة الرئيس المصرى الى أخيه سمو أمير البلاد المعظم .

▪ صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت يهمها قيام اتحاد امارات الخليج العربى على أسس راسخة لصالح شعب المنطقة .

▪ رأس معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الحفل الذى أقامته الوزارة فى مسجد السوق الكبير بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة .

▪ أقر مجلس الوزراء تخصيص مبلغ ١٠ آلاف دينار لعدد من الجمعيات الاسلامية فى باكستان والفيلبين وكندا والسنغال والحبشة والعراق وسوريا ولبنان .

▪ بدأ أسبوع العمل الفدائى الثانى الذى تنظمه جمعية المعلمين بالتعاون مع كثير من المؤسسات والهيئات .

▪ تبرعت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لاعمار بلدة الكرامة الاردنية التى هزم فيها الفدائيون والجيش الاردنى جيش اسرائيل فى مارس ١٩٦٨ م .

▪ بعثت الكويت بمبلغ (٥٠) ألف دولار لمنكوبى الحرب فى نيجيريا .

أكد معالى وزير التربية أن اسرائيل تقوم بتحريف الكتب الدراسية وتشويه التعليم الدينى خاصة فى المدرسة الاسلامية داخل حرم المسجد الاقصى .

القاهرة : أكد بيان دول المواجهة الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى عزم الدول العربية على الاستمرار فى معركة المصير حتى يتحقق هدفها فى النصر .

▪ أكد تصاعد العمليات الحربية خلال الشهر الماضى بين العرب والصهيونية تفوق القوات العربية والحاق خسائر جسيمة بالعدو .

▪ بحث وفد من هيئة الدعوة الاسلامية بأندونيسيا مع المسئولين فى القاهرة وسائل نشر الدعوة الاسلامية وتعزيز التعاون الثقافى الاسلامى بين البلدين ، كما زار القاهرة فى طريقه الى الحج السيد ديماربو عضو البرلمان الفلبينى ، وقد أجرى بعض الاتصالات حول التعاون بين القاهرة وجمعية مسلمى الفلبين .

▪ قام وزير التربية فى تانزانيا بزيارة القاهرة حيث طلب من وزير الاوقاف امداد تانزانيا بالمدرسين والمطبوعات الاسلامية .

■ عين الدكتور عبد الحليم محمود أمين مجمع البحوث الاسلامية وكيلا للازهر بالاضافة الى عمله ، وقد أذاع المجمع بيانا رفض فيه الدعوة الى تلحين القرآن الكريم بالموسيقى .

■ عقد فى المدة ١٩٧٠/٢/٢٧ المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة حول مسائل تخص الفكر والحياة الاسلامية ، وقد حضره علماء من كل الدول الاسلامية .

السعودية : أدى جلالة الملك فيصل فريضة الحج وأقام مأدبة لكبار الشخصيات الاســـلامية ورؤساء بعثات الحج وألقى خطابا قال فيه : ان علينا قبل كل شىء المحافظة على ديننا وعقيدتنا وأن نستعد للكفاح بكل ما أوتينا من قوة الايمان والاخلاص .

■ قام الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران بزيارة الى الاردن حيث تفقد القوات السعودية المرابطة هناك واجتمع مع جلالة الملك حسين .

■ بلغ عدد الحجاج هذا العـــام حوالى (٧٠٠) ألف حاج .

■ قام الشيخ محمد سرور الصبان أمين رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بزيارة القاهرة فى الشهر الماضى بدعوة من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية حيث اطلع معاليه على النشـــاطات الاسلامية فى القاهرة .

الاردن : صرح جلالة الملك حسين بأن أكثر من ٢٠ فى المائة من الاردنيين مجندون فى المعركة المصيرية مع اسرائيل .

■ أكد السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين أن الثورة الفلسطينية بدأت تشكل خطرا على الكيان الصهيونى وأن شعار اقامة دولة عربية يتساوى فيها أهل الاديان انما يأتى بعد تحرير الارض .

■ حكمت محكمة اسرائيلية فى نابلس على فدائيين عربيين بالسجن مدى الحياة بحجة أنهمـــا كانا يحملان تعليمات بالحاق الضرر بحائط المبكى بالقدس ، والجدير بالذكر أن اسرائيل برأت المتهم باحراق المسجد الاقصى .

العراق : قام مدير أوقاف العراق بزيارة الى القاهرة حيث أجرى مع وزير الاوقاف مباحثات هامة .

سوريا : تقرر اقامة اتحاد يضم مجامع اللغة العربية والعلمية فى دمشق وبغداد والقاهرة .

لبنان : أكد السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء أن الدفاع عن البلاد أهم من كل شىء الان ، وأن شئون الدفاع تأتى قبل الشئون المعيشية والاجتماعية مهما كانت هامة .

البحرين : أصدر حاكم البحرين عدة مراسيم لاصلاحات جذرية جديدة ترمى الى ترسيخ دعائم الدولة العصرية منها اصدار قانون بانشاء مجلس الدولة .

تونس : سيعقد فى أوائل هذا الشهر المؤتمر السادس لوزراء الاقتصاد فى المغرب العربى حيث يبحث مشروعا للتعاون الاقتصادى فى المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) .

الجزائر : عقدت عدة اتفاقيات صداقة وحسن جوار بين تونس والجزائر تناولت تدعيم العلاقة بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والقضائية والصناعية والسياحية .

المغرب : زار المغرب بدعوة من حكومتها السيد شريف الدين بيرزاده المدعى العام الباكستانى لبحث العلاقات بين البلدين .

■ دعا مؤتمر وزراء التربية والتعليم والتخطيط العرب منظمة اليونسكو العالمية الى شن حملة لمساعدة الاطفال الفلسطينيين الذى يعانون فى ظل الاحتلال الاسرائيلى من أوضاع تربوية واجتماعية قاسية .

■ تقرر تبادل السفراء بين المغرب وموريتانيا فى القريب العاجل بعد أن سويت الخلافات بين الدولتين عقب مؤتمر القمة الاسلامى الذى عقد بالرباط قبل ثلاثة أشهر وكان المغرب يطالب بموريتانيا جزءا منه .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعـز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

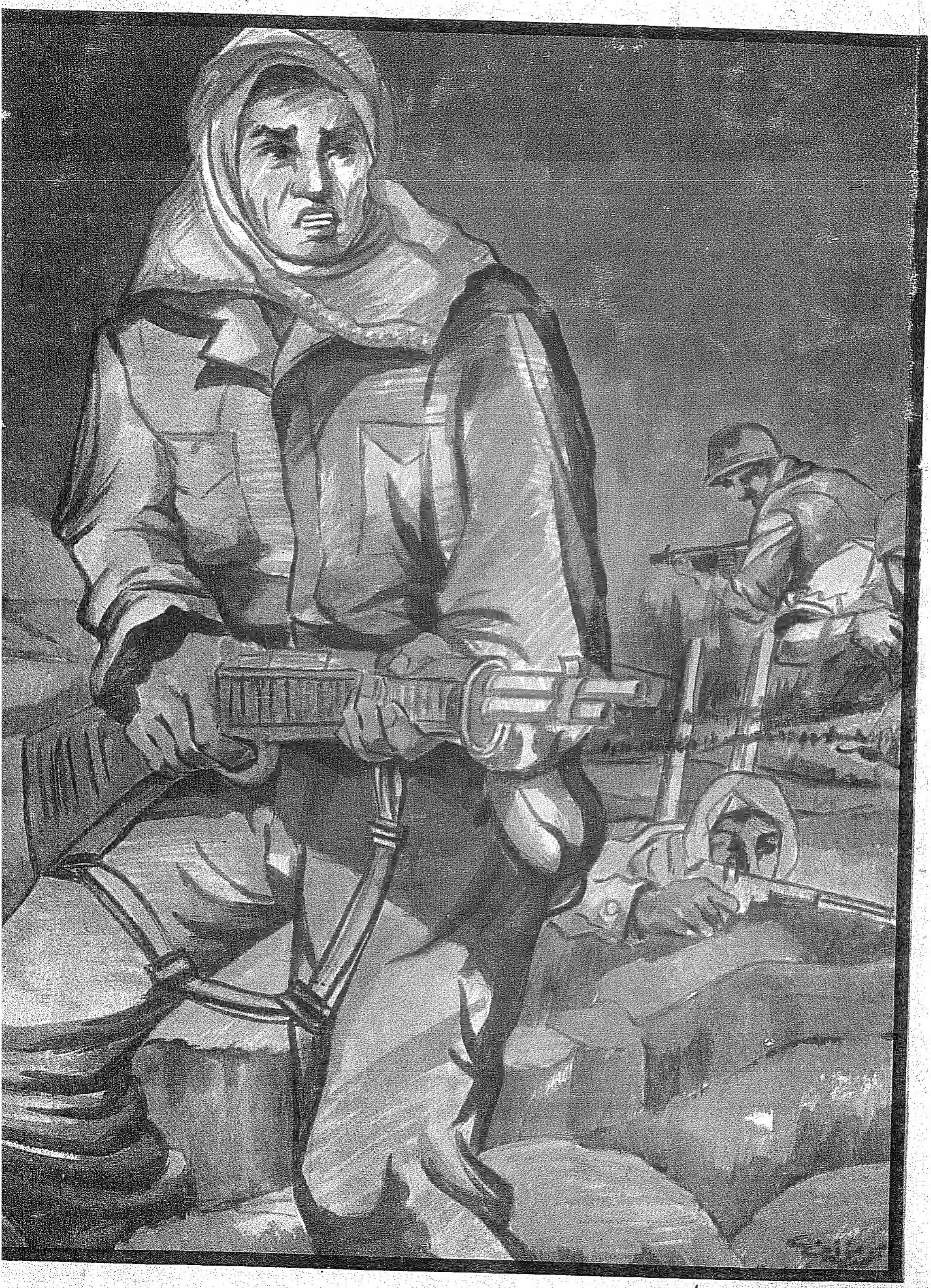
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



وجاهدوا في الله حق جهاده

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الك